التوكل على الله تعالى

لماذا؟

إعداد

الشيخ علي أحمد عبد العال الطهطاوي
رئيس جمعية أهل القرآن والسنة

وفي آخره

كتاب التوكل

للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد
ابن أبي الدنيا
المتوفى ٢٨١ هـ

DKI
دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان

Title: AL-TAWAKKUL ᶜALÂ ALLÂH TAᶜÂLÂ LIMÂḎÂ?

(Puting the trust in Allah)

Author: Aš-Šayḫ ᶜAli Aḥmad ᶜAbdul - ᶜĀl Al-Ṭahṭāwi

Publisher: Dar Al-kotob Al-Ilmiyah

Pages: 184

Year: 2006

Printed in: Lebanon

Edition: 1st

الكتاب: التوكل على الله تعالى لماذا؟

المؤلف: الشيخ علي أحمد عبد العال الطهطاوي

الناشر: دار الكتب العلميـــــة ـ بيروت

عدد الصفحات: 184

سنة الطباعة: 2006 م

بلد الطباعة: لبنـــان

الطبعـة: الأولى

ISBN 2-7451-5030-8

9 782745 150301 90000

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت لبنان

الطبعـة الأولى

٢٠٠٦ م. ١٤٢٧ هـ

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت

Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor

هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ (١ ٩٦١)

فرع عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية

Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.

هاتف: ١٢ / ١١ / ٨٠٤٨١٠ ٥ ٩٦١+ ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+ رياض الصلح - بيروت ٢٢٩٠ ١١٠٧

http://www.al-ilmiyah.com

e-mail: sales@al-ilmiyah.com

info@al-ilmiyah.com

baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

وبعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير هدي، هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. ألا وإن من شعب الإيمان التي ينبغي للمسلم أن يتمسك بها، ويحافظ عليها، التوكل على الله تعالى، ولذلك نجد أن القرآن الكريم قد اهتم بهذا الأمر. فقال جل شأنه: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٠] وقال لنبيه: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ﴾ [الفرقان: ٥٨].

وقال في صفات المؤمنين: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢]. ومن هنا نرى أنه من الأهمية أن يتعرف المؤمن على ماهية التوكل، وحقيقته، وأحوال أهل التوكل.

أما بعد: تجد أن ٩٩% من الشعب المصري يذكروننا بما كان يفعله قوم نوح عليه السلام وبما كان يفعله أهل مكة قبل بعثة النبي ﷺ حكى لي أحدهم أن مصر سميت مصر المحروسة لأنها فعلا يقوم بحراستها أربعة أقطاب، فالبدوي والدسوقي يحرسان الوجه البحري، والقناوي والسيوطي يحرسان الوجه القبلي، قلت له: نحن أهل الجنوب (الصعيد) أكبر مساحة وتعداد عن الوجه البحري، لذلك نحتاج إلى عدد

أكثر من الحراس الأموات، فرد علي محدثي- مصدقًا كلامي ويحسب أنني أتكلم معه بجد - فقال لي: يوم الخميس القادم الاجتماع الأسبوعي برئاسة رئيسة الديوان السيدة/ زينب رضي الله عنها سوف أقترح عليها زيادة عدد الحراس لكم يا صعايدة.

انظر يا أخي إلى هذا الغباء فسألته أين كان هؤلاء عندما انهزمنا في حرب ١٩٦٧؟ هل كانوا في إجازة اعتيادية أو إجازة مرضية؟ أو أن ذلك إهمال منهم!

ولما انتصرنا في حرب ١٩٧٣م قالوا: إن الذي كان يقود القوات المسلحة المصرية في هذه الحرب هو الشيخ الدسوقي.

انظر أيها القارئ العزيز أن الميت يقود القوات المسلحة!

قلت له: إن قائد القوات المسلحة المصرية في حرب ١٩٧٣م هو المرحوم الزعيم محمد أنور السادات الشهيد، عليه رحمة الله تعالى.

انظر يا أخي إلى ما وصل إليه ٩٩% من الشعب المصري إنهم يتوكلون على الأموات ولا يتوكلون على الحي الذي لا يموت.

وليعلم كل السادة القراء الكرام أن الميت لا ينفع ولا يضر ودليل ذلك أكثر من أن يحصى.

ونتعلم من النبي ﷺ عندما صعد الجبل ونادى يا بني كذا يا بني كذا يا فاطمة يا بنت محمد اعملي فلن يغني عنك أبوك من الله شيئًا.

وسيدنا عمر بن الخطاب ﷺ في حادثة القحط نادى العباس عم النبي ﷺ فقال: لبيك وسعديك يا أمير المؤمنين، قال: ابسط يديك. ثم تولى عمر ﷺ النداء فقال: اللهم (يا رب) كنا -فعل ماض- نستسقي بنبيك واليوم نستسقي بعم نبيك فاسقنا.

وليعلم هؤلاء وغيرهم أن امرأة نوح عليه السلام سوف تلقى في النار. فلا يستطيع نوح عليه السلام أن يشفع لها، وامرأة لوط عليه السلام كذلك.

العلماء تقاعسوا وناموا إما سكوت عن الحق، فالساكت عن الحق شيطان اخرس، وإما أن يتحدث بالباطل فهو شيطان ناطق، إن ٩٠% من العلماء إما غرتهم المناصب والمظاريف التي تدخل جيوبهم من (السحت). فيا ويلهم من رب العالمين.

نراهم يتسابقون إلى حضور الموالد وما أكثرها في مصر والموالد هي أسواق للفجور وهتك الأعراض وفيها جميع ما يغضب الله تعالى من أجل ذلك أقدم لك عزيزي القارئ كتابنا [التوكل على الله تعالى].

واعلم أن التوكل على الله وحده هو قمة الإخلاص والعبودية وأذكرك عزيزي القارئ

بأنك تقرأ في الصلوات الخمس (١٧) مرة ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ و (١٢) مرة في السنن المؤكدة فهل أنت تعلم جيدًا قيمة ما تقوله وتتلفظ به؟. هل يليق بمتوكل على الله تعالى بعد أن ينطق ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ أن يقول بعد ذلك سواء أمام الناس أو في بيته "مدد يا سيدة مدد يا حسين" أو "مدد يا رسول الله"

حقيقة إنه العجب العجاب!! أين التوكل هنا؟!!

وإذا قدمنا لهم النصيحة يقولون: إنكم تكرهون أولياء الله الصالحين.

يا أهل الضلال والإضلال.

يا من تمشون على أربع والله إن الذي يمشي على أربع يوحد الله ويسبح الله تعالى. هل تعلم أن الهدهد الذي ليس له عقل، عندما توجه نحو اليمن ورأى بلقيس تسجد للشمس تعجب وعلم بفطرته أن بلقيس مخلوقة وأن الشمس مخلوقة فكيف يسجد مخلوق لمخلوق؟!

﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [النمل: ٢٢، ٢٦].

أيها القارئ العزيز اسمح لي أن أحدث قلبك وعقلك.

أيها العقلاء يا أولي الألباب بالله عليكم هل يرضيكم ما يفعله السفهاء في مصر وغيرها من عبادة لغير الله تعالى وتوكل على غيره عز وجل.

أنا لا أكره أحدًا ولا جماعة بعينها بل أكره أفعال السفهاء الذين لا يتعلمون من الهدهد. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

انتبه أيها القارئ ولا تنبهر بهؤلاء السفهاء حتى ولو كانوا من كبار العلماء.

ولنعد إلى مادة كتابنا [التوكل على الله تعالى لماذا؟] حيث جعلته أربع فصول:

الفصل الأول: ويشمل التمهيد وأن التوكل على الله تعالى هو النجاة.

الفصل الثاني: ويشمل الدعاء عبادة وأن الدعاء هو التوكل على الله تعالى.

الفصل الثالث: ويشمل تحذيرًا للذين يتوكلون على غير الله تعالى.

وأقصد بذلك العاكفين حول القبور والذين اتخذوها حرمًا، وألقوا بكل حمولهم على أصحاب المقاصير المزركشة والمفخفخة.

الفصل الرابع: ويشمل كتاب التوكل على الله تعالى للحافظ ابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى اقرأ وتدبر ولله الحمد والمنة.

الشيخ/ علي أحمد عبد العال الطهطاوي

رئيس جمعية أهل القرآن والسنة

الفصل الأول

التمهيد

الذين يتوكلون على الله تعالى

التوكل على الله يجلب الرزق(١)

عن عمر بن الخطاب ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا**» رواه الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وقال: الترمذي حسن صحيح

هذا الحديث خرجه هؤلاء كلهم من رواية عبد الله بن هبيرة سمع أبا حاتم الحساني سمع عمر بن الخطاب ﷺ يحدثه عن النبي ﷺ وأبو تميم وعبد الله خرج لهما مسلم ووثقهما غير واحد وأبو تميم ولد في حياة النبي ﷺ وهاجر إلى المدينة في زمن عمر ﷺ وروى هذا الحديث من حديث ابن عمرو عن النبي ﷺ ولكن في إسناده من لا يعرف حاله قال أبو حاتم الرازي: وهذا الحديث أصل في التوكل وإنه من أعظم الأسباب التي يستجلب بها الرزق قال الله عز وجل: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، وقد قرأ النبي ﷺ هذه الآية على أبي ذر وقال له: «**لو أن الناس كلهم أخذوا بها لكفتهم**» يعني لو حققوا التقوى والتوكل لاكتفوا بذلك في مصالح دينهم ودنياهم وقد سبق الكلام على هذا المعنى في شرح حديث ابن عباس: «**احفظ الله يحفظك**» قال بعض السلف: فحسبك من التوسل إليه أن يعلم من قلبك حسن توكلك عليه فكم من عبد من عباده قد فوض إليه أمره وكفاه منه ما أهمه ثم قرأ ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ﴾ [الطلاق: ٢، ٣] وحقيقة التوكل هو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المنافع ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها توكيل الأمور كلها إليه وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه قال سعيد بن جبير: التوكل جماع الإيمان وقال وهب بن منبه: الغاية القصوى التوكل قال الحسن:

---

(١) كتابنا الجواهر الطهطاوية، وكتاب جامع العلوم والحكم.

إن توكل العبد على ربه أن يعلم أن الله هو ثقته وفي حديث ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «**من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله**»، وروى عنه ﷺ أنه كان يقول في دعائه: «**إني أسألك صدق التوكل عليك**» وأنه كان يقول: «**اللهم اجعلني ممن توكل عليك فكفيته**» واعلم أن تحقيق التوكل لا ينافي السعي في الأسباب التي قدر الله سبحانه وتعالى المقدورات بها وجرت سنته في خلقه بذلك فإن الله تعالى أمر بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكل فالسعي في الأسباب بالجوارح طاعة له والتوكل بالقلب عليه إيمان به قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ ﴾ [النساء: ٧١]، وقال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وقال: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ [الجمعة: ١٠].

وقال سهل التستري من طعن في الحركة يعني في السعي والكسب فقد طعن في السنة ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان فالتوكل حال النبي ﷺ والكسب سنته فمن عمل على حاله فلا يتركن سنته ثم إن الأعمال التي يعملها العبد ثلاثة أقسام:

أحدها: الطاعات التي أمر الله عباده بها وجعلها سببا للنجاة من النار ودخول الجنة فهذا لابد من فعله مع التوكل على الله فيه والاستعانة به عليه فإنه لا حول ولا قوة إلا به وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فمن قصر في شيء مما وجب عليه من ذلك استحق العقوبة في الدنيا والآخرة شرعا وقدرا.

قال يوسف بن أسباط يقال: اعمل عمل رجل لا ينجيه إلا عمله وتوكل توكل رجل لا يصيبه إلا ما كتب له.

والثاني: ما أجرى الله العادة به في الدنيا وأمر عباده بتعاطيه كالأكل عند الجوع والشرب عند العطش والاستظلال من الحر والتدفؤ من البرد ونحو ذلك فهذا أيضا واجب على المرء تعاطي أسبابه ومن قصر فيه حتى تضرر بتركه مع القدرة على استعماله فهو مفرط يستحق العقوبة لكن الله سبحانه وتعالى قد يقوي بعض عباده من ذلك على ما لا يقوى عليه غيره فإذا عمل بمقتضى قوته التي اختص بها عن غيره فلا حرج عليه ولهذا كان النبي ﷺ يواصل في صيامه وينهي عن ذلك أصحابه ويقول لهم: «**إني لست كهيئتكم إني أطعم وأسقى**»، وفي رواية «**إني أظل عند ربي يطعمني ويسقيني**»، وفي رواية «**إن لي مطعما يطعمني وساقيا يسقيني**»، والأظهر أنه أراد

بذلك أن الله يقوته ويغذيه بما يورده على قلبه من الفتوح القدسية والمنح الإلهية والمعارف الربانية التي تغنيه عن الطعام والشراب برهة من الدهر كما قال القائل:

لها أحاديث من ذكراك تشغلها عن الشراب وتلهيها عن الزاد

لها بوجهك نور تستضيء به وقت المسير وفي أعقابها حادي

إذا اشتكت من كلال السير أوعدها روح القدوم فتحيا عند ميعاد

وقد كان كثير من السلف لهم من القوة على ترك الطعام والشراب ما ليس لغيرهم ولا يتضررون بذلك وكان ابن الزبير يواصل ثمانية أيام وكان أبو الجوزاء يواصل في صومه بين سبعة أيام ثم يقبض على ذراع الشاة فيكاد يحطمها وكان إبراهيم التيمي يمكث شهرين لا يأكل شيئا غير أنه يشرب شربة حلوى وكان حجاج ابن فرافصة يبقى أكثر من عشرة أيام لا يأكل ولا يشرب ولا ينام وكان بعضهم لا يبالي بالحر ولا بالبرد كما كان علي ﷺ يلبس لباس الصيف في الشتاء ولباس الشتاء في الصيف وكان النبي ﷺ دعا له أن يذهب الله عنه الحر والبرد فمن كان له قوة على مثل هذه الأمور فعمل بمقتضى قوته ولم يضعفه عن طاعة الله فلا حرج عليه ومن كلف نفسه ذلك حتى أضعفها عن بعض الواجبات فإنه ينكر عليه ذلك وكان السلف ينكرون على عبد الرحمن بن غنم حيث كان يترك الأكل مدة حتى يعاد من ضعفه.

القسم الثالث: ما أجرى الله العادة به في الدنيا في الأعم الأغلب وقد يخرق العادة في ذلك لمن شاء من عباده وهو أنواع منها ما يخرقه كثيرا ويغني كثيرا عنه من خلقه كالأدوية بالنسبة إلى كثير من البلدان وسكان البوادي ونحوها وقد اختلف العلماء هل الأفضل لمن أصابه المرض التداوي أم تركه لمن حقق التوكل على الله فيه قولان مشهوران وظاهر كلام أحمد أن التوكل لمن قوي عليه أفضل لما صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفا بغير حساب**»، ثم قال: «**هم الذين لا يتطيرون ولا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون**».

ومن رجح التداوي قال: إنه حال النبي ﷺ كان يداوم عليه وهو لا يفعل إلا الأفضل وحمل الحديث على الرقى المكروهة التي يخشى منها الشرك بدليل أنه قرنها بالكي والطيرة وكلاهما مكروه ومنها ما يخرقه لقليل من العامة كحصول الرزق لمن ترك السعي في طلبه فمن رزقه الله صدق يقين وتوكل وعلم من الله أن يخرق له العوائد ولا يحوجه إلى الأسباب المعتادة في طلب الرزق ونحوه جاز له ترك الأسباب

ولم ينكر عليه ذلك وحديث عمر هذا الذي نتكلم عليه يدل على ذلك ويدل على أن الناس إنما يؤتون من قلة تحقيق التوكل ووقوفهم مع الأسباب الظاهرة بقلوبهم ومساكنتهم لها فلذلك يتعبون أنفسهم في الأسباب ويجتهدون فيها غاية الاجتهاد ولا يأتيهم إلا ما قدر لهم فلو حققوا التوكل على الله بقلوبهم لساق إليهم أرزاقهم مع أدنى سبب كما يسوق الطير إلى أرزاقها بمجرد الغدو والرواح وهو نوع من الطلب والسعي لكنه سعي يسير وربما حرم الإنسان رزقه أو بعضه بذنب يصيبه كما في حديث ثوبان عن النبي ﷺ قال: **«إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه»** وفي حديث جابر عن النبي ﷺ: **«لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب خذوا ما حل ودعوا ما حرم»**.

وقال عمر: بين العبد وبين رزقه حجاب فإن قنع ورضيت نفسه آتاه الله رزقه وإن اقتحم وهتك الحجاب لم يزد فوق رزقه قال بعض السلف: توكل تسق إليك الأرزاق بلا تعب ولا تكلف قال سالم بن أبي الجعد حدثت أن عيسى عليه السلام كان يقول اعملوا لله ولا تعملوا لبطونكم وإياكم وفضول الدنيا فإن فضول الدنيا عند الله رجز هذا طير السماء يغدو ويروح ليس معه من أرزاقه شيء لا يحرث ولا يحصد ويرزقه الله فإن قلتم إن بطوننا أعظم من بطون الطير فهذه الوحوش من البقر والحمير تغدو وليس معها من أرزاقها شيء لا تحرث ولا تحصد يرزقها الله خرجه ابن أبي الدنيا وخرج بإسناده عن ابن عباس قال كان عابد يتعبد في غار وكان غراب يأتيه كل يوم برغيف يجد فيه طعم كل شيء حتى مات ذلك العابد وعن سعيد بن عبد العزيز عن بعض مشيخة دمشق قال أقام إلياس هاربا من قومه في جبل عشرين ليلة أو قال أربعين تأتيه الغربان برزقه وقال سفيان الثوري قرأ واصل الأحدب هذه الآية: ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٢]، فقال ألا إن رزقي في السماء وأنا أطلبه في الأرض فدخل خربة فمكث ثلاثا لا يصيب شيئا فلما كان اليوم الرابع إذ هو بدوخلة من رطب وكان له أخ أحسن نية منه فدخل معه فصارتا دوخلتين فلم يزل ذلك دأبهما حتى فرق الموت بينهما ومن هذا الباب من قوي توكله على الله ووثوقه به فدخل المفاوز بغير زاد فإنه يجوز لمن هذه صفته دون من لم يبلغ هذه المنزلة وله في ذلك أسوة بإبراهيم الخليل عليه السلام حيث ترك هاجر وابنها إسماعيل بواد غير ذي زرع وترك عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء فلما تبعته هاجر وقالت له إلى من

تدعنا قال لها إلى الله قالت رضيت بالله وهذا كان يفعله بأمر الله ووحيه فقد يقذف الله في قلوب بعض أوليائه من الإلهام الحق ما يعلمون أنه حق ويثقون به.

قال المروزي قيل لأبي عبد الله أي شيء صدق التوكل على الله قال أن يتوكل على الله ولا يكون في قلبه أحد من الآدميين يطمع أن يجيبه بشيء فإذا كان كذلك كان الله يرزقه وكان متوكلا قال وذكرت لأبي عبد الله التوكل فأجازه لمن استعمل فيه الصدق قال وسألت أبا عبد الله عن رجل جلس في بيته ويقول أجلس وأصبر ولا أطلع على ذلك أحدا وهو يقدر أن يحترف قال لو خرج فاحترف كان أحب إلي وإذا جلس خفت أن يحوجه إلى أن يكون يتوقع أن يرسلوا إليه بشيء قلت فإذا كان يبعث إليه بشيء فلا يأخذه قال هذا جيد قلت لأبي عبد الله إن رجلا بمكة قال لا آكل شيئا حتى يطعمني ربي ودخل في جبل أبي قبيس فجاء إليه رجلان وهو متزر بخرقة فألقيا إليه قميصا وأخذا بيده فألبساه القميص ووضعا بين يديه شيئا فلم يأكل حتى وضعا مفتاحا حديدا في فيه وجعلا يدسان في فمه فضحك أبو عبد الله وجعل يتعجب قلت لأبي عبد الله إن رجلا ترك البيع والشراء وجعل على نفسه أن لا يقع في يده ذهب ولا فضة وترك دوره فلم يأمر فيها بشيء وكان يمر في الطريق فإذا رأى شيئا مطروحا أخذ بيده مما قد ألقي.

قال المروزي: قلت للرجل ما لك حجة على هذا غير أبي معاوية الأسود قال بل أويس القرني كان يمر بالمزابل فيلتقط الرقاع فصدقه أبو عبد الله قال قد شدد على نفسه ثم قال: لقد جاءني البقلي ونحوه فقلت لهم لو تعرضتم للعمل تشهرون أنفسكم قال: وإيش ينالني من الشهرة؟

وروى أحمد بن الحسين بن حسان عن أحمد أنه سئل عن رجل يخرج إلى مكة بغير زاد فقال إن كنت تطيق وإلا فلا تخرج إلا بزاد وراحلة لا تخاطر قال أبو بكر الخلال يعني إن أطاق وعلم أنه يقوى على ذلك ولا يسأل ولا تستشرف نفسه لأن يأخذ أو يعطي فيقبل فهو متوكل على الصدق وقد أجاز العلماء التوكل على الصدق قال وقد حج أبو عبد الله وكفاه في حجته أربعة عشر درهما وسئل إسحاق بن راهويه هل للرجل أن يدخل المفازة من غير زاد فقال إن كان الرجل مثل عبد الله بن جبير فله أن يدخل المفازة بغير زاد وإلا لم يكن له أن يدخل ومتى كان الرجل ضعيفا وخشي على نفسه أن لا يصبر أو يتعرض للسؤال أو أن يقع في الشك والسخط لم

يجز له ترك الأسباب حينئذ وأنكر عليه غاية الإنكار كما أنكر الإمام أحمد وغيره على من ترك الكسب وعلى من دخل المفازة بغير زاد وخشي عليه التعرض للسؤال وقد روي عن ابن عباس قال كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيحجون فيأتون مكة فيسألون الناس فأنزل الله هذه الآية: ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وكذلك قال مجاهد وعكرمة والنخعي وغير واحد من السلف فلا يرخص في ترك السبب بالكلية إلا لمن انقطع قلبه عن الاستشراف إلى المخلوقين بالكلية وقد روي عن أحمد أنه سئل عن التوكل فقال قطع الاستشراف باليأس من الخلق فسئل عن الحجة في ذلك فقال قول إبراهيم عليه السلام لما عرض له جبريل وهو يرمى في النار فقال له ألك حاجة؟ فقال أما إليك فلا وظاهر كلام أحمد أن الكسب أفضل بكل حال فإنه سئل عمن يقعد ولا يكتسب ويقول توكلت على الله فقال ينبغي للناس كلهم أن يتوكلوا على الله ولكن يعودون على أنفسهم بالكسب وروى الخلال بإسناده عن الفضيل بن عياض أنه قيل له لو أن رجلا قعد في بيته زعم أنه يثق بالله فيأتيه رزقه قال إذا وثق بالله حتى يعلم منه أنه وثق به لم يمنعه شيء أراده ولكن لم يفعل ذلك الأنبياء ولا غيرهم وقد كان الأنبياء يؤجرون أنفسهم وكان النبي ﷺ يؤجر نفسه وأبو بكر وعمر ولم يقولوا نقعد حتى يرزقنا الله عز وجل وقال الله عز وجل: ﴿ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ [الجمعة: ١٠]، ولابد من طلب المعيشة.

وقد روي عن بشر ما يشعر بخلاف هذا فروى أبو نعيم في الحلية أن بشر سئل عن التوكل فقال اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب فقال له السائل فسره لنا فقال بشر اضطراب بلا سكون رجل تضطرب جوارحه وقلبه ساكن إلى الله لا إلى عمله وسكون بلا اضطراب رجل ساكن إلى الله بلا حركة وهذا عزيز وهو من صفات الأبدال وبكل حال فمن لم يصل إلى هذه المقامات العالية فلا بد له من معاناة الأسباب لا سيما من له عيال لا يصبرون وقد قال النبي ﷺ: **«كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت»**.

وكان بشر يقول: لو كان لي عيال لعملت واكتسبت وكذلك من ضيع بتركه الأسباب حقا له ولم يكن راضيا بفوات حقه فإن هذا عاجز مفرط وفي مثل هذا جاء

قول النبي ﷺ: **«المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز فإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان»** خرجه مسلم بمعناه من حديث أبي هريرة وفي سنن أبي داود وعن عوف بن مالك أن النبي ﷺ قضى بين رجلين فقال المقضي عليه لما أدبر حسبنا الله ونعم الوكيل فقال النبي ﷺ: **«إن الله يلوم على العجز ولكن عليك بالكيس فإذا غلبك أمر فقل حسبي الله ونعم الوكيل»**.

وخرج الترمذي من حديث أنس قال: قال رجل: يا رسول الله أعقلها وأتوكل أو أطلقها وأتوكل قال اعقلها وتوكل وذكر عن يحيى القطان أنه قال هو عندي حديث منكر وخرجه الطبراني من حديث عمرو بن أمية عن النبي ﷺ وروى الوضين ابن عطاء عن محفوظ بن علقمة عن ابن عابد أن النبي ﷺ قال: **«إن التوكل بعد الكيس»** وهذا مرسل ومعناه أن الإنسان يأخذ بالكيس والسعي في الأسباب المباحة ويتوكل على الله بعد سعيه وهذا كله إشارة إلى أن التوكل لا ينافي الإتيان بالأسباب بل قد يكون جمعهما أفضل قال معاوية بن قرة لقي عمر بن الخطاب ناسا من أهل اليمن فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن المتوكلون قال بل أنتم المتواكلون إنما المتوكل الذي يلقي حبه في الأرض ويتوكل على الله.

قال الخلال أخبرنا محمد بن منصور قال: سأل المازني بشر بن الحارث عن التوكل فقال المتوكل لا يتوكل على الله ليكفى ولو حلت هذه القصة في قلوب المتوكلين لضجوا إلى الله بالندم والتوبة ولكن المتوكل يحل بقلبه الكفاية من الله تبارك وتعالى فيصدق الله فيما ضمن ومعنى هذا الكلام أن المتوكل على الله حق التوكل لا يأتي بالتوكل ويجعله سببا لحصول الكفاية له من الله بالرزق وغيره فإنه لو فعل ذلك لكان كمن أتى سائر الأسباب لاستجلاب الرزق والكفاية بها وهذا نوع نقص في تحقيق التوكل وإنما التوكل حقيقة من يعلم أن الله قد ضمن لعبده برزقه وكفايته فيصدق الله فيما ضمنه ويثق بقلبه ويحقق الاعتماد عليه فيما ضمنه من الرزق من غير أن يخرج التوكل مخرج الأسباب في استجلاب الرزق به والرزق مقسوم لكل أحد من بر وفاجر ومؤمن وكافر كما قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

هذا مع ضعف كثير من الدواب وعجزها عن السعي في طلب الرزق قال تعالى:

﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡ ﴾ [العنكبوت: ٦٠]، فما دام العبد حيا فرزقه على الله وقد ييسره الله له بكسب وبغير كسب فمن توكل على الله لطلب الرزق فقد جعل التوكل سببا وكسبا ومن توكل عليه لثقته بضمانه فقد توكل عليه ثقة به وتصديقا بوعده وما أحسن قول المثنى الأنباري وهو من أعيان أصحاب الإمام أحمد لا تكونوا بالمضمون مهتمين فتكونوا للضامن متهمين وبرزقه غير راضين واعلم أن ثمرة التوكل الرضاء بالقضاء فمن وكل أموره إلى الله ورضي بما يقضيه له ويختاره فقد حقق التوكل ولذلك كان الحسن والفضيل وغيرهما يفسرون التوكل على الله بالرضا قال ابن أبي الدنيا: بلغني عن بعض الحكماء قال: التوكل على ثلاث درجات أولها ترك الشكاية والثانية الرضا والثالثة المحبة بترك الشكاية ودرجة الصبر والرضا سكون القلب بما قسم الله له وهي أرفع من الأولى والمحبة أن يكون حبه لما يصنع الله به فالأولى للزاهدين والثانية للصادقين والثالثة للمرسلين انتهى المتوكل على الله إن صبر على ما يقدره الله له من الرزق أو غيره فهو صابر وإن رضي بما يقدر له بعد وقوعه فهو الراضي وإن لم يكن له اختيار بالكلية ولا رضا إلا فيما يقدر له فهو درجة المحبين العارفين كما كان عمر بن عبد العزيز يقول أصبحت وما لي سرور إلا في وضع القضاء والقدر .

التحذير من سؤال غير الله تعالى

ما حكم نداء الرسول والأولياء والمشايخ، كأن يقول الإنسان: يا رسول الله أنت المعتمد، يا سيد مدد، يا سيدنا الحسين مدد، نظرة يا سيدة، ونحو ذلك. أرجو الإفادة مع الدليل؟

الجواب:

إن من نادى غير الله بالصيغة المذكورة في السؤال ونحوها إن اعتقد أن غير الله تعالى يضر وينفع فهو شرك. وإن اعتقد التبرك بهم فقط فهو حرام وليس بشرك قال الله تعالى للنبي ﷺ: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، وقال: ﴿ قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ﴾ [الجن: ٢١].

وإذا كان النبي ﷺ لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعًا ولا ضرًّا فغيره من النبيين والأولياء من باب أولى. فالمطلوب سؤال الله تعالى في كل الأحوال. قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله**». أخرجه أحمد والترمذي وقال حسن صحيح [(١)].

ويجوز سؤال الصالحين الأحياء فيما يقدرون عليه كطلب الدعاء منهم لا ما لا يقدرون عليه كشفاء المريض وطلب الرزق ونحو ذلك.

---

(١) هذا بعض الحديث التاسع عشر من الأربعين النووية ولفظه عن ابن عباس رضي الله عنهما: كنت خلف النبي ﷺ يومًا فقال لي: «يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك. إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله تعالى لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله تعالى عليك. رفعت الأقلام وجفت الصحف».

وفي رواية غير الترمذي: «احفظ الله تجده أمامك. تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة. واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا».

قال تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾ [يونس: ١٠٧]، وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء: ٥٦، ٥٧].

التوسل بأهل القبور شرك

ما قولكم في التوسل بالصالحين وأهل القبور؟

الجواب:

إن التوسل لغة التقرب بالعمل ويطلق شرعًا على معان ثلاثة:

١- التقرب إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة وهو جائز مشروع اتفاقًا بل منه الواجب الذي لا يتم الإيمان إلا به.

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧].

اتفق المفسرون على أن الوسيلة في الآيتين هي التقرب إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة كالصلاة والزكاة والصيام والحج وسائر العبادات.

قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٥ - ١٦]. وقال تعالى: ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩٣، ١٩٥]

وتقدم في حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال له: «**تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة**». أخرجه أحمد والترمذي وحسنه[1]، وتقدم في توسل أصحاب الغار بما قدموا من عمل صالح.

(ب) التوسل إلى الله تعالى مستشفعًا بأحد من الأحياء فيما يطلبه العبد من ربه وهو جائز اتفاقًا. روى أنس بن مالك أن عمر بن الخطاب ﷺ كان إذا قحطوا

---

(١) هذا بعض الحديث التاسع عشر من الأربعين النووية.

استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا قال فيسقون. أخرجه البخاري[١].

قال الحافظ: ويستفاد من قصة العباس استحباب الاستشفاع بأهل الخير والصلاح وأهل بيت النبوة.

روي أن معاوية خرج يستسقي فلما جلس على المنبر قال: أين يزيد بن الأسود الجرشي؟ فقام يزيد فدعاه معاوية فأجلسه أمامه ثم قال: اللهم إنا نستشفع إليك بخيرنا وأفضلنا يزيد بن الأسود يا يزيد ارفع يديك، فرفع يديه ودعا الله تعالى فثارت في الغرب سحابة مثل الترس وهب لها ريح فسقوا حتى كادوا لا يبلغون منازلهم واستسقى به الضحاك مرة أخرى. ذكره ابن قدامة[٢]، وقد كان توسلهم بمن ذكر أن يدعو المتوسل به ويدعو معه فهو شفيع لهم وسائل لا مسئول بل المسئول والمقصود هو الله تعالى.

(ج) التوسل إلى الله تعالى بالإقسام عليه بأحد من خلقه كأن يقول: أقسمت عليك يا ألله بفلان الصالح. وهو ممنوع عند الجمهور لأنه لم يقع من الصحابة ﷺ في الاستسقاء ونحوه لا في حال حياة النبي ﷺ ولا بعد موته ولم يثبت في دعاء من الأدعية الصحيحة "وأفتى" العز بن عبد السلام بمنعه في غير النبي ﷺ مستدلا بحديث عثمان بن حنيف أن رجلا ضريرًا أتى النبي ﷺ فقال: «**ادع الله أن يعافيني قال: إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك قال:** فادعه فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويصلي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء: **اللهم أني أسالك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني قد توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى. اللهم فشفعه في**» أخرجه أحمد والنسائي وابن ماجه. وقال: حديث صحيح، والحاكم وزاد فدعا بهذا الدعاء فقام وقد أبصر. وقال: صحيح على شرط الشيخين، والترمذي وقال حسن صحيح [٣].

---

(١) انظر ص (٣٣٩ ج٢) فتح الباري (سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا) وهو بضم فكسر أي أصابهم القحط.

(٢) انظر ص (٢٩٥ ج٢) مغني (الاستسقاء بمن ظهر صلاحه).

(٣) انظر ص (٢١٦ج١) ابن ماجه (صلاة الحاجة) وص (٢٨١ ج٤) تحفة الأحوذي (باب ٦ أحاديث شتى من باب الدعوات).

قال الشوكاني: الحديث صحيح وصححه أيضًا ابن خزيمة. وفيه دليل على جواز التوسل برسول الله ﷺ إلى الله عز وجل مع اعتقاد أن الفاعل هو الله تعالى وأنه المعطي المانع ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن [١]. فقوله في الحديث: أسألك وأتوجه إليك بنبيك، سؤال بالذات وقسم.

ومنعه ابن تيمية وغيره من الحنبلية مطلقًا وقالوا: الباء في قوله أتوجه إليك بنبيك للسببية لا للقسم. والمعنى أسالك وأتوجه إليك بسبب محمد ﷺ فهو من التوسل بمعنى الشفاعة.

ومنه يعلم أن التوسل المشروع بالاتفاق هو التوسل بالعمل الصالح وبالغير على أنه شفيع وسائل لا مسئول. بل المسئول هو الله تعالى لأنه هو الضار النافع المعطي المانع. وأما ما يقع من العوام وأشباههم مخالفًا لذلك فغير مشروع. ترى أحدهم إذا نزل به أمر خطير ترك دعاء الله تعالى ودعا غيره فينادي بعض الأولياء كالسيد الدسوقي والسيدة زينب والشافعي والرفاعي والبيومي، ومنه قول بعض العامة (العارف لا يعرف والشكوى لأهل البصيرة عيب) وقولهم: (سقت فلانًا عليك يا رب وتوسلت إليك بجاه الولي فلان أو بمقامه). فهذا عمل مذموم يجب البعد عنه وهو لا يبلغ حد الكفر إن كان المتوسل يعتقد في المتوسل به أنه سبب عادي فقط، أما إذا كان يعتقد أنه لا يحصل المطلوب إلا به ولا يجيب الله دعاء العبد إلا إذا طلب ذلك من المتوسل بهم كان كفرًا والعياذ بالله تعالى.

قال الشوكاني في الدر النضيد: فإن قلت: إن هؤلاء القبوريين يعتقدون أن الله تعالى هو الضار النافع والخير والشر بيده وإن استغاثوا بالأموات قصدوا إنجاز ما يطلبونه من الله (قلت) وهكذا كانت الجاهلية فإنهم كانوا يعلمون أن الله هو الضار النافع، وإنما عبدوا أصنامهم لتقربهم إلى الله زلفى، ومن زعم أنه لم يقع منه إلا مجرد التوسل وهو يعتقد من تعظيم ذلك الميت ما لا يجوز اعتقاده في أحد من المخلوقين ويتقرب إلى الأموات بالذبائح والنذور ويناديهم مستغيثًا بهم عند الحاجة فهذا كاذب في دعواه أنه متوسل فقط[٢].

---

(١) انظر ص (١٣٨) تحفة الذاكرين (صلاة الضر والحاجة).

(٢) انظر ص (١٦ ج٢) – الدين الخالص طبعة أولى.

وأما حديث (توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم) فقد تعرض له ابن تيمية بروايات أخرى. قال: وروى بعض الجهال عن النبي ﷺ أنه قال «إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم» وهذا الحديث كذب ليس في شيء من كتب المسلمين التي يعتمد عليها أهل الحديث مع أن جاهه ﷺ عند الله تعالى أعظم من جاه جميع الأنبياء والمرسلين [١]، وقال: وقد تقدم أن ما يذكره بعض العامة من قوله ﷺ: «**إذا كانت لكم حاجة فاسألوا الله بجاهي**» حديث باطل لم يروه أحد من أهل العلم ولا هو في شيء من كتب الحديث [٢].

(وقال): وأما ما يروى عن النبي ﷺ «**إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأهل القبور فاستعينوا بأهل القبور**» فهو حديث كذب مفترى على النبي ﷺ..

---

(١) انظر ص(١٢٤) - التوسل والوسيلة - ونحوه (١٩٨). اقتضاء الصراط المستقيم. مخالفة أهل الجحيم لابن تيمية.

(٢) انظر ص(١٤٢) التوسل والوسيلة.

أجوبة هامة[1]

انتشرت في بعض المجتمعات الإسلامية مخالفات متعددة منها ما يقع عند بعض القبور ومنها ما يتصل بالحلف والأيمان والنذور، وقد تختلف أحكام هذه المخالفات بين ما يكون منها من قبيل الشرك المخرج من الملة وما يكون دون ذلك، فحبذا لو تفضل سماحتكم ببسط القول وبيان أحكام تلك المسائل عليهم، ونصيحة أخرى لعامة المسلمين ترهيبًا لهم من التساهل بأمر تلك المخالفات والتهاون بشأنها؟

الجواب:

الحمد لله، وصلى الله وسلم على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد: فإن كثيرًا من الناس تلتبس عليهم الأمور المشروعة بالأمور الشركية والمبتدعة حول القبور، كما أن كثيرًا منهم قد يقع في الشرك الأكبر بسبب الجهل والتقليد الأعمى.

فالواجب على أهل العلم في كل مكان أن يوضحوا للناس دينهم وأن يبينوا لهم حقيقة التوحيد، وحقيقة الشرك. كما يجب على أهل العلم أن يوضحوا للناس وسائل الشرك وأنواع البدع الواقعة بينهم حتى يحذروها؛ لقول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَـٰبِ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠].

وقال النبي ﷺ: «**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**». رواه مسلم في صحيحه.

وقال - أيضًا - عليه الصلاة والسلام: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا**». رواه مسلم أيضًا.

وفي الصحيحين عن معاوية رضي الله عنه عن النبي ﷺ، أنه قال: «**من يرد الله به خيرًا**

---

(١) للشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى.

يفقهه في الدين».

والآيات والأحاديث في الدعوة إلى نشر العلم وترغيب الناس في ذلك والتحذير من الإعراض وكتمان العلم كثيرة.

أما ما يقع عند القبور من أنواع الشرك والبدع في بلدان كثيرة فهو أمر معلوم وجدير بالعناية والبيان والتحذير منه، فمن ذلك دعاء أصحاب القبور والاستغاثة بهم، وطلب شفاء المرضى، والنصر على الأعداء، ونحو ذلك، وهذا كله من الشرك الأكبر الذي كان عليه أهل الجاهلية، قال الله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٢١]. وقال سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقال سبحانه: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴾ [الإسراء: ٢٣]. والمعنى أمر وأوصى. وقال سبحانه: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ [البينة: ٥]. والآيات في هذا المعنى كثيرة. والعبادة التي خلق الثقلان لأجلها وأمروا بها هي توحيده سبحانه وتخصيصه بجميع الطاعات التى أمر بها من صلاة، وصوم، وزكاة، وحج، وذبح، ونذر وغير ذلك من أنواع العبادة. كما قال سبحانه: ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

والنسك هو العبادة ومنها الذبح كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ﴾ [الكوثر: ١-٢].

وقال النبي ﷺ: «**لعن الله من ذبح لغير الله**» أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ.

وقال الله سبحانه: ﴿ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴾ [الجن: ١٨].

وقال عز وجل: ﴿ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

وقال عز وجل في سورة فاطر: ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر: ١٣ - ١٤].

فأوضح سبحانه في هذه الآيات: أن الصلاة لغيره، والذبح لغيره، ودعاء الأموات والأصنام، والأشجار، والأحجار كل ذلك من الشرك بالله والكفر به. وأن جميع المدعوين من دونه من أنبياء أو ملائكة أو أولياء، أو جن أو أصنام أو غيرهم لا يملكون لداعيهم نفعًا ولا ضرًا. وأن دعوتهم من دونه سبحانه شرك وكفر، كما أوضح سبحانه أنهم لا يسمعون دعاء داعيهم، ولو سمعوا لم يستجيبوا له.

فالواجب على جميع المكلفين من الجن والإنس الحذر من ذلك، والتحذير منه، وبيان بطلانه، وأنه يخالف ما جاءت به الرسل، عليهم الصلاة والسلام، من الدعوة إلى توحيد الله، وإخلاص العبادة له، كما قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال سبحانه: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقد مكث ﷺ في مكة المكرمة ثلاث عشرة سنة يدعو فيها إلى الله سبحانه ويحذر الناس من الشرك به، ويوضح لهم معنى لا إله إلا الله، فاستجاب له الأقلون، واستكبر عن طاعته واتباعه الأكثرون، ثم هاجر إلى المدينة، عليه الصلاة والسلام، فنشر الدعوة إلى الله سبحانه هناك بين المهاجرين والأنصار، وجاهد في سبيل الله، وكتب إلى الملوك والرؤساء وأوضح لهم دعوته، وما جاء به من الهدى، وصبر وصابر في ذلك هو وأصحابه ﷺ حتى ظهر دين الله، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، وانتشر التوحيد وزال الشرك من مكة والمدينة، ومن سائر الجزيرة على يده، ﷺ، وعلى يد أصحابه من بعده، ثم قام أصحابه بالدعوة إلى الله سبحانه والجهاد في سبيله في المشارق والمغارب حتى نصرهم الله على أعدائه ومكن لهم في الأرض، وظهر دين الله

على سائر الأديان، كما وعد بذلك سبحانه في كتابه العظيم حيث قال عز وجل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣].

ومن البدع ووسائل الشرك ما يفعل عند القبور من الصلاة عندها، والقراءة عندها، وبناء المساجد والقباب عليها، وهذا كله بدعة ومنكر، ومن وسائل الشرك الأكبر، ولهذا صح عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**». متفق على صحته من حديث عائشة رضي الله عنها.

وفي صحيح مسلم عن جندب بن عبد الله ﵁ عن النبي ﷺ أنه قال: «**ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك**». فأوضح ﷺ، في هذين الحديثين وما جاء في معناهما: أن اليهود والنصارى كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، فحذر أمته من التشبه بهم باتخاذها مساجد، والصلاة عندها، والعكوف عندها، والقراءة عندها؛ لأن هذا كله من وسائل الشرك.

ومن ذلك: البناء عليها، واتخاذ القباب والستور عليها. فكل ذلك من وسائل الشرك والغلو في أهلها. كما قد وقع ذلك من اليهود والنصارى ومن جهال هذه الأمة، حتى عبدوا أصحاب القبور، وذبحوا لهم، واستغاثوا بهم، ونذروا لهم، وطلبوا منهم شفاء المرضى، والنصر على الأعداء. كما يعلم ذلك من عرف ما يفعل عند قبر الحسين، والبدوي، والشيخ عبد القادر الجيلاني، وابن عربي وغيرهم من أنواع الشرك الأكبر والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن تجصيص القبور، والقعود عليها والبناء عليها، والكتابة عليها، وما ذاك إلا لأن تجصيصها والبناء عليها من وسائل الشرك الأكبر بأهلها.

فالواجب على جميع المسلمين حكومات وشعوبًا الحذر من هذا الشرك ومن هذه البدع، وسؤال أهل العلم المعروفين بالعقيدة الصحيحة، والسير على منهج سلف الأمة عما أشكل عليهم من أمور دينهم حتى يعبدوا الله على بصيرة، عملا بقول الله عز وجل: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا

تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنبياء: ٧].

وقول النبي ﷺ: «**من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة**». وقوله ﷺ: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**». ومعلوم أن العباد لم يخلقوا عبثًا وإنما خلقوا لحكمة عظيمة وغاية شريفة، وهي عبادة الله وحده دون كل ما سواه، كما قال عز وجل: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ولا سبيل إلى معرفة هذه العبادة إلا بتدبر الكتاب العظيم والسنة المطهرة. ومعرفة ما أمر الله به ورسوله من أنواع العبادة وسؤال أهل العلم عما أشكل في ذلك.

وبذلك تعرف عبادة الله سبحانه وتعالى التي خلق العباد من أجلها، وتؤدى على الوجه الذي شرعه الله، وهذا هو السبيل الوحيد إلى مرضاة الله سبحانه والفوز بكرامته، والنجاة من غضبه وعقابه. وفق الله المسلمين لكل ما فيه رضاه، ومنحهم الفقه في دينه وولى عليهم خيارهم وأصلح قادتهم، ووفق علماء المسلمين لأداء ما يجب عليهم من الدعوة والتعليم، والنصح والتوجيه إنه جواد كريم.

ومن أنواع الشرك الحلف بغير الله، كالحلف بالأنبياء، وبرأس فلان، وحياة فلان، والحلف بالأمانة والشرف، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت**». متفق على صحته.

وقوله ﷺ: «**من حلف بشيء دون الله فقد أشرك**». رواه الإمام أحمد عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ بإسناد صحيح.

وقوله ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**». أخرجه أبو داود والترمذي بإسناد صحيح من حديث ابن عمر رضي الله عنهما وقال عليه الصلاة والسلام: «**من حلف بالأمانة فليس منا**». وقال أيضا عليه الصلاة والسلام: «**لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم، ولا بالأنداد ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون**».

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، والحلف بغير الله من الشرك الأصغر، وقد يفضي إلى الشرك الأكبر إذا اعتقد تعظيمه مثل تعظيم الله، أو أنه ينفع ويضر دون الله، أو أنه يصلح لأن يُدعى أو يستغاث به. ومن هذا الباب قول: ما شاء الله وشاء فلان. ولولا الله وفلان. وهذا من الله وفلان. وهذا كله من الشرك الأصغر لقول النبي ﷺ: «**لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان**».

وبهذا يعلم أنه لا حرج بأن يقول: لولا الله ثم فلان، أو هذا من الله ثم فلان. إذا كان له تسبب في ذلك.

احفظ الله يحفظك[1]

عن أبي العباس عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: «كنت خلف النبي ﷺ، يومًا فقال لي: **يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله تعالى لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله تعالى عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

وفي رواية غير الترمذي «**احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا**».

هذا الحديث خرجه الترمذي من رواية حنش الصنعاني عن ابن عباس، وخرجه الإمام أحمد من حديث حنش الصنعاني مع إسنادين آخرين منقطعين ولم يميز لفظ بعضها من بعض. ولفظ حديثه «**يا غلام أو يا غليم أعلمك كلمات ينفعك الله بهن؟** فقلت: بلى، فقال: **احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله قد جف القلم بما هو كائن، فلو أن الخلق كلهم جميعًا أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يقضه الله لم يقدروا عليه وأن أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه، واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرًا كثيرًا، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا**». وهذا اللفظ أتم من اللفظ الذي ذكره الشيخ رحمه الله وعزاه إلى غير الترمذي، واللفظ الذي ذكره الشيخ رواه عبد بن حميد في مسنده بإسناد ضعيف عن عطاء عن ابن عباس، وكذلك عزاه ابن الصلاح في الأحاديث الكلية التي هي أصل أربعين الشيخ رحمه الله إلى عبد بن حميد وغيره.

وقد روي هذا الحديث عن ابن عباس من طرق كثيرة من رواية ابنه علي ومولاه عكرمة وعطاء بن أبي رباح وعمرو بن دينار وعبيد الله بن عبد الله وعمر مولى عفرة وابن أبي مليكة وغيرهم.

---

(١) كتابنا الجواهر الطهطاوية شرح الأربعين النووية وكتاب جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي.

وأصح الطرق كلها طريق حنش الصنعاني التي خرجها الترمذي كذا قاله ابن مندة وغيره.

وقد روي عن النبي ﷺ أنه وصى ابن عباس بهذه الوصية من حديث علي ابن أبي طالب وأبي سعيد الخدري وسهل بن سعد وعبد الله بن جعفر، وفي أسانيدها كلها ضعف.

وذكر العقيلي أن أسانيد الحديث كلها لينة، وبعضها أصلح من بعض، وبكل حال فطريق حنش التي خرجها الترمذي حسنة جيدة. وهذا الحديث يتضمن وصايا عظيمة وقواعد كلية من أهم أمور الدين، حتى قال بعض العلماء: تدبرت هذا الحديث فأدهشني وكدت أطيش، فوا أسفا من الجهل بهذا الحديث وقلة التفهم لمعناه. قلت: وقد أفردت لشرحه جزءًا كبيرًا ونحن نذكر ههنا مقاصده على وجه الاختصار إن شاء الله تعالى. قوله ﷺ «**احفظ الله**» يعني احفظ حدوده وحقوقه وأوامره ونواهيه، وحفظ ذلك هو الوقوف عند أوامره بالامتثال وعند نواهيه بالاجتناب وعند حدوده فلا يتجاوز ما أمر به وأذن فيه إلى ما نهى عنه، فمن فعل ذلك فهو من الحافظين لحدود الله الذين مدحهم الله في كتابه، وقال عز وجل: ﴿ هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴾ [ق: ٣٢]، وفسر الحفيظ هنا بالحافظ لأوامر الله والحافظ لذنوبه ليتوب منها، ومن أعظم ما يجب حفظه من أوامر الله الصلاة، وقد أمر الله بالمحافظة عليها فقال: ﴿ حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، ومدح المحافظين عليها بقوله ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩].

وقال النبي ﷺ: «**من حافظ عليها كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة**». وفي حديث آخر: «**من حافظ عليهن كن له نورًا وبرهانًا ونجاة يوم القيامة**» وكذلك الطهارة فإنها مفتاح الصلاة، قال النبي ﷺ: «**لا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن**».

ومما يؤمر بحفظه الإيمان، قال الله عز وجل: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة: ٨٩] فإن الأيمان يقع الناس فيها كثيرًا ويهمل كثير منهم ما يجب بها فلا يحفظه ولا يلتزمه. ومن ذلك حفظ الرأس والبطن كما في حديث ابن مسعود المرفوع «**الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى، وتحفظ البطن وما حوى**» خرجه الإمام أحمد والترمذي.

وحفظ الرأس وما وعى يدخل فيه حفظ السمع والبصر واللسان من المحرمات، وحفظ البطن وما حوى يتضمن حفظ القلب عن الإصرار على ما حرم الله. قال الله عز وجل: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

وقد جمع الله ذلك كله في قوله: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦]. وأيضًا حفظ البطن من إدخال الحرام إليه من المآكل والمشارب، ومن أعظم ما يجب حفظه من نواهي الله عز وجل: اللسان والفرج.

وفي حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**من حفظ ما بين رجليه دخل الجنة**» خرجه الحاكم، وخرج الإمام أحمد من حديث أبي موسى ﷺ قال: «**من حفظ ما بين فقميه** [1] **وفرجه دخل الجنة**». وأمر الله عز وجل بحفظ الفرج ومدح الحافظين لها فقال: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ﴾ [النور: ٣٠]. وقال: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥] وقال:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١، ٢] إلى قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ [المؤمنون: ٥، ٦].

وقال أبو إدريس الخولاني: أول ما وصى الله به آدم عند إهباطه إلى الأرض حفظ فرجه، وقال: «**لا تضعه إلا في حلال**».

---

(١) أي ما بين لحييه.

وقوله ﷺ: «**يحفظك**» يعني أن من حفظ حدود الله وراعى حقوقه حفظه الله، فإن الجزاء من جنس العمل كما قال تعالى: ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠] وقال: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢] وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧] وحفظ الله لعبده يدخل فيه نوعان: أحدهما حفظه له في مصالح دنياه كحفظه في بدنه وولده وأهله وماله، قال الله عز وجل: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١].

قال ابن عباس: هم الملائكة يحفظونه بأمر الله، فإذا جاء القدر خلوا عنه.

وقال علي ﷺ: إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر فإذا جاء القدر خليا بينه وبينه، وإن الأجل جنة حصينة.

وقال مجاهد: ما من عبد إلا له ملك يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام، فما من شيء يأتيه إلا قال له: وراءك، إلا شيئًا أذن الله فيه فيصيبه.

وخرج الإمام أحمد وأبو داود والنسائي من حديث ابن عمر قال: «لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح: **اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي، واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي**».

ومن حفظ الله في صباه وقوته حفظه الله في حال كبره وضعف قوته، ومتعه بسمعه وبصره وحوله وقوته وعقله. وكان بعض العلماء قد جاوز المائة سنة وهو ممتع بقوته وعقله، فوثب يومًا وثبة شديدة فعوتب في ذلك فقال: هذه جوارح حفظناها عن المعاصي في الصغر فحفظها الله علينا في الكبر. وعكس هذا أن بعض السلف رأى شيخًا يسأل الناس فقال: إن هذا ضعيف ضيع الله في صغره فضيعه الله في كبره.

وقد يحفظ الله العبد بصلاحه بعد موته في ذريته كما قيل في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ

تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف: ٨٢]، إنهما حفظا بصلاح أبيهما. قال سعيد بن المسيب: لابنه: لأزيدن في صلاتي من أجلك رجاء أن أحفظ فيك، ثم تلا هذه الآية ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَلِحًا ﴾.

وقال عمر بن عبد العزيز: ما من مؤمن يموت إلا حفظه الله في عقبه وعقب عقبه.

وقال ابن المنكدر: إن الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده والدويرات التي حوله فما يزالون في حفظ من الله وستر. ومتى كان العبد مشتغلا بطاعة الله فإن الله يحفظه في تلك الحال.

وفي مسند الإمام أحمد عن النبي ﷺ قال: «**كانت امرأة في بيت فخرجت في سرية من المسلمين، وتركت ثنتى عشرة عنزة وصيصيتها كانت تنسج بها، قال: ففقدت عنزة لها وصيصيتها فقالت: يا رب إنك قد ضمنت لمن خرج في سبيلك أن تحفظ عليه، وإني قد فقدت عنزًا من غنمي وصيصيتي، وإني أنشدك عنزة لي وصيصيتي**، قال: وجعل النبي ﷺ يذكر شدة مناشدتها ربها تبارك وتعالى، قال رسول الله ﷺ: **فأصبحت عنزها ومثلها**» وصيصيتها هي الصنارة التي يغزل بها وينسج، فمن حفظ الله حفظه الله من كل أذى.

قال بعض السلف: من اتقى الله فقد حفظ نفسه، ومن ضيع تقواه فقد ضيع نفسه والله غني عنه. ومن عجيب حفظ الله لمن حفظه أن يجعل الحيوانات المؤذية بالطبع حافظة له من الأذى، كما جرى لسفينة مولى النبي ﷺ حيث كسر به المركب وخرج إلى جزيرة، فرأى الأسد فجعل يمشي معه حتى دله على الطريق، فلما أوقفه عليها جعل يهمهم كأنه يودعه ثم رجع عنه.

ورئي إبراهيم بن أدهم نائمًا في بستان وعنده حية في فمها طاقة نرجس فما زالت تذب عنه حتى استيقظ. وعكس هذا أن من ضيع الله ضيعه الله، فضاع بين خلقه حتى يدخل عليه الضرر والأذى ممن كان يرجو نفعه من أهله وغيرهم، كما قال بعض السلف: إني لأعصي الله فأعرف ذلك في خلق خادمي ودابتي.

النوع الثاني: من الحفظ وهو أشرف النوعين: حفظ الله للعبد في دينه وإيمانه فيحفظه في حياته من الشبهات المضلة ومن الشهوات المحرمة، ويحفظ عليه دينه عند موته فيتوفاه على الإيمان.

قال بعض السلف: إذا حضر الرجل الموت يقال للملك: شم رأسه، قال: أجد في رأسه القرآن، قال: شم قلبه، قال: أجد في قلبه الصيام، قال: شم قدميه، قال: أجد في قدميه القيام، قال: حفظ نفسه فحفظه الله. وفي الصحيحين عن البراء بن عازب عن النبي ﷺ «**أنه أمره أن يقول عند منامه: إن قبضت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين**»، وفي حديث عمر أن النبي ﷺ علمه أن يقول «**اللهم احفظني بالإسلام قائمًا، واحفظني بالإسلام قاعدًا، واحفظني بالإسلام راقدًا، ولا تطمع في عدوًا ولا حاسدًا**» خرجه ابن حبان في صحيحه.

وكان النبي ﷺ يودع من أراد سفرًا فيقول: «**استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك**». وقال ﷺ: «**إن الله إذا استودع شيئًا حفظه**» خرجه النسائي وغيره.

وفي الجملة: فإن الله عز وجل يحفظ المؤمن الحافظ لحدود دينه، ويحول بينه وبين ما يفسد عليه دينه بأنواع من الحفظ، وقد لا يشعر العبد ببعضها وقد يكون كارهًا له كما قال في حق يوسف عليه السلام: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾ [يوسف: ٢٤].

قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٤]. قال: يحول بين المؤمن وبين المعصية التي تجره إلى النار.

وقال الحسن: وذكر أهل المعاصي: هانوا عليه فعصوه ولو عزوا عليه لعصمهم. وقال ابن مسعود: إن العبد ليهم بالأمر من التجارة والإمارة حتى ييسر له، فينظر الله إليه فيقول للملائكة: اصرفوه عنه فإنه إن يسرته له أدخلته النار، فيصرفه الله عنه، فيظل يتطير بقوله سبني فلان وأهانني فلان وما هو إلا فضل الله عز وجل. وخرجه الطبراني من حديث أنس عن النبي ﷺ «**يقول الله عز وجل: إن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الفقر، وإن بسط عليه أفسده ذلك؛ وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الغنى، ولو أفقرته لأفسده ذلك؛ وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الصحة، ولو أسقمته لأفسده ذلك؛ وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا السقم ولو أصححته لأفسده ذلك؛ وإن من عبادي من يطلب بابًا من العبادة فأكفه عنه لكيلا يدخله العجب، إني أدبر أمر عبادي بعلمي بما في قلوبهم إني عليم خبير**».

وقال ﷺ «**احفظ الله تجده تجاهك**» وفي رواية «**أمامك**» معناه: أن من حفظ

حدود الله وراعي حقوقه وجد الله معه في كل أحواله حيث توجه يحوطه وينصره ويحفظه ويوفقه ويسدده ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨].

قال قتادة: من يتق الله يكن معه، ومن يكن الله معه فمعه الفئة التي لا تغلب والحارس الذي لا ينام والهادي الذي لا يضل. بل كتب بعض السلف إلى أخ له: أما بعد، فإن كان الله معك فمن تخاف؟ وإن كان عليك فمن ترجو؟ وهذه المعية الخاصة هي المذكورة في قوله تعالى لموسى وهارون ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه: ٤٦].

وقول موسى: ﴿ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ [الشعراء: ٦٢].

وفي قول النبي ﷺ لأبي بكر وهما في الغار: «**ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟ لا تحزن إن الله معنا**». فهذه المعية الخاصة تقتضي النصر والتأييد والحفظ والإعانة، بخلاف المعية العامة المذكورة في قوله تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ﴾ [المجادلة: ٧]، وقوله: ﴿ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ [النساء: ١٠٨] فإن هذه المعية تقتضي علمه واطلاعه ومراقبته لأعمالهم، فهي مقتضية لتخويف العباد منه. والمعية الأولى تقتضي حفظه وحياطته ونصره، فمن حفظ الله وراعى حقوقه وجده أمامه وتجاهه على كل حال فاستأنس به واستغنى عن خلقه، كما في حديث «**أفضل الإيمان** (١)**، أن يعلم العبد أن الله معه حيث كان**» وقد سبق.

وروي عن نبهان الحمال أنه دخل البرية وحده على طريق تبوك، فاستوحش فهتف به هاتف: لم تستوحش أليس حبيبك معك؟ وقيل لبعضهم: ألا تستوحش وحدك؟ فقال: كيف أستوحش وهو يقول: «**أنا جليس من ذكرني**». وقيل لآخر: نراك وحدك؟ فقال: من يكن الله معه كيف يكون وحده؟. وقيل لآخر: أما معك مؤنس؟ قال: بلى. قيل أين هو؟ قال: أمامي ومعي وخلفي وعن يميني وعن شمالي

---

(١) الأعمال.

وفوقي. وكان الشبلي ينشد:

إذا نحن أدلجنا وأنت أمامنا كفى المطايا بذكرك هاديا

وقوله ﷺ: «**تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة**» يعني أن العبد إذا اتقى الله وحفظ حدوده وراعى حقوقه في حال رخائه فقد تعرف بذلك إلى الله وصار بينه وبين ربه معرفة خاصة، فعرفه ربه في الشدة وروعي له تعرفه إليه في الرخاء فنجاه من الشدائد بهذه المعرفة، وهذه معرفة خاصة تقتضي قرب العبد من ربه ومحبته له وإجابته لدعائه. فمعرفة العبد لربه نوعان:

أحدهما: المعرفة العامة، وهي معرفة الإقرار به والتصديق والإيمان وهي عامة للمؤمنين.

والثاني: معرفة خاصة تقتضي ميل القلب إلى الله بالكلية والانقطاع إليه والأنس به والطمأنينة بذكره والحياء منه والهيبة له، وهذه المعرفة الخاصة هي التي يدور حولها العارفون، كما قال بعضهم: مساكين أهل الدنيا خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها، قيل له وما هو؟ قال: معرفة الله عز وجل.

وقال أحمد بن عاصم الأنطاكي: أحب أن لا أموت حتى أعرف مولاي، وليس معرفته الإقرار به، ولكن المعرفة إذا عرفته استحييت منه. ومعرفة الله أيضًا لعبده نوعان:

معرفة عامة، وهي علمه تعالى بعباده واطلاعه على ما أسروه وما أعلنوه، كما قال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [ق: ١٦]. وقال: ﴿أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ﴾ [النجم: ٣٢].

والثاني معرفة خاصة وهي تقتضي محبته لعبده وتقريبه إليه وإجابة دعائه وإنجاءه من الشدائد وهي المشار إليها بقوله ﷺ فيما يحكي عن ربه «**ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه**». وفي رواية «**ولئن دعاني لأجيبنه**».

ولما هرب الحسن من الحجاج دخل إلى بيت حبيب بن محمد فقال له حبيب: يا أبا سعيد أليس بينك وبين ربك ما تدعوه به فيسترك من هؤلاء؟ ادخل البيت

فدخل، ودخل الشرط [1]، على أثره فلم يروه، فذكر ذلك للحجاج فقال: بل كان في البيت إلا أن الله طمس أعينهم فلم يروه. واجتمع الفضيل بن عياض بشعوانة العابدة، فسألها الدعاء فقالت: يا فضيل وما بينك وبينه ما إن دعوته أجابك؟ فغشي على الفضيل. وقيل لمعروف: وما الذي هيجك إلى الانقطاع والعبادة وذكرت الموت والبرزخ والجنة والنار؟ فقال معروف: إن ملكًا هذا كله بيده إن كانت بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا.

وفي الجملة: فمن عامل الله بالتقوى والطاعة في حال رخائه عامله الله باللطف والإعانة في حال شدته.

وخرج الترمذي من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: **«من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد فليكثر الدعاء في الرخاء»**.

وخرج ابن أبي حاتم وغيره من رواية أبي يزيد الرقاشي عن أنس يرفعه **«أن يونس عليه الصلاة والسلام لما دعا في بطن الحوت قالت الملائكة: يا رب هذا صوت معروف من بلاد غريبة، فقال الله عز وجل: أما تعرفون ذلك؟ قالوا: ومن هو؟ قال: عبدي يونس، قالوا: عبدك يونس الذي لم يزل يرفع له عمل متقبل ودعوة مستجابة؟ قال نعم، قالوا: يا رب أفلا ترحم ما كان يصنع في الرخاء فتنجيه من البلاء؟ قال: بلى، قال: فأمر الله الحوت فطرحه بالعراء»**.

وقال الضحاك بن قيس: اذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدة، إن يونس عليه الصلاة والسلام كان يذكر الله تعالى، فلما وقع في بطن الحوت قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۝ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣، ١٤٤]. وإن فرعون كان طاغيًا ناسيًا لذكر الله، فلما أدركه الغرق قال آمنت، فقال الله تعالى: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١].

وقال سلمان الفارسي: إذا كان الرجل دعَّاء في السّراء فنزلت به ضراء فدعا الله تعالى قالت الملائكة: صوت معروف فشفعوا له، وإذا كان ليس بدعَّاء في السراء فنزلت به ضراء فدعا الله تعالى قالت الملائكة: صوت ليس بمعروف فلا يشفعون له.

---

(١) الشرط: كصرد: هم أوّل كتيبة تشهد الحرب وتتهيأ للموت وطائفة من أعوان الولاة .ا هـ القاموس.

وقال رجل لأبي الدرداء أوصني، فقال: اذكر الله في السراء يذكرك الله عز وجل في الضراء، وعنه أنه قال: ادع الله في يوم سرائك لعله أن يستجيب لك في يوم ضرائك.

وأعظم الشدائد التي تنزل بالعبد في الدنيا الموت وما بعده أشد منه إن لم يكن مصير العبد إلى خير. فالواجب على المؤمن الاستعداد للموت وما بعده في حال الصحة بالتقوى والأعمال الصالحة، قال الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ [الحشر: ١٨، ١٩].

فمن ذكر الله في حال صحته ورخائه واستعد حينئذ للقاء الله عز وجل بالموت وما بعده، ذكره الله عند هذه الشدائد فكان معه فيها ولطف به وأعانه وتولاه وثبته على التوحيد فلقيه وهو عنه راضٍ؛ ومن نسي الله في حال صحته ورخائه ولم يستعد حينئذ للقائه نسيه الله في هذه الشدائد، بمعنى أنه أعرض عنه فأهمله فإذا نزل الموت بالمؤمن المستعد له أحسن الظن بربه وجاءته البشرى من الله فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، والفاجر بعكس ذلك، وحينئذ يفرح المؤمن ويستبشر بما قدمه مما هو قادم عليه ويندم المفرط ويقول: ﴿ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ [الزمر: ٥٦].

قال أبو عبد الرحمن السلمي قبل موته: كيف لا أرجو ربي وقد صمت له ثمانين رمضان؟ وقال أبو بكر بن عياش لابنه عند موته: أترى الله يضيع لأبيك أربعين سنة يختم القرآن كل ليلة. وختم آدم بن أبي إياس القرآن وهو مسجًّى للموت ثم قال: بحبي لك ألا رفقت بي في هذا المصرع، كنت آملك لهذا اليوم كنت أرجوك، لا إله إلا الله، ثم قضى.

ولما احتضر زكرياء بن عدي رفع يديه وقال: اللهم إني إليك لمشتاق.

وقال عبد الصمد الزاهد عند موته: سيدي لهذه الساعة خبأتك، فلهذا اليوم اقتنيتك، حقق حسن ظني بك. وقال قتادة في قول الله عز وجل: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴾ [الطلاق: ٢] قال: من الكرب عند الموت.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية: ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة.

وقال زيد بن أسلم في قوله عز وجل ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا

تَحۡزَنُواْ ﴾ [فصلت: ٣٠]. قال: يبشر بذلك عند موته وفي قبره وحين يبعث فإنه لفي الجنة وما ذهبت فرحة البشارة من قلبه. وقال ثابت البناني في هذه الآية: بلغنا أن المؤمن حيث يبعثه الله من قبره، ويتلقاه ملكاه اللذان كانا معه في الدنيا فيقولان له لا تخف ولا تحزن، فيؤمن من الله خوفه ويقر الله عينه، فما من عظيمة تغشى الناس يوم القيامة إلا هي للمؤمن قرة عين لما هداه الله ولما كان يعمل في الدنيا.

وقوله ﷺ: «**إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**» هذا منزع[١]، من قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥] فإن السؤال هو دعاؤه والرغبة إليه، والدعاء هو العبادة، كذا[٢].

روي عن النبي ﷺ من حديث النعمان بن بشير، وتلا قوله تعالى: ﴿ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ ﴾ [غافر: ٦٠] خرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه. وخرج الترمذي من حديث أنس بن مالك عن النبي ﷺ «**الدعاء مخ العبادة**» فتضمن هذا الكلام أن يسأل الله عز وجل ولا يسأل غيره، وأن يستعان بالله دون غيره. وأما السؤال فقد أمر الله بسؤاله فقال: ﴿ وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓ ﴾ [النساء: ٣٢].

وفي الترمذي عن ابن مسعود مرفوعًا: «**سلوا الله من فضله فإن الله يحب أن يسأل**». وفيه أيضًا عن أبي هريرة مرفوعًا: «**من لا يسأل الله يغضب عليه**». وفي حديث آخر «**يسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى يسأل شسع نعله إذا انقطع**».

وفي النهي عن مسألة المخلوقين أحاديث كثيرة صحيحة، وقد بايع النبي ﷺ جماعة من أصحابه على أن لا يسألوا الناس شيئًا: منهم أبو بكر الصديق وأبو ذر وثوبان، وكان أحدهم يسقط السوط أو خطام ناقته فلا يسأل أحدًا أن يناوله إياه.

وخرج ابن أبي الدنيا من حديث أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود «أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن بني فلان أغاروا علي فذهبوا بابني وإبلي، فقال له النبي ﷺ: **إن آل محمد كذا وكذا أهل بيت ما لهم مد من طعام أو صاع، فاسأل الله عز وجل**، فرجع إلى امرأته وقالت: ما قال لك؟ فأخبرها، فقالت: نعم مارد عليك، فما لبث أن رد الله عليه ابنه وإبله أوفر ما كانت، فأتى النبي ﷺ فأخبره،

---

(١) منتزع.

(٢) كما.

فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه. وأمر الناس بمسألة الله عز وجل والرغبة إليه، وقرأ: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾[الطلاق: ٢، ٣] ».

وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أن الله عز وجل يقول: «**هل من داع فأستجيب له دعاءه؟ هل من سائل فأعطيه سؤله؟ هل من مستغفر فأغفر له؟**». وخرج المحاملي وغيره من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**قال الله تعالى: من ذا الذي دعاني فلم أجبه؟ وسألني فلم أعطه؟ واستغفرني فلم أغفر له وأنا أرحم الراحمين؟**».

واعلم أن سؤال الله عز وجل دون خلقه هو المتعين، لأن السؤال فيه إظهار الذل من السائل والمسكنة والحاجة والافتقار، وفيه الاعتراف بقدرة المسئول على رفع هذا الضر ونيل المطلوب وجلب المنافع ودرء المضار، ولا يصلح الذل والافتقار إلا لله وحده لأنه حقيقة العبادة. وكان الإمام أحمد يدعو ويقول: اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك فصنه عن المسألة لغيرك ولا يقدر على كشف الضر وجلب النفع سواك كما قال: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾ [يونس: ١٠٧] وقال: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ [فاطر: ٣٥] والله سبحانه يحب أن يسأل ويرغب إليه في الحوائج ويلح في سؤاله ودعائه ويغضب على من لا يسأله ويستدعي من عباده سؤاله وهو قادر على إعطاء خلقه كلهم سؤلهم من غير أن ينقص من ملكه شيء، والمخلوق بخلاف ذلك يكره أن يسأل، ويحب أن لا يسأل لعجزه وفقره وحاجته.

ولهذا قال وهب بن منبه لرجل كان يأتي الملوك: ويحك: تأتي من يغلق عنك بابه ويظهر لك فقره ويواري عنك غناه وتدع من يفتح لك بابه نصف الليل ونصف النهار ويظهر لك غناه ويقول: ادعني استجب لك.

وقال طاوس لعطاء: إياك أن تطلب حوائجك إلى من أغلق دونك بابه ويجعل دونها حجابه، وعليك بمن بابه مفتوح إلى يوم القيامة، أمرك أن تسأله ووعدك أن يجيبك.

وأما الاستعانة بالله عز وجل دون غيره من الخلق، فلأن العبد عاجز عن

الاستقلال بجلب مصالحه ودفع مضاره، ولا معين له على مصالح دينه ودنياه إلا الله عز وجل، فمن أعانه الله فهو المعان ومن خذله فهو المخذول، وهذا تحقيق معنى قول لا حول ولا قوة إلا بالله، فإن المعنى لا تحول للعبد من حال إلى حال ولا قوة له على ذلك إلا بالله، وهذه كلمة عظيمة وهي كنز من كنوز الجنة، فالعبد محتاج إلى الاستعانة بالله في فعل المأمورات وترك المحظورات والصبر على المقدورات كلها في الدنيا وعند الموت وبعده من أهوال البرزخ ويوم القيامة، ولا يقدر على الإعانة على ذلك إلا الله عز وجل، فمن حقق الاستعانة عليه في ذلك كله أعانه.

وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز**». ومن ترك الاستعانة بالله واستعان بغيره وكله الله إلى من استعان به فصار مخذولا.

كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز: لا تستعن بغير الله فيكلك الله إليه.

ومن كلام بعض السلف: يا رب عجبت لمن يعرفك كيف يرجو غيرك وعجبت لمن يعرفك كيف يستعين بغيرك.

قوله ﷺ: «**جف القلم بما هو كائن**» وفي رواية أخرى «**رفعت الأقلام وجفت الصحف**» هو كناية عن تقدم كتابة المقادير كلها والفراغ منها من أمد بعيد، فإن الكتاب إذا فرغ من كتابته ورفعت الأقلام عنه وطال عهده فقد رفعت عنه الأقلام وجفت الأقلام التي كتب بها من مدادها وجفت الصحف التي كتب فيها بالمداد المكتوب به فيها وهذا من أحسن الكنايات وأبلغها، وقد دل الكتاب والسنن الصحيحة الكثيرة على مثل هذا المعنى، قال الله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد: ٢٢].

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «**إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة**».

وفيه أيضًا عن جابر: «أن رجلا قال: يا رسول الله، ففيم العمل اليوم؟ أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير؟ أم فيم يستقبل؟ قال: **لا بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير**، قال: ففيم العمل؟ قال: **اعملوا فكل ميسر لما خلق له**».

وخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي من حديث عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ

قال: «**إن أول ما خلق الله القلم ثم قال اكتب، فكتب في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة**». والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جدًّا يطول ذكرها.

قوله ﷺ: «**فلو أن الخلق جميعًا أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يقضه الله عليك لم يقدروا عليه، وإن أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه**». هذه رواية الإمام أحمد ورواية الترمذي بهذا المعنى أيضًا، والمراد إنما يصيب العبد في دنياه مما يضره أو ينفعه فكله مقدر عليه، ولا يصيب العبد إلا ما كتب له من مقادير ذلك في الكتاب السابق ولو اجتهد على ذلك الخلق كلهم جميعًا.

وقد دل القرآن على مثل هذا في قوله عز وجل: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١]. وقوله: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢] وقوله: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وخرج الإمام أحمد من حديث أبي الدرداء ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن لكل شيء حقيقة، وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه**». وخرج أبو داود وابن ماجه من حديث زيد بن ثابت عن النبي ﷺ معنى ذلك أيضًا.

واعلم أن مدار جميع هذه الوصية على هذا الأصل وما ذكر قبله وبعده فهو متفرع عليه وراجع إليه، فإن العبد إذا علم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له من خير وشر ونفع وضر وأن اجتهاد الخلق كلهم على خلاف المقدور غير مفيد ألبتة علم حينئذ أن الله وحده هو الضار النافع المعطي المانع، فأوجب ذلك للعبد توحيد ربه عز وجل وإفراده بالطاعة وحفظ حدوده، فإن المعبود إنما يقصد بعبادته جلب المنافع ودفع المضار، ولهذا ذم الله من يعبد من لا ينفع ولا يضر ولا يغني عن عابده شيئًا.

فمن يعلم أنه لا ينفع ولا يضر ولا يعطي ولا يمنع غير الله أوجب له ذلك إفراده بالخوف والرجاء والمحبة والسؤال والتضرع والدعاء وتقديم طاعته على طاعة الخلق جميعًا، وأن يتقي سخطه ولو كان فيه سخط الخلق جميعًا وإفراده بالاستعانة به والسؤال له وإخلاص الدعاء له في حال الشدة وحال الرخاء، خلاف ما كان المشركون عليه من إخلاص الدعاء له عند الشدائد ونسيانه في الرخاء ودعاء من يرجون

نفعه من دونه، قال الله عز وجل: ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر: ٣٨] قوله ﷺ: «**واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرًا كثيرًا**» يعني أن ما أصاب العبد من المصائب المؤلمة المكتوبة عليه إذا صبر عليها كان له في الصبر خير كثير.

وفي رواية عمر مولى عفرة وغيره عن ابن عباس زيادة أخرى قبل هذا الكلام وهي «**فإن استطعت أن تعمل لله بالرضا في اليقين فافعل، فإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره خيرًا كثيرًا**».

وفي رواية أخرى من رواية علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه لكن إسنادها ضعيف زيادة أخرى بعد هذا وهي «قلت: يا رسول الله كيف أصنع باليقين؟ قال: **أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك**». فإذا أنت أحكمت باب اليقين.

ومعنى هذا: أن حصول اليقين للقلب بالقضاء السابق والتقدير الماضي: يعني أن العبد يجهد على أن يرضي نفسه بما أصابه، فمن استطاع أن يعمل في اليقين بالقضاء والقدر على الرضا بالمقدور فليفعل، فإن لم يستطع الرضا فإن في الصبر على المكروه خيرًا كثيرًا، فهاتان درجتان للمؤمن بالقضاء والقدر في المصائب:

أحدهما: أن يرضى بذلك وهي درجة عالية رفيعة جدًّا، قال الله عز وجل: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ [التغابن: ١١].

قال علقمة: هي المصيبة تصيب الرجل فيعلم أنها من عند الله فيسلم لها ويرضى.

وخرج الترمذي من حديث أنس عن النبي ﷺ قال: «**إن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط**». وكان النبي ﷺ يقول في دعائه: «**أسألك الرضا بعد القضاء**».

ومما يدعو المؤمن إلى الرضا بالقضاء تحقيق إيمانه بمعنى قول النبي ﷺ: «**لا يقضي الله للمؤمن من قضاء إلا كان خيرًا له، إن أصابته سراء شكر وكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر وكان خيرًا له، وليس ذلك إلا للمؤمن**».

وجاء رجل إلى النبي ﷺ فسأله أن يوصيه وصية جامعة موجزة، فقال: **لا تتهم**

الله في قضائه". قال أبو الدرداء: إن الله إذا قضى قضاء أحب أن يرضى به.

وقال ابن مسعود: إن الله بقسطه وعدله جعل الروح والفرح في اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط، فالرضا أن لا يتمنى غير ما هو عليه من شدة ورخاء كذا روي عن عمر وابن مسعود وغيرهما.

وقال عمر بن عبد العزيز: أصبحت وما لي سرور إلا في مواقع القضاء والقدر، فمن وصل إلى هذه الدرجة كان عيشه كله في نعيم وسرور، قال الله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل: ٩٧].

قال بعض السلف: الحياة الطيبة هي الرضا والقناعة. وقال عبد الواحد بن زيد: الرضا باب الله الأعظم وجنة الدنيا ومستراح العابدين، وأهل الرضا تارة يلاحظون حكمة المبتلي وخيرته لعبده في البلاء وأنه غير متهم في قضائه، وتارة يلاحظون ثواب الرضا بالقضاء فينسيهم ألم المقضي به، وتارة يلاحظون عظمة المبتلي وجلاله وكماله فيستغرقون في مشاهدة ذلك حتى لا يشعرون بالألم، وهذا يصل إليه خواص أهل المعرفة والمحبة، حتى ربما تلذذوا بما أصابهم لملاحظتهم صدوره عن حبيبهم، كما قال بعضهم: أوجدهم في عذابه عذوبة.

وسئل بعض التابعين عن حاله في مرضه، فقال: أحبه إليه أحب إلي.

وسئل سري: هل يجد المحب ألم البلاء؟ فقال: لا. وقال بعضهم:

عذابه فيك عذب وبعده فيك قرب

وأنت عندي كروحي بل أنت منها أحب

حسبي من الحب أني لما تحب أحب

والدرجة الثانية أن يصبر على البلاء وهذه لمن لم يستطع الرضا بالقضاء، فالرضا فضل مندوب إليه مستحب والصبر واجب على المؤمن حتمًا، وفي الصبر خير كثير، فإن الله أمر به ووعد عليه جزيل الأجر. قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠] وقال: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٥، ١٥٧].

قال الحسن: الرضا عزيز ولكن الصبر معول المؤمن. والفرق بين الرضا والصبر أن الصبر كف النفس وحبسها عن السخط مع وجود الألم وتمني زوال ذلك وكف الجوارح عن العمل بمقتضى الجزع، والرضا انشراح الصدر وسعته بالقضاء وترك تمني زوال الألم وإن وجد الإحساس بالألم، لكن الرضا يخففه ما يباشر القلب من روح اليقين والمعرفة، وإذا قوي الرضا فقد يزيل الإحساس بالألم بالكلية كما سبق.

وقوله ﷺ: «**واعلم أن النصر مع الصبر**» هذا موافق لقول الله عز وجل: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٩]. وقوله: ﴿ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٦].

وقال عمر لأشياخ من بني عبس: بم قاتلتم الناس؟ قالوا: بالصبر، لم نلق قومًا إلا صبرنا لهم كما صبروا لنا.

وقال بعض السلف: كلنا يكره الموت وألم الجراح ولكن نتفاضل بالصبر. وقال ابن بطال: الشجاعة صبر ساعة، وهذا في جهاد العدو الظاهر وهو جهاد الكفار وكذلك جهاد العدو الباطن وهو جهاد النفس والهوى، فإن جهادهما من أعظم الجهاد كما قال النبي ﷺ «**المجاهد من جاهد نفسه في الله**».

وقال عبد الله بن عمر لمن سأله عن الجهاد: ابدأ بنفسك فجاهدها وابدأ بنفسك فاغزها.

وقال بقية بن الوليد: أخبرنا إبراهيم بن أدهم قال: حدثنا الثقة عن علي بن أبي طالب قال: أول ما تنكرون من جهادكم أنفسكم. وقال إبراهيم بن أبي علقمة لقوم جاءوا من الغزو: قد جئتم من الجهاد الأصغر فما فعلتم في الجهاد الأكبر؟ قالوا: وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد القلب. ويروى هذا مرفوعًا من حديث جابر بإسناد ضعيف ولفظه «**قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر**، قالوا: وما الجهاد الأكبر؟ قال: **مجاهدة العبد هواه**». ويروى من حديث سعد بن سنان عن أنس عن النبي ﷺ قال: «**ليس عدوك الذي إذا قتلك أدخلك الجنة وإذا قتلته كان نورًا لك، وإنما أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك**». وقال أبو بكر الصديق ﷺ في وصيته لعمر حين استخلفه: إن أول ما أحذرك نفسك التي بين جنبيك، فهذا الجهاد يحتاج أيضًا إلى

صبر، فمن صبر على مجاهدة نفسه وهواه وشيطانه غلبه وحصل له النصر والظفر وملك نفسه فصار ملكًا عزيزًا، ومن جزع ولم يصبر على مجاهدة ذلك غلب وقهر وأسر وصار عبدًا ذليلا أسيرًا في يد شيطانه وهواه كما قيل:

إذا المــرء لم يغلــب هــواه أقامه بمنزلــة فــيها العزيــز ذلــيل

قال ابن المبارك: من صبر فما أقل ما يصبر، ومن جزع فما أقل ما يتمتع، فقوله ﷺ «**إن النصر مع الصبر**» يشمل النصر في الجهادين: جهاد العدو الظاهر وجهاد العدو الباطن، فمن صبر فيهما نصر وظفر بعدوه، ومن لم يصبر فيهما وجزع قهر وصار أسيرًا لعدوه أو قتيلا له. وقوله ﷺ «**وإن الفرج مع الكرب**» وهذا يشهد له قوله عز وجل: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ﴾ [الشورى: ٢٨].

وقول النبي ﷺ: «**ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره**» خرجه الإمام أحمد وخرجه ابنه عبد الله في حديث طويل، وفيه «**علم الله يوم الغيث أنه يشرف عليكم أذلين قنطين، فيظل يضحك قد علم أن غيركم إلى قرب**» والمعنى أنه سبحانه يعجب من قنوط عباده عند احتباس القطر عنهم وقنوطهم ويأسهم من الرحمة وقد اقترب وقت فرجه ورحمته لعباده بإنزال الغيث عليهم من قبله وتغييره لحالهم وهم لايشعرون وقال تعالى: ﴿ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴾ [الروم: ٤٨، ٤٩].

وقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا ﴾ [يوسف: ١١٠] وقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ٢١٤]. وقال حاكيًا عن يعقوب إنه قال لبنيه: ﴿ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ﴾ [يوسف: ٨٧] ثم قص قصة اجتماعهم عقب ذلك، وكم قص سبحانه من قصص تفريج كربات أنبيائه عند تناهي الكرب: كإنجاء نوح ومن معه في الفلك، وإنجاء إبراهيم من النار وفدائه لولده الذي أمر بذبحه، وإنجاء موسى وقومه من اليم وإغراق عدوهم، وقصة أيوب ويونس، وقصص محمد ﷺ مع أعدائه وإنجائه منهم، كقصته في الغار ويوم بدر ويوم أحد ويوم

الأحزاب ويوم حنين وغير ذلك.

وقوله ﷺ : «**فإن مع العسر يسرا**». هو منتزع من قوله تعالى: ﴿ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ [الطلاق:] وقوله عز وجل: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [الشرح: ٥، ٦].

وخرج البزار في مسنده وابن أبي حاتم واللفظ له من حديث أنس عن النبي ﷺ قال: «**لو جاء العسر فدخل هذا الجحر لجاء اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه، فأنزل الله عز وجل** ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ ».

وخرج البزار في مسنده وابن أبي حاتم واللفظ له من حديث أنس مرسلا نحوه، وفي حديثه فقال النبي ﷺ: «**لن يغلب عسر يسرين**».

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن ابن مسعود قال: لو أن العسر دخل في جحر لجاء اليسر حتى يدخل معه، ثم قال: قال الله تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾.

وبإسناده أن أبا عبيدة حضر فكتب عمر يقول: مهما ينزل بامرئ شدة يجعل الله بعدها فرجًا وإنه لن يغلب عسر يسرين، وإنه يقول: ﴿ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

ومن لطائف أسرار اقتران الفرج بالكرب واليسر بالعسر أن الكرب إذا اشتد وعظم وتناهى وحصل للعبد اليأس من كشفه من جهة المخلوقين وتعلق قلبه بالله وحده، وهذا هو حقيقة التوكل على الله، وهو من أعظم الأسباب التي تطلب بها الحوائج فإن الله يكفي من توكل عليه، كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق: ٣].

وروى آدم بن أبي إياس في تفسيره عن محمد بن إسحاق قال: جاء مالك الأشجعي إلى النبي ﷺ فقال «أسر ابني عوف، فقال له: **أرسل إليه أن رسول الله ﷺ يأمرك أن تكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله**، فأتاه الرسول فأخبره، فأكب عوف يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، وكانوا قد شدوه بالقد فسقط القد عنه،

فخرج فإذا هو بناقة لهم فركبها، فأقبل فإذا هو بسرح[1] القوم الذين كانوا شدوه، فصاح بهم فاتبع آخرها أولها، فلم يفجأ أبويه إلا وهو ينادي بالباب، فقال أبوه: عوف ورب الكعبة، فقالت أمه: وا سوأتاه عوف كئيب بألم ما فيه من القد، فاستبق الأب والخادم إليه، فإذا عوف قد ملأ الفناء إبلا، فقص على أبيه أمره وأمر الإبل، فأتى أبوه رسول الله ﷺ فأخبره بخبر عوف وخبر الإبل، فقال له رسول الله ﷺ : «**أصنع بها ما أحببت، وما كنت صانعًا بإبلك**»، ونزل ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]».

قال الفضيل: والله لو يئست من الخلق حتى لا تريد منهم شيئًا لأعطاك مولاك كل ما تريد.

وذكر إبراهيم بن أدهم عن بعضهم قال: ما سأل السائلون مسألة هي ألحف[2]، من أن يقول العبد ما شاء الله، قال: يعني بذلك التفويض إلى الله عز وجل. وقال سعيد بن سالم القداح: بلغني أن موسى عليه الصلاة والسلام كانت له إلى الله حاجة فطلبها فأبطأت عليه فقال: ما شاء الله، فإذا حاجته بين يديه، فعجب، فأوحى الله إليه: أما علمت أن قولك ما شاء الله أنجح ما طلبت به الحوائج. وأيضًا فإن المؤمن إذا استبطأ الفرج وأيس منه بعد كثرة دعائه وتضرعه ولم يظهر عليه أثر الإجابة فرجع إلى نفسه باللائمة وقال لها إنما أتيت من قبلك ولو كان فيك خير لأجبت. وهذا اللوم أحب إلى الله من كثير من الطاعات، فإنه يوجب انكسار العبد لمولاه واعترافه له بأنه أهل لما نزل من البلاء وأنه ليس أهلا لإجابة الدعاء فلذلك تسرع إليه حينئذ إجابة الدعاء وتفريج الكرب، فإنه تعالى عند المنكسرة قلوبهم من أجله.

قال وهب: تعبد رجل زمانًا ثم بدت له إلى الله حاجة فقام سبعين سبتًا يأكل في كل سبت إحدى عشرة تمرة، ثم سأل الله حاجته فلم يعطها، فرجع إلى نفسه فقال: منك أتيت لو كان فيك خير أعطيت حاجتك فنزل إليه عند ذلك ملك فقال له: يا بن آدم ساعتك هذه خير من عبادتك التي مضت وقد قضى الله حاجتك. أخرجه ابن أبي الدنيا. ولبعض المتقدمين في هذا المعنى:

---

(١) السرح: المال السائم.

(٢) أنجح.

عسى ما ترى أن لا يدوم وإن ترى لـه فـرجًا ممـا ألح بـه الدهـر
عسى فـرج يـأتي بـه الله إنـه لـه كـل يـوم في خليقـته أمـر
إذا لاح عسر فارتج [1] اليسر إنه قـضى الله أن العـسر يتبعه اليسر

(١) فارج يسرًا فإنه.

الفصل الثاني

الدعاء عبادة

الدعاء هو التوكل على الله تعالى

فضل الذكر [1]

قال الله تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة: ١٥٢]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤١]، ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥]. ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

وقال ﷺ: «**مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت**»[2].

وقال ﷺ: «**ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟** قالوا: بلى، قال: **ذكر الله تعالى**»[3].

وقال ﷺ: «**يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي شبرًا تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إليّ ذراعًا تقربت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة**»[4].

وعن عبد الله بن بسر ﷺ أن رجلا قال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فأخبرني بشيء أتشبث به. قال ﷺ «**لا يزال لسانك رطبًا من ذكر**

---

(١) حصن المسلم للعلامة سعيد بن وهب القحطاني جزاه الله خيرًا.

(٢) البخاري مع الفتح (٢٠٨/١١)، ومسلم بلفظ "مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت" (٥٣٩/١).

(٣) الترمذي ٥(٤٥٩/)، وابن ماجه (١٢٤٥/٢)، وانظر صحيح ابن ماجه (٣١٦/٢).

(٤) البخاري (١٧١/٨)، ومسلم (٢٠٦١/٤) واللفظ للبخاري.

الله»[١].

وقال ﷺ: «من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ﴿الٓمٓ﴾ حرف؛ ولكن: ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»[٢].

وعن عقبة بن عامر ﷺ قال: خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصفة فقال: «أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو إلى العقيق فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم ولا قطيعة رحم؟ فقلنا: يا رسول الله نحب ذلك قال: أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم، أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع، ومن أعدادهن من الإبل»[٣].

وقال ﷺ: «من قعد مقعدًا لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة، ومن اضطجع مضجعًا لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة»[٤].

وقال ﷺ: «ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه، ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة، فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم»[٥].

وقال ﷺ: «ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه إلا قاموا مثل جيفة حمار وكان لهم حسرة»[٦].

---

(١) الترمذي (٤٥٨/٥)، وابن ماجه (١٢٤٦/٢)، وصحيح الترمذي (١٣٩/٣)، وصحيح ابن ماجه (٣١٧/٢).

(٢) الترمذي (١٧٥/٥)، وانظر صحيح الترمذي (٩/٣)، وصحيح الجامع الصغير (٣٤٠/٥).

(٣) مسلم (٥٥٣/١).

(٤) أبو داود (٢٦٤/٤) وغيره، وانظر صحيح الجامع (٣٤٢/٥).

(٥) الترمذي، وانظر صحيح الترمذي (١٤٠/٣).

(٦) أبو داود (٢٦٤/٤)، وأحمد (٣٨٩/٢)، وانظر صحيح الجامع (١٧٦/٥).

١ - أذكار الاستيقاظ من النوم

١ - «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»[(١)].

٢ - قال رسول الله ﷺ: «من تعار من الليل فقال حين يستيقظ: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، رب اغفر لي. غفر له» قال الوليد: أو قال: «دعا استجيب له. فإن قام فتوضأ ثم صلى قبلت صلاته»[(٢)].

٣ - «الحمد لله الذي عافاني في جسدي، ورد علي روحي، وأذن لي بذكره»[(٣)].

٤ - ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١][(٤)].

٢ - دعاء لبس الثوب

٥ - «الحمد لله الذي كساني هذا (الثوب) ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة»[(٥)].

٣ - دعاء لبس الثوب الجديد

٦ - «اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه، أسألك من خيره وخير ما صنع له، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له»[(٦)].

---

(١) البخاري في الفتح (١١٣/١١) ومسلم (٢٠٨٣/٤).

(٢) البخاري مع الفتح (٣٩/٣)، وغيره، واللفظ لابن ماجه وانظر صحيح ابن ماجه (٣٣٥/٢).

(٣) الترمذي (٤٧٣/٥)، وصحيح الترمذي (١٤٤/٣).

(٤) البخاري مع الفتح (٢٣٥/٨)، ومسلم (٥٣٠/١).

(٥) أخرجه أهل السنن إلا النسائي.

(٦) أبو داود والترمذي والبغوي. وانظر مختصر شمائل الترمذي للألباني ص(٤٧).

٤- الدعاء لمن لبس ثوبًا جديدًا

٧- «تبلي ويخلف الله تعالى»[١].

٨- «البس جديدًا، وعش حميدًا، ومت شهيدًا»[٢].

٥- ما يقول إذا وضع ثوبه

٩- «بسم الله»[٣].

٦- دعاء دخول الخلاء

١٠- «بسم الله اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث»[٤].

٧- دعاء الخروج من الخلاء

١١- «غفرانك»[٥].

٨- الذكر قبل الوضوء

١٢- «بسم الله»[٦].

٩- الذكر بعد الفراغ من الوضوء

١٣- «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله»[٧].

١٤- «اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين»[٨].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤/٤١).

(٢) ابن ماجه (٢/١١٧٨)، والبغوي (١٢/٤١)، وانظر صحيح ابن ماجه (٢/٢٧٥).

(٣) الترمذي (٢/٥٠٥)، وغيره، وانظر الإرواء برقم (٤٩)، وصحيح الجامع (٣/٢٠٣).

(٤) أخرجه البخاري (١/٤٥)، ومسلم (١/٢٨٣). وزيادة "بسم الله في أوله" أخرجها سعيد بن منصور. انظر فتح الباري (١/٢٤٤).

(٥) أخرجه أصحاب السنن إلا النسائي أخرجه في عمل اليوم والليلة. انظر تخريج زاد المعاد (٢/٣٨٧).

(٦) أبو داود وابن ماجه، وأحمد. وانظر إرواء الغليل (١/١٢٢).

(٧) مسلم (١/٢٠٩).

(٨) الترمذي (١/٧٨) وانظر صحيح الترمذي (١/١٨).

١٥- «سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك»[١].

١٠- الذكر عند الخروج من المنزل

١٦- «بسم الله توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله»[٢].

١٧- «اللهم إني أعوذ بك أن أضل، أو أضل، أو أزل أو أزل، أو أظلم أو أظلم، أو أجهل أو يجهل علي»[٣].

١١- الذكر عند دخول المنزل

١٨- «بسم الله ولجنا، وبسم الله خرجنا، وعلى الله ربنا توكلنا، ثم ليسلم على أهله»[٤].

١٢- دعاء الذهاب إلى المسجد

١٩- «اللهم اجعل في قلبي نورًا، وفي لساني نورًا، واجعل في سمعي نورا، واجعل في بصري نورا، واجعل من خلفي نورا، ومن أمامي نورا، واجعل من فوقي نورا، ومن تحتي نورا، اللهم أعطني نورا»[٥].

١٣- دعاء دخول المسجد

٢٠- «أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم»[٦].

«بسم الله، والصلاة[٧]، والسلام على رسول الله[٨]، اللهم افتح لي أبواب

---

(١) النسائي في عمل اليوم والليلة ص(١٧٣)، وانظر الإرواء (١/١٣٥) و (٢/٩٤).

(٢) أبو داود (٤/٣٢٥)، وانظر صحيح الترمذي (١٣/١٥١).

(٣) أهل السنن، وانظر صحيح الترمذي (٣/١٥٢)، وصحيح ابن ماجه (٢/٣٣٦).

(٤) أخرجه أبو داود بإسناد صحيح (٤/٣٢٥).

(٥) مسلم (١/٥٣٠) واللفظ له، والبخاري مع الفتح (١١/١١٦) وفيه زيادات مفيدة ارجع إليها.

(٦) أبو داود، وانظر صحيح الجامع برقم (٤٥٩١).

(٧) رواه ابن السني برقم ٨٨ وحسنه الألباني.

(٨) أبو داود (١/١٢٦)، صحيح الجامع (١/٥٢٨).

رحمتك»[١].

١٤- دعاء الخروج من المسجد

٢١- «بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، اللهم إني أسألك من فضلك، اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم»[٢].

١٥- أذكار الأذان

٢٢- يقول مثل ما يقول المؤذن إلا في «حي على الصلاة وحي على الفلاح» فيبدلهما بـ «لا حول ولا قوة إلا بالله»[٣].

٢٣- يقول «وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالإسلام دينا»[٤]، يقول ذلك عقب تشهد المؤذن[٥].

٢٤- «يصلي على النبي بعد فراغه من إجابة المؤذن»[٦].

٢٥- يقول: «اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته إنك لا تخلف الميعاد»[٧].

٢٦- «يدعو لنفسه بين الأذان والإقامة، فإن الدعاء حينئذ لا يرد»[٨].

---

(١) مسلم ٤٩٤/١، وفي سنن ابن ماجه من حديث فاطمة رضي الله عنها «اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك» وصححه الألباني لشواهده. انظر صحيح ابن ماجه (١٢٨/١، ١٢٩).

(٢) انظر ما تقدم في التعاليق السابقة وزيادة «اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم» لابن ماجه، انظر صحيح ابن ماجه (١٢٩/١).

(٣) البخاري (١٥٢/١)، ومسلم (٢٨٨/١).

(٤) مسلم (٢٩٠/١).

(٥) ابن خزيمة (٢٢٠/١).

(٦) مسلم (٢٨٨/١).

(٧) البخاري (١٥٢/١)، وما بين المعقوفين للبيهقي (٤١٠/١) وإسناده جيد، انظر تحفة الأخيار للشيخ ابن باز ص (٣٨).

(٨) الترمذي وأبو داود، وانظر الإرواء (٢٦٢/١).

١٦- دعاء الاستفتاح

٢٧- «اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من خطاياي، كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلني من خطاياي بالثلج والماء والبرد»[١].

٢٨- «سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك»[٢].

٢٩- «وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين. اللهم أنت الملك لا إله أنت. أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعًا إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها، لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك، والخير كله بيديك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك»[٣].

٣٠- «اللهم رب جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون. اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»[٤].

٣١- «الله أكبر كبيرا، الله أكبر كبيرا، الله أكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا، والحمد لله كثيرا، والحمد لله كثيرا، وسبحان الله بكرة وأصيلا - ثلاثًا - أعوذ بالله من الشيطان من نفخه ونفثه وهمزه»[٥].

---

(١) البخاري ١/١٨١، ومسلم ١/٤١٩.

(٢) أخرجه أصحاب السنن الأربعة، وانظر صحيح الترمذي (١/٧٧)، وصحيح ابن ماجه (١/١٣٥).

(٣) أخرجه مسلم (١/٥٣٤).

(٤) أخرجه مسلم (١/٥٣٤).

(٥) أخرجه أبو داود (١/٢٠٣)، وابن ماجه (١/٢٦٥)، وأحمد (٤/٨٥)، وأخرجه مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: بينما نحن نصلي مع رسول الله ﷺ إذ قال رجل من القوم: الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا، فقال رسول الله ﷺ «من القائل =

٣٢- كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال: «**اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق، ووعدك الحق، وقولك الحق، ولقاؤك الحق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، والساعة حق ومحمد حق اللهم لك أسلمت، وعليك توكلت، وبك آمنت، وإليك أنبت وبك خاصمت، وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت، وما أعلنت أنت إلهي لا إله إلا أنت**»(١).

١٧- دعاء الركوع

٣٣- «**سبحان ربي العظيم**»(٢)، ثلاث مرات.

٣٤- «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي**»(٣).

٣٥- «**سبوح قدوس رب الملائكة والروح**»(٤).

٣٦- «**اللهم لك ركعت، وبك آمنت، ولك أسلمت خشع لك سمعي، وبصري، ومخي، وعظمي، وعصبي، وما استقل به قدمي**»(٥).

٣٧- «**سبحان ذي الجبروت، والملكوت، والكبرياء، والعظمة**»(٦).

١٨- دعاء الرفع من الركوع

٣٨- «**سمع الله لمن حمده**»(٧).

= كلمة كذا وكذا؟ قال رجل من القوم: أنا يا رسول الله! قال: عجبت لها فتحت لها أبواب السماء». مسلم (١/٤٢٠).

(١) البخاري مع الفتح (١١/٤٦٤)، ولفظه للبخاري من الموضعين رواه مسلم (١/٥٣٢).

(٢) أخرجه أهل السنن وأحمد، وانظر صحيح الترمذي (١/٨٣).

(٣) البخاري (١/١٩٩)، ومسلم (١/٣٥٠).

(٤) مسلم (١/٣٥٣).

(٥) مسلم (١/٥٣٤)، والأربعة إلا ابن ماجه.

(٦) أبو داود (١/٢٣٠)، والنسائي وأحمد، وإسناده حسن.

(٧) البخاري مع الفتح (٢/٢٨٢).

٣٩- «ربنا ولك الحمد، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه»[١].

٤٠- «ملء السموات وملء الأرض وما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد. أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد. اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»[٢].

١٩- دعاء السجود

٤١- «سبحان ربي الأعلى»، ثلاث مرات[٣].

٤٢- «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي»[٤].

٤٣- «سبوح قدوس رب الملائكة والروح»[٥].

٤٤- «اللهم لك سجدت وبك آمنت، ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوره، وشق سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين»[٦].

٤٥- «سبحان ذي الجبروت، والملكوت والكبرياء، والعظمة»[٧].

٤٦- «اللهم اغفر لي ذنبي كله، دقه وجله، وأوله وآخره، وعلانيته وسره»[٨].

٤٧- «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»[٩].

---

(١) البخاري مع الفتح (٢/٢٨٤).

(٢) مسلم (١/٣٤٦).

(٣) أخرجه أهل السنن وأحمد، وانظر صحيح الترمذي (١/٨٣).

(٤) البخاري ومسلم، وتقدم تخريجه برقم (٣٤).

(٥) مسلم، وتقدم تخريجه برقم (٣٥).

(٦) مسلم (١/٥٣٤)، وغيره.

(٧) أبو داود (١/٢٣٠)، والنسائي، وأحمد، وإسناده حسن.

(٨) مسلم (١/٣٥٠).

(٩) مسلم ١[/٣٥٢].

٢٠- من أدعية الجلسة بين السجدتين

٤٨- «رب اغفر لي، رب اغفر لي»(١).

٤٩- «اللهم اغفر لي، وارحمني، واهدني، واجبرني، وعافني، وارزقني، وارفعني»(٢).

٢١- دعاء سجود التلاوة

٥٠- «سجد وجهي للذي خلقه، وشق سمعه وبصره بحوله وقوته، فتبارك الله أحسن الخالقين»(٣).

٥١- «اللهم اكتب لي بها عندك أجرا، وضع عني بها وزرًا، واجعلها لي عندك ذخرًا وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود»(٤).

٢٢- التشهد

٥٢- «التحيات لله، والصلوات، والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله»(٥).

٢٣- الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد

٥٣- «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد»(٦).

٥٤- «اللهم صلِّ على محمد وعلى أزواجه وذريته، كما صليت على آل إبراهيم. وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته، كما باركت على آل إبراهيم.

---

(١) أبو داود [١/٢٣١]، وانظر صحيح ابن ماجه [١/١٤٨].

(٢) أخرجه أصحاب السنن إلا النسائي، وصحيح الترمذي ١/٩٠، وصحيح ابن ماجه [١/١٤٨].

(٣) الترمذي (٢/٤٧٤)، وأحمد (٦/٣٠)، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (١/٢٢٠) والزيادة له.

(٤) الترمذي (٢/٤٧٣)، والحاكم، ووافقه الذهبي (١/٢١٩).

(٥) البخاري مع الفتح (١١/١٣)، ومسلم (١/٣٠١).

(٦) البخاري مع الفتح (٦/٤٠٨).

إنك حميد مجيد»[١].

٢٤- الدعاء بعد التشهد الأخير قبل السلام

٥٥- «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب جهنم، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال»[٢].

٥٦- «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم»[٣].

٥٧- «اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم»[٤].

٥٨- «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني. أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت»[٥].

٥٩- «اللهم أعني على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك»[٦].

٦٠- «اللهم إني أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من أن أرد إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر»[٧].

٦١- «اللهم إني أسألك الجنة، وأعوذ بك من النار»[٨].

٦٢- «اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيرًا لي، اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب، وأسألك القصد في الغنى

---

(١) البخاري مع الفتح (٦/٤٠٧)، ومسلم (١/٣٠٦).

(٢) البخاري (٢/١٠٢)، ومسلم (١/٤١٢).

(٣) البخاري ١/٢٠٢، ومسلم (١/٤١٢).

(٤) البخاري ٨/١٦٨، ومسلم (٤/٢٠٧٨).

(٥) مسلم (١/٥٣٤).

(٦) أبو داود (٢/٨٦)، والنسائي (٣/٥٣).

(٧) البخاري مع الفتح (٦/٣٥).

(٨) أبو داود، وانظر صحيح ابن ماجه (٢/٣٢٨).

والفقر، وأسألك نعيمًا لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين»[(١)].

٦٣- «اللهم إني أسألك يا الله بأنك الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، أن تغفر لي ذنوبي إنك أنت الغفور الرحيم»[(٢)].

٦٤- «اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، المنان، يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار»[(٣)].

٦٥- «اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد»[(٤)].

٢٥- الأذكار بعد السلام من الصلاة

٦٦- «أستغفر الله (ثلاثا)، اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام»[(٥)].

٦٧- «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»[(٦)].

٦٨- «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل

---

(١) النسائي (٣/٥٤، ٥٥)، وأحمد (٤/٣٦٤).

(٢) أخرجه النسائي بلفظه (٣/٥٢)، وأحمد (٤/٣٣٨) وانظر صفة صلاة النبي ﷺ للألباني رحمه الله ص(٢٠٤).

(٣) رواه أهل السنن، وانظر صحيح ابن ماجه (٢/٣٢٩).

(٤) أبو داود (٢/٦٢)، وابن ماجه (٢/١٢٦٧)، وأحمد (٥/٣٦٠)، وانظر صحيح ابن ماجه (٢/٣٢٩)، وصحيح الترمذي (٣/١٦٣).

(٥) مسلم (١/٤١٤).

(٦) البخاري (١/٢٥٥)، ومسلم (٤١٤).

شيء قدير. لا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون»[١].

٦٩- «سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر (ثلاثا وثلاثين) لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»[٢].

٧٠- ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١]و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ [الفلق: ١] و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس: ١] بعد كل صلاة مرة واحدة، وبعد صلاة المغرب والفجر ثلاث مرات [٣].

٧١- «ويقرأ آية الكرسي عقب كل صلاة»[٤].

٧٢- «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير»[٥]، عشر مرات بعد صلاة المغرب والصبح.

٧٣- «اللهم إني أسألك علما نافعًا، ورزقًا طيبًا، وعملا متقبلا»[٦]، بعد السلام من صلاة الفجر.

٢٦- دعاء صلاة الاستخارة

٧٤- قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: «إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر – ويسمي حاجته – خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري – أو قال: عاجله وآجله – فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي

(١) مسلم (٤١٥/١).

(٢) "من قال ذلك دبر كل صلاة غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر" مسلم (٤١٨/١).

(٣) أبو داود (٨٦/٢)، وصحيح الترمذي (٨/٢).

(٤) النسائي، وانظر صحيح الجامع (٣٣٩/٥).

(٥) رواه الترمذي ٥١٥/٥، وأحمد ٢٢٧/٤، وانظر تخريجه في زاد المعاد ٣٠٠/١.

(٦) ابن ماجه وغيره، وانظر صحيح ابن ماجه ١٥٢/١، ومجمع الزوائد ١١١/١٠.

وعاقبة أمري – أو قال: عاجله وآجله – فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم أرضني به»[1].

وما ندم من استخار الخالق، وشاور المخلوقين المؤمنين وتثبت في أمره، فقد قال سبحانه: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

٢٧- أذكار الصباح والمساء

٧٥- «أمسينا وأمسى الملك لله والحمد لله، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، رب أسألك خير ما في هذه الليلة وخير ما بعدها، وأعوذ بك من شر هذه الليلة وشر ما بعدها، رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر، رب أعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبر» [2].

وإذا أصبح قال ذلك أيضًا: **«أصبحنا وأصبح الملك لله»**.

٧٦- «اللهم بك أصبحنا، وبك أمسينا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك النشور»[3]، وإذا أمسى فليقل: **«اللهم بك أمسينا، وبك أصبحنا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك المصير»**.

٧٧- «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»[4].

٧٨- «اللهم إني أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك، وملائكتك وجميع خلقك، أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأن محمدًا عبدك ورسولك»[5]، أربع مرات حين يصبح أو يمسي.

---

(١) البخاري ١٦٢/٧.

(٢) مسلم (٢٠٨٨/٤).

(٣) الترمذي (٤٦٦/٥)، وانظر صحيح الترمذي (١٤٢/٣).

(٤) البخاري (١٥٠/٧).

(٥) أبو داود (٣١٧/٤)، والبخاري في الأدب المفرد برقم (١٢٠١)، والنسائي في عمل اليوم والليلة برقم ٩ ص١٣٨، وابن السني برقم (٧٠)، وحسن سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله إسناد أبي داود والنسائي (تحفة الأخيار ص٢٣).

٧٩- «اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر. من قالها حين يصبح فقد أدى شكر يومه، و ومن قالها حين يمسي فقد أدى شكر ليلته»[١].

٨٠- «اللهم عافني في بدني، اللهم عافني في سمعي، اللهم عافني في بصري، لا إله إلا أنت. اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر، وأعوذ بك من عذاب القبر، لا إله إلا أنت» [٢]، ثلاثًا حين تصبح وثلاثًا حين تمسي.

٨١- «حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم»[٣]، سبع مرات حين يصبح ويمسي.

٨٢- «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق»[٤]، (ثلاث مرات).

٨٣- «اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي، ومالي، اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يدي، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك ان أغتال من تحتي»[٥].

٨٤- «اللهم عالم الغيب والشهادة فاطر السموات والأرض، رب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر الشيطان وشركه، وأن أقترف على نفسي سوءا، أو أجره إلى مسلم»[٦].

٨٥- «بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو

---

(١) أبو داود ٣١٨/٤، والنسائي في عمل اليوم والليلة برقم (٧) ص(١٣٧)، وابن السني برقم (٤١) ص(٢٣)، وابن حبان "موارد" رقم (٢٣٦١) وحسن الشيخ ابن باز رحمه الله إسناده، انظر تحفة الأخيار ص(٢٤).

(٢) أبو داود (٣٢٤/٤)، وأحمد (٤٢/٥)، والنسائي في عمل اليوم والليلة برقم (٢٢) ص(١٤٦)، وابن السني برقم (٦٩) ص(٣٥)، والبخاري في الأدب المفرد، وحسن الشيخ ابن باز رحمه الله إسناد هذا الحديث، انظر تحفة الأخيار ص(٢٦).

(٣) ابن السني برقم (٧٢) ص(٣٧)، وأبو داود (٣٢١/٤) وإسناده جيد.

(٤) الترمذي، وأحمد (٢٩٠/٢)، وانظر صحيح الترمذي (١٨٧/٣) وأصله عند مسلم (٢٠٨٠/٤).

(٥) أبو داود وابن ماجه، وانظر صحيح ابن ماجه (٣٣٢/٢).

(٦) الترمذي وأبو داود، وانظر صحيح الترمذي (١٤٢/٣).

السميع العليم»(١)، ثلاث مرات.

٨٦- «رضيت بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًا»(٢)، ثلاث مرات.

٨٧- «سبحان الله وبحمده: عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته»(٣). (ثلاث مرات) (٤).

٨٨- «سبحان الله وبحمده»(٥). (مائة مرة).

٨٩- «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين»(٦).

٩٠- «لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»(٧). (مائة مرة في كل يوم).

٩١- «أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين، اللهم إني أسألك خير هذا اليوم: فتحه، ونصره، ونوره، وبركته، وهداه، وأعوذ بك من شر ما فيه وشر ما بعده»(٨)، ثم إذا أمسى فليقل مثل ذلك.

٩٢- قال رسول الله ﷺ: «من قال حين يصبح: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. كان له عدل رقبة من ولد إسماعيل، وحط عنه عشر خطيئات، ورفع له عشر درجات، وكان في حرز من الشيطان حتى يمسي. وإذا أمسى فمثل ذلك حتى يصبح»(٩).

٩٣- كان النبي ﷺ يقول إذا أصبح وإذا أمسى: «أصبحنا على فطرة الإسلام، وعلى كلمة الإخلاص، وعلى دين نبينا محمد ﷺ، وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفًا

---

(١) أبو داود والترمذي، وصحيح ابن ماجه (٣٣٢/٢).

(٢) الترمذي (٤٦٥/٥)، وصحيح الترمذي (١٤١/٣).

(٣) أحمد ٣٣٧/٤، والنسائي في عمل اليوم والليلة برقم ٤ وابن السني برقم (٦٨).

(٤) مسلم (٢٠٩٠/٤).

(٥) مسلم (٢٠٧١/٤).

(٦) الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (٥٤٥/١)، وانظر صحيح الترغيب والترهيب (٢٧٣/١).

(٧) البخاري (٩٥/٤)، ومسلم (٢٠٧١/٤).

(٨) أبو داود (٣٢٢/٤)، وإسناده حسن، وانظر زاد المعاد (٣٧٣/٢).

(٩) رواه ابن ماجه، وانظر صحيح ابن ماجه (٣٣١/٢).

مسلمًا وما كان من المشركين»[١].

٩٤- وعن عبد الله بن خبيب قال: قال رسول الله ﷺ: «قل. قلت: يا رسول الله ما أقول؟ قال: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١] والمعوذتين حين تمسي، وحين تصبح ثلاث مرات تكفك من كل شيء»[٢].

٢٨- أذكار النوم

٩٥- كان ﷺ إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه، ثم نفث فيهما فقرأ فيهما: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١] و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس: ١] ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات [٣].

٦٩- «إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ حتى تختمها فإنه لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح»[٤].

٩٧- «من قرأ آيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] إلى آخر السورة»[٥].

٩٨- «إذا قام أحدكم من فراشه ثم رجع إليه فلينفضه بصنفه إزاره ثلاث مرات فإنه لا يدري ما خلفه عليه بعده، وإذا اضطجع فليقل: باسمك ربي وضعت جنبي، وبك أرفعه، فإن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين»[٦].

---

(١) أخرجه أحمد (٤٠٦/٣، ٤٠٧) و (١٢٣/٥). وانظر صحيح الجامع (٢٠٩/٤)، ورواه ابن السني في عمل اليوم والليلة برقم (٣٤).

(٢) أبو داود (٣٢٢/٤)، وصحيح الترمذي (١٨٢/٣).

(٣) البخاري مع الفتح (٦٢/٩)، ومسلم (١٧٢٣/٤).

(٤) البخاري مع الفتح (٤٨٧/٤).

(٥) البخاي مع الفتح (٩٤/٩)، ومسلم (٥٥٤/١).

(٦) البخاري (١٢٦/١١)، ومسلم (٢٠٨٤/٤).

٩٩- «اللهم إنك خلقت نفسي وأنت توفاها لك مماتها ومحياها، إن أحييتها فاحفظها، وإن أمتها فاغفر لها، اللهم إني أسألك العافية»[١].

١٠٠- كان ﷺ إذا أراد أن يرقد وضع يده اليمنى تحت خده ثم يقول: «اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك»[٢]، ثلاث مرات.

١٠١- «باسمك اللهم أموت وأحيا»[٣].

١٠٢- «ألا أدلكما على ما هو خير لكما من خادم: إذا أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثا وثلاثين، واحمدا ثلاثا وثلاثين، وكبرا أربعًا وثلاثين، فإنه خير لكما من خادم»[٤].

١٠٣- «اللهم رب السموات السبع، ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته. اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين وأغننا من الفقر»[٥].

١٠٤- «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا، وكفانا وآوانا، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي»[٦].

١٠٥- «اللهم عالم الغيب والشهادة فاطر السموات والأرض، رب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر الشيطان وشركه، وأن أقترف على نفسي سوءا، أو أجره إلى مسلم»[٧].

١٠٦- كان ﷺ لاينام حتى يقرأ ﴿ الٓمٓ ﴾ [البقرة: ١]و﴿ تَنزِيلُ ﴾ ... السجدة

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٨٣/٤) وأحمد بلفظه (٧٩/٢).

(٢) أبو داود بلفظه (٣١١/٤)، وانظر الترمذي (١٤٣/٣).

(٣) البخاري مع الفتح (١١٣/١١)، ومسلم (٢٠٨٣/٤).

(٤) البخاري مع الفتح (٧١/٧)، ومسلم (٢٠٩١/٤).

(٥) مسلم (٢٠٨٤/٤).

(٦) مسلم (٢٠٨٥/٤).

(٧) أبو داود (٣١٧/٤)، وصحيح الترمذي (١٤٢/٣).

و ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾ [الملك: ١][(١)].

١٠٧- **«إذا اخذت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهم أسلمت نفسي إليك، وفوضت أمري إليك، ووجهت وجهي إليك، وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت. فإن مت، مت على الفطرة»**[(٢)].

٢٩- الدعاء إذا تقلب ليلا

١٠٨- عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا تضور من الليل قال: **«لا إله إلا الله الواحد القهار، رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار»**[(٣)].

٣٠- دعاء القلق والفزع في النوم ومن بلي بالوحشة وغير ذلك

١٠٩- **«أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه، وشر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون»**[(٤)].

٣١- ما يفعل من رأى الرؤيا أو الحلم

١١٠- **«الرؤيا الصالحة من الله، والحلم من الشياطين، فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب...الحديث»**[(٥)]. وخلاصة ما يفعل من رأى ما يكره في منامه أن يفعل ما يأتي:

١- **«ينفث عن يساره» ثلاثا**[(٦)].

---

(١) انظر صحيح الجامع (٤/٢٥٥).

(٢) البخاري مع الفتح (١١/١١٣)، وصحيح مسلم (٤/٢٠٨١).

(٣) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (١/٥٤٠)، والنسائي في عمل اليوم والليلة، وابن السني، وانظر صحيح الجامع (٤/٢١٣).

(٤) أبو داود (٤/١٢)، وانظر صحيح الترمذي (٣/١٧١).

(٥) مسلم بلفظه (٤/١٠٧٢) والبخاري (٧/٢٤).

(٦) مسلم (٤/١٠٧٢).

٢- «يستعيذ بالله من الشيطان، ومن شر ما رأى، ثلاث مرات»[(١)].

٣- «لا يحدث بها أحدًا»[(٢)].

٤- «يتحول عن جنبه الذي كان عليه»[(٣)].

٥- «يقوم يصلي إن أراد ذلك»[(٤)].

٣٢- دعاء قنوت الوتر

١١١- «اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يقضى عليك، إنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت تباركت ربنا وتعاليت»[(٥)].

١١٢- «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»[(٦)].

١١٣- «اللهم إياك نعبد، ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك، ونخشى عذابك، إن عذابك بالكافرين ملحق. اللهم إنا نستعينك ونستغفرك، ونثني عليك الخير، ولا نكفرك، ونؤمن بك ونخضع لك ونخلع من يكفرك»[(٧)].

٣٣- الذكر عقب السلام من الوتر

١١٤- كان رسول الله ﷺ يقرأ في الوتر ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ [الأعلى: ١]

---

(١) مسلم (٤/١٧٧٢، ١٧٧٣).

(٢) مسلم (٤/١٧٧٢).

(٣) مسلم (٤/١٧٧٣).

(٤) مسلم (٤/١٧٧٣).

(٥) أخرجه أصحاب السنن الأربع، وأحمد والدارمي والحاكم والبيهقي، وما بين المعقوفين للبيقهي، وانظر صحيح الترمذي (١/١٤٤).

(٦) أخرجه أصحاب السنن الأربع وأحمد، وانظر صحيح الترمذي ٣/١٨٠، وصحيح ابن ماجه (١/١٩٤)، والإرواء (٢/١٧٥).

(٧) البيهقي في الكبرى، وصحح إسناده (٢/٢١١). وقال الشيخ الألباني رحمه الله في إرواء الغليل: وهذا إسناد صحيح (٢/١٧٠) وهو موقوف على عمر.

و ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [الكافرون: ١] و ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾، فإذا سلم قال: «سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح»[١]، ثلاث مرات، والثالثة يجهر بها ويمد بها صوته.

٣٤- دعاء الهم والحزن

١١٥- «اللهم إني عبدك، ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي»[٢].

١١٦- «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين وغلبة الرجال»[٣].

٣٥- دعاء الكرب

١١٧- «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم»[٤].

١١٨- «اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت»[٥].

١١٩- «لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين»[٦].

١٢٠- «الله الله ربي لا أشرك به شيئًا»[٧].

---

(١) رواه النسائي (٣/٢٤٤) وغيره، وما بين المعقوفين زيادة للدارقطني (٢/٣١)، وإسناده صحيح.

(٢) أحمد (١/٣٩١)، وصححه الألباني.

(٣) البخاري (٧/١٥٨)، كان الرسول ﷺ يكثر من هذا الدعاء انظر البخاري مع الفتح (١١/ ١٧٣).

(٤) البخاري (٧/١٥٤)، ومسلم (٤/٢٠٢٩).

(٥) أبو داود (٤/٣٢٤)، وأحمد (٥/٤٢)، وحسنه الألباني رحمه الله.

(٦) الترمذي (٥/٥٢٩)، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (١/٥٠٥) صحيح الترمذي (٣/١٦٨).

(٧) أخرجه أبو داود (٢/٨٧)، وانظر صحيح ابن ماجه (٢/٣٣٥).

٣٦- دعاء لقاء العدو وذي السلطان

١٢١- «اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم»(١).

١٢٢- «اللهم أنت عضدي، وأنت نصيري، بك أجول وبك أصول وبك أقاتل»(٢).

١٢٣- «حسبنا الله ونعم الوكيل»(٣).

٣٧- دعاء من أصابه شك في الإيمان

١٢٤- «يستعيذ بالله»(٤).

«ينتهي عما شك فيه»(٥).

١٢٥- يقول: «آمنت بالله ورسله»(٦).

١٢٦- يقرأ قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣](٧).

٣٨- دعاء قضاء الدين

١٢٧- «اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عمن سواك»(٨).

١٢٨- «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين وغلبة الرجال»(٩).

٣٩- دعاء من نزل به وسوسة في صلاته أو قراءته

١٢٩- عن عثمان بن العاص ﷺ قال: قلت: يا رسول الله، إن الشيطان قد

---

(١) أبو داود (٨٩/٢)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (١٤٢/٢).

(٢) أبو داود (٤٢/٣)، والترمذي (٥٧٢/٥)، وانظر صحيح الترمذي (١٨٣/٣).

(٣) البخاري (١٧٢/٥).

(٤) البخاري مع الفتح (٣٣٦/٦)، ومسلم (١٢٠/١).

(٥) البخاري مع الفتح (٣٣٦/٦)، ومسلم (١٢٠/١).

(٦) مسلم (١١٩/١ - ١٢٠).

(٧) أبو داود (٣٢٩/٤)، وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله، والأرناؤوط.

(٨) الترمذي (٥٦٠/٥)، وصحيح الترمذي (١٨٠/٣).

(٩) البخاري (١٥٨/٧).

حال بيني وبين صلاتي، وقراءتي يلبسها علي، فقال رسول الله ﷺ: «**ذلك شيطان يقال له خنزب، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه، واتفل عن يسارك ثلاثا**»[١].

٤٠- دعاء من استصعب أمرًا

١٣٠- «**اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا**»[٢].

٤١- ما يقول ويفعل من أذنب ذنبًا

١٣١- «**ما من عبد يذنب ذنبًا فيحسن الطهور، ثم يقوم فيصلي ركعتين، ثم يستغفر الله إلا غفر الله له**»[٣].

٤٢- الدعاء الذي يطرد الشيطان ووساوسه

١٣٢- «**الاستعاذة بالله منه**»[٤].

١٣٣- «**الأذان**»[٥].

١٣٤- «**الأذكار المشروعة، وقراءة القرآن**»[٦].

---

(١) مسلم (١٧٢٩/٤)، وفيه: ففعلت ذلك فأذهبه الله عني.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه برقم (٤٢٧) "موارد" وابن السني برقم (٣٥١) وقال الحافظ: هذا حديث صحيح، وانظر الأذكار للنووي ص(١٠٦)، وعمل اليوم والليلة لابن السني تحقيق بشر محمد عيون ص(١٧١) برقم (٣٥١).

(٣) أبو داود (٨٦/٢)، والترمذي (٢٥٧/٢)، وانظر صحيح الجامع (١٧٣/٥).

(٤) أبو داود (٢٠٦/١) والترمذي، وصحيح الترمذي (٧٧/١)، وانظر سورة [المؤمنون آية ٩٨ - ٩٩].

(٥) مسلم (٢٩١/١)، والبخاري (١٥١/١).

(٦) «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة»، رواه مسلم (٥٣٩/١). ومما يطرد الشيطان أذكار الصباح والمساء، والنوم والاستيقاظ، وأذكار دخول المنزل والخروج منه، وأذكار دخول المسجد والخروج منه. وغير ذلك من الأذكار المشروعة، مثل قراءة آية الكرسي عند النوم، والآيتين الأخيرتين من سورة البقرة ومن قال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائة مرة كانت له حرزًا من الشيطان يومه كله»، وكذا الأذان يطرد الشيطان.

٤٣- الدعاء حينما يقع ما لا يرضاه أو غلب على أمره

١٣٥- «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل. فإن لو تفتح عمل الشيطان»(١).

١٣٦- «إن الله تعالى يلوم على العجز، ولكن عليك بالكيس فإذا غلبك أمر فقل: حسبي الله ونعم الوكيل»(٢).

٤٤- ما يعوذ به الأولاد

١٣٧- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين: «أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة»(٣).

٤٥- الدعاء للمريض في عيادته

١٣٨- كان النبي ﷺ إذا دخل على مريض يعوده قال له: «لا بأس طهور إن شاء الله»(٤).

١٣٩- «ما من عبد مسلم يعود مريضًا لم يحضر أجله فيقول سبع مرات: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك، إلا عوفي»(٥).

٤٦- فضل عيادة المريض

١٤٠- عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا عاد الرجل أخاه المسلم مشى في خرافة الجنة حتى يجلس، فإذا جلس غمرته الرحمة فإن كان غدوة صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي، وإن كان مساء صلى

---

(١) مسلم (٤/٢٠٥٢).

(٢) انظر تخريج الأذكار للأرناؤوط ص(١٠٦).

(٣) البخاري (٤/١١٩).

(٤) البخاري مع الفتح (١٠/١١٨).

(٥) أخرجه الترمذي وأبو داود، وانظر صحيح الترمذي (٢/٢١٠)، وصحيح الجامع (٥/١٨٠).

عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح»[١].

٤٧- دعاء المريض الذي يئس من حياته

١٤١ – «اللهم اغفر لي، وارحمني والحقني بالرفيق الأعلى»[٢].

١٤٢ – عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن النبي ﷺ جعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول: «لا إله إلا الله، إن للموت لسكرات»[٣].

١٤٣ – «لا إله إلا الله والله أكبر، لا إله إلا الله وحده، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا إله إلا الله له الملك وله الحمد، لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله»[٤].

٤٨- تلقين المحتضر

١٤٤ – «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»[٥].

٤٩- دعاء من أصيب بمصيبة

١٤٥ – «إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرًا منها»[٦].

٥٠- الدعاء عند إغماض الميت

١٤٦ – «اللهم اغفر لفلان (باسمه) وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له في قبره ونور له فيه»[٧].

---

(١) انظر صحيح ابن ماجه (١/٢٤٤)، وصحيح الترمذي (١/٢٨٦) وصححه أيضًا أحمد شاكر.
(٢) البخاري (٧/١٠)، ومسلم (٤/١٨٩٣).
(٣) البخاري مع الفتح (٨/١٤٤)، وفي الحديث السواك.
(٤) أبو داود (٣/١٩٠)، وانظر صحيح الجامع (٥/٣٤٢).
(٥) مسلم (٢/٦٣٢).
(٦) أخرجه الترمذي وابن ماجه، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله انظر صحيح الترمذي (٣/١٥٢)، وصحيح ابن ماجه (٢/٣١٧).
(٧) مسلم (٢/٦٣٤).

٥١- الدعاء للميت في الصلاة عليه

١٤٧- «الله اغفر له وارحمه، وعافه واعف عنه، وأكرم نزله، ووسع مدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس وأبدله دارًا خيرًا من داره وأهلا خيرًا من أهله، وزوجًا خيرًا من زوجه، وأدخله الجنة، وأعذه من عذاب القبر [وعذاب النار]»(١).

١٤٨- «اللهم اغفر لحينا، وميتنا، وشاهدنا وغائبنا، وصغيرنا وكبيرنا، وذكرنا وأنثانا، اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان، اللهم لا تحرمنا أجره ولاتضلنا بعده»(٢).

١٤٩- «اللهم إن فلان ابن فلان في ذمتك، وحبل جوارك، فقه من فتنة القبر وعذاب النار، وأنت أهل الوفاء والحق. فاغفر له وارحمه إنك أنت الغفور الرحيم»(٣).

١٥٠- «اللهم عبدك وابن أمتك احتاج إلى رحمتك، وأنت غني عن عذابه، إن كان محسنًا فزد في حسناته، وإن كان مسيئًا فتجاوز عنه»(٤).

٥٢- الدعاء للفرط في الصلاة عليه

١٥١- يقال بعد الدعاء بالمغفرة: «اللهم اجعله فرطًا وذخرًا لوالديه، وشفيعًا مجابًا. اللهم ثقل به موازينهما وأعظم به أجورهما، وألحقه بصالح المؤمنين، واجعله في كفالة إبراهيم، وقه برحمتك عذاب الجحيم»(٥).

١٥٢- كان الحسن يقرأ على الطفل بفاتحة الكتاب ويقول: «اللهم اجعله لنا فرطًا وسلفًا وأجرًا»(٦).

---

(١) مسلم (٢/٦٦٣).

(٢) أحمد (٢/٣٦٨)، وانظر صحيح ابن ماجه (١/٢٥١).

(٣) انظر صحيح ابن ماجه (١/٢٥١) وأبو داود (٣/٢١١).

(٤) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي ١/٣٥٩، وأحكام الجنائز للألباني رحمه الله ص(١٢٥).

(٥) الدروس المهمة لعامة الأمة للشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله ص(١٥).

(٦) أخرجه البغوي في شرح السنة (٥/٣٥٧)، وقال: علقه البخاري.

٥٣- دعاء التعزية

١٥٣- «إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب»[١].

وإن قال: «أعظم الله أجرك، وأحسن عزاءك وغفر لميتك» [٢]، فحسن.

٥٤- الدعاء عند إدخال الميت القبر

١٥٤- «بسم الله وعلى سنة رسول الله»[٣].

٥٥- الدعاء بعد دفن الميت

١٥٥- كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال: «استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت، فإنه الآن يسأل»[٤].

٥٦- دعاء زيارة القبور

١٥٦- «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية»[٥].

٥٧- دعاء الريح

١٥٧- «اللهم إني أسألك خيرها، وأعوذ بك من شرها»[٦].

١٥٨- «اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها، وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها، وشر ما أرسلت به»[٧].

---

(١) البخاري (٢/٨٠)، ومسلم (٢/٦٣٦).

(٢) الأذكار للنووي ص(١٢٦).

(٣) أبو داود (٣/٣١٤) بسند صحيح. وأحمد بلفظ: "بسم الله وعلى ملة رسول الله" وسنده صحيح.

(٤) أبو داود (٣/٣١٥)، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (١/٣٧٠).

(٥) مسلم (٢/٦٧١).

(٦) أخرجه أبو داود (٤/٣٢٦)، وابن ماجه (٢/١٢٢٨)، وانظر صحيح ابن ماجه (٢/٣٠٥).

(٧) مسلم (٢/٦١٦)، والبخاري (٤/٧٦).

٥٨- دعاء الرعد

١٥٩- كان عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما إذا سمع الرعد ترك الحديث، وقال: «سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته»[(١)].

٥٩- من أدعية الاستسقاء

١٦٠- «اللهم اسقنا غيثًا مريئًا مربعًا، نافعًا غير ضار، عاجلا غير آجل»[(٢)].

١٦١- «اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا»[(٣)].

١٦٢- «اللهم اسق عبادك، وبهائمك، وانشر رحمتك، وأحيِ بلدك الميت»[(٤)].

٦٠- الدعاء إذا نزل المطر

١٦٣- «اللهم صيبًا نافعًا»[(٥)].

٦١- الذكر بعد نزول المطر

١٦٤- «مطرنا بفضل الله ورحمته»[(٦)].

٦٢- من أدعية الاستصحاء [رفع المطر]

١٦٥- «اللهم حوالينا ولا علينا. اللهم على الآكام والظراب، وبطون الأودية، ومنابت الشجر»[(٧)].

٦٣- دعاء رؤية الهلال

١٦٦- «الله أكبر، اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام، والتوفيق لما تحب ربنا وترضى، ربنا وربك الله»[(٨)].

---

(١) الموطأ (٢/٩٩٢)، وقال الألباني رحمه الله صحيح الإسناد موقوفًا.

(٢) أبو داود (١/٣٠٣) بإسناد صحيح.

(٣) البخاري (١/٢٢٤)، ومسلم (٦١٣).

(٤) أبو داود (١/٣٠٥)، والأذكار للنووي ص(١٥٠).

(٥) البخاري مع الفتح (٢/٥١٨).

(٦) البخاري ١/٢٠٥)، ومسلم (١/٨٣).

(٧) البخاري (١/٢٢٤)، ومسلم ٢/٦١٤.

(٨) الترمذي (٥/٥٠٤) والدارمي بلفظه (١/٣٣٦)وانظر صحيح الترمذي (٣/١٥٧).

٦٤- الدعاء عند إفطار الصائم

١٦٧- «ذهب الظمأ وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله»(١).

١٦٨- عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «إن للصائم عند فطره لدعوة ما ترد» قال ابن أبي مليكة: سمعت عبد الله بن عمرو يقول إذا أفطر: «اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي»(٢).

٦٥- الدعاء قبل الطعام

١٦٩- «إذا أكل أحدكم طعامًا فليقل: بسم الله، فإن نسي في أوله فليقل: بسم الله أوله وآخره»(٣).

١٧٠- «من أطعمه الله الطعام فليقل: اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرًا منه، ومن سقاه الله لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه»(٤).

٦٦- الدعاء عند الفراغ من الطعام

١٧١- «الحمد لله الذي أطعمني هذا، ورزقنيه، من غير حول مني ولا قوة»(٥).

١٧٢- «الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه غير [مكفي ولا]مودع، ولا مستغنى عنه ربنا»(٦).

٦٧- دعاء الضيف لصاحب الطعام

١٧٣- «اللهم بارك لهم فيما رزقتهم، واغفر لهم وارحمهم»(٧).

٦٨- الدعاء لمن سقاه أو إذا أراد ذلك

١٧٤- «اللهم أطعم من أطعمني، واسق من سقاني»(٨).

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/٣٠٦)، وغيره، وانظر صحيح الجامع (٤/٢٠٩).

(٢) أخرجه ابن ماجه (١/٥٥٧) وحسنه الحافظ في تخريج الأذكار، وانظر شرح الأذكار (٤/٣٤٢).

(٣) أخرجه أبو داود (٣/٣٤٧)، والترمذي (٤/٢٨٨)، وانظر صحيح الترمذي (٢/١٦٧).

(٤) الترمذي (٥/٥٠٦) وصحيح الترمذي (٣/١٥٨).

(٥) أخرجه أصحاب السنن إلا النسائي، وانظر صحيح الترمذي (٣/١٥٩).

(٦) البخاري (٦/٢١٤)، والترمذي بلفظه (٥/٥٠٧).

(٧) مسلم (٣/١٦١٥).

(٨) مسلم (٣/١٢٦).

٦٩- الدعاء إذا أفطر عند أهل بيت

١٧٥- «أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار، وصلت عليكم الملائكة»[(١)].

٧٠- دعاء الصائم إذا حضر الطعام ولم يفطر

١٧٦- «إذا دعي أحدكم فليجب، فإن كان صائمًا فليصل، وإن كان مفطرًا فليطعم»[(٢)]، ومعنى فليصل: أي فليدع.

٧١- الدعاء عند رؤية باكورة الثمر

١٧٧- «اللهم بارك لنا في ثمرنا، وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في مدنا»[(٣)].

٧٢- دعاء العطاس

١٧٨- «إذا عطس أحكم فليقل: الحمد لله وليقل له أخوه أو صاحبه: يرحمك الله فإذا قال له: يرحمك الله فليقل: يهديكم الله ويصلح بالكم»[(٤)].

٧٣- الدعاء للمتزوج

١٧٩- «بارك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكما في خير»[(٥)].

٧٤- دعاء المتزوج لنفسه ودعاء شراء الدابة

١٨٠- «إذا تزوج أحدكم امرأة أو إذا اشترى خادما فليقل: اللهم إني أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه، وإذا اشترى بعيرًا فليأخذ بذروة سنامه وليقل مثل ذلك»[(٦)].

---

(١) سنن أبي داود (٣/٣٦٧)، وصححه الألباني رحمه الله في تخريج الكلم ص(١٠٣).

(٢) مسلم (٢/١٠٥٤).

(٣) البخاري (٧/١٢٥).

(٤) مسلم (٢/١٠٠).

(٥) أخرجه أصحاب السنن إلا النسائي، وانظر صحيح الترمذي (١/٣١٦).

(٦) أبو داود (٢/٢٤٨)، وانظر صحيح ابن ماجه (١/٣٢٤).

٧٥- الدعاء قبل الجماع

١٨١ - «بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا»[١].

٧٦- دعاء الغضب

١٨٢ - «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»[٢].

٧٧- دعاء من رأى مبتلى

١٨٣ - «الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به، وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلا»[٣].

٧٨- ما يقال في المجلس

١٨٤ - عن ابن عمر قال: كان يعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة من قبل أن يقوم «رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور»[٤].

٧٩- كفارة المجلس

١٨٥ - «سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك»[٥].

٨٠- ما يختم به جميع المجالس

١٨٦ - عن عائشة قالت: ما جلس رسول الله ﷺ مجلسًا قط، ولا تلا قرآنا، ولا صلى صلاة إلا ختم ذلك بكلمات قالت: فقلت يا رسول الله أراك ما تجلس مجلسا ولا تتلو قرآنا، ولا تصلي صلاة إلا ختمت بهؤلاء الكلمات؟ قال: «نعم من قال خيرا ختم له طابع على ذلك الخير، ومن قال شرًا كن له كفارة: سبحانك وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك»[٦].

---

(١) البخاري (٦/١٤١)، ومسلم (٢/١٠٨٢).

(٢) البخاري (٧/٩٩)، ومسلم (٤/٢٠١٥).

(٣) الترمذي (٥/٤٩٤)، وصحيح الترمذي (٣/١٥٣).

(٤) صحيح الترمذي (٣/١٥٣)، وصحيح ابن ماجه (٢/٣٢١).

(٥) أخرجه أصحاب السنن، وصحيح الترمذي (٣٠/١٥٣).

(٦) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة ص(٢٧٣)، والإمام أحمد في المسند (٦/٧٧).

٨١- الدعاء لمن قال: غفر الله لك

١٨٧- عن عبد الله بن سرجس قال: أتيت النبي ﷺ فأكلت من طعامه فقلت: غفر الله لك يا رسول الله، قال: «ولك»[١].

٨٢- الدعاء لمن صنع إليك معروفاً

١٨٨- «من صنع إليه معروف فقال لفاعله: جزاك الله خيرًا فقد أبلغ في الثناء»[٢].

٨٣- الذكر الذي يعصم الله به من الدجال

١٨٩- «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال»[٣]. والاستعاذة بالله من فتنته، عقب التشهد الأخير من كل صلاة.

٨٤- الدعاء لمن قال: إني أحبك في الله

١٩٠- «أحبك الذي أحببتني له»[٤].

٨٥- الدعاء لمن عرض عليك ماله

١٩١- «بارك الله لك في أهلك ومالك»[٥].

٨٦- الدعاء لمن أقرض عند القضاء

١٩٢- «بارك الله لك في أهلك ومالك، إنما جزاء السلف الحمد والأداء»[٦].

٨٧- دعاء الخوف من الشرك

١٩٣- «اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم»[٧].

---

(١) الإمام أحمد (٥/٨٢)، والنسائي في عمل اليوم والليلة ص(٢١٨) برقم (٤٢١)المحقق.

(٢) أخرجه أبو داود بإسناد صحيح (٤/٣٣٣).

(٣) أخرجه الترمذي رقم (٢٠٣٥)، وانظر صحيح الجامع (٦٢٤٤)، وصحيح الترمذي (٢/٢٠٠).

(٤) مسلم (١/٥٥٥). انظر حديث رقم (٥٥)، وحديث (٥٦).

(٥) البخاري مع الفتح (٤/٨٨).

(٦) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة ص(٣٠٠)، وابن ماجه (٢/٨٠٩)، وصحيح ابن ماجه (٢/٥٥).

(٧) أحمد (٤/٤٠٣)، وصحيح الجامع (٣/٢٣٣) وصحيح الترغيب والترهيب للألباني رحمه الله (١/١٩).

٨٨- ما يقول من أهدى هدية أو تصدق بصدقة فدعى له

١٩٤- عن عائشة رضي الله عنها قالت: أهديت لرسول الله ﷺ شاة فقال: «اقسميها»[١]، وكانت عائشة رضي الله عنها إذا رجع الخادم تقول: ماذا قالوا؟ قال: يقولون: بارك الله فيكم، فتقول عائشة: وفيهم بارك الله، نرد عليهم مثل ما قالوا ويبقى أجرنا لنا.

٨٩- دعاء كراهية الطيرة

١٩٥- «اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا إله غيرك»[٢].

٩٠- دعاء ركوب الدابة أو ما يقوم مقامها

١٩٦- «بسم الله، الحمد لله، سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، الحمد لله، الحمد لله، الحمد لله، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، سبحانك اللهم إني ظلمت نفسي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»[٣].

٩١- دعاء السفر

١٩٧- «الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى اللهم هون علينا سفرنا هذا، وطوعنا بعده اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في المال والأهل، وإذا رجع قالهن وزاد فيهن: آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون»[٤].

٩٢- دعاء دخول القرية أو البلدة

١٩٨- «اللهم رب السموات السبع وما أظللن، ورب الأرضين السبع وما

---

(١) أخرجه ابن السني ص(١٣٨) برقم (٢٧٨)، وانظر الوابل الصيب لابن القيم ص(٣٠٤).

(٢) أحمد (٢/٢٢٠)، والسلسلة الصحيحة رقم (١٠٦٥).

(٣) أبو داود (٣/٣٤)، والترمذي (٥/٥٠١).

(٤) مسلم (٢/٩٩٨).

أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما ذرين. أسألك خير هذه القرية وخير أهلها، وخير ما فيها، وأعوذ بك من شرها، وشر أهلها، وشر ما فيها»(١).

٩٣- دعاء دخول السوق

١٩٩- «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير»(٢).

٩٤- الدعاء إذا تعثرت الدابة أو ما يقوم مقامها.

٢٠٠- «بسم الله»(٣).

٩٥- دعاء المسافر للمقيم

٢٠١- «أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه»(٤).

٩٦- دعاء المقيم للمسافر

٢٠٢- «أستودع الله دينك، وأمانتك، وخواتيم عملك»(٥).

٢٠٣- «زودك الله التقوى، وغفر ذنبك، ويسر لك الخير حيث ما كنت»(٦).

٩٧- التكبير على المرتفعات والتسبيح إذا هبط

٢٠٤- عن جابر رضي الله عنهما قال: «كنا إذا صعدنا كبرنا، وإذا هبطنا سبحنا»(٧).

---

(١) الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (٢/١٠٠)، وابن السني برقم (٥٢٤)، وحسنه الحافظ في تخريج الأذكار (٥/١٥٤)، قال الشيخ ابن باز رحمه الله: ورواه النسائي بإسناد حسن، انظر تحفة الأخيار ص(٣٧).

(٢) الترمذي (٥/٤٩١)، والحاكم (١/٥٣٨)، وانظر صحيح الترمذي (٢/١٥٢).

(٣) أبو داود (٤/٢٩٦)، وإسناده صحيح.

(٤) أحمد (٢/٤٠٣)، وابن ماجه (٢/٩٤٣)، وانظر صحيح ابن ماجه (٢/١٣٣).

(٥) أحمد ٢/٧، والترمذي ٥/٤٩٩، وانظر صحيح الترمذي ٢/١٥٥.

(٦) الترمذي وانظر الترمذي (٣/١٥٥).

(٧) البخاري مع الفتح (٦/١٣٥).

٩٨- دعاء المسافر إذا أسحر

٢٠٥- «سمع سامع بحمد الله، وحسن بلائه علينا. ربنا صاحبنا، وأفضل علينا عائذًا بالله من النار»(١).

٩٩- الدعاء إذا نزل منزلا في سفر

٢٠٦- «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق»(٢).

١٠٠- ذكر الرجوع من السفر

٢٠٧- عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان إذا قفل من غزو، أو حج، يكبر على كل شرف ثلاث تكبيرات ثم يقول: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، آيبون، تائبون، عابدون، لربنا حامدون، صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»(٣).

١٠١- ما يقول من أتاه أمر يسره أو يكرهه

٢٠٨- كان ﷺ إذا أتاه الأمر يسره قال: «الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وإذا أتاه ما يكره قال: الحمد لله على كل حال»(٤).

١٠٢- فضل الصلاة على النبي ﷺ

٢٠٩- قال ﷺ: «من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرًا»(٥).

٢١٠- وقال ﷺ: «لا تجعلوا قبري عيدًا وصلوا علي، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»(٦).

---

(١) مسلم (٤/٢٠٨٦)، و معنى «سمع سامع»، شهد شاهد، على حمدنا لله تعالى على نعمه وحسن بلائه وقوله «ربنا صاحبنا وأفضل علينا»، أي احفظنا وحطنا واكلأنا وأفضل علينا بجزيل نعمتك واصرف عنا كل مكروه. شرح النووي (١٧/٣٩).

(٢) مسلم (٤/٢٠٨٠).

(٣) البخاري (٧/١٦٣)، ومسلم (٢/٩٨٠).

(٤) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة، والحاكم وصححه (١/٤٩٩)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤/٢٠١).

(٥) أخرجه مسلم (١/٢٨٨).

(٦) أبو داود (٢/٢١٨)، وأحمد (٢/٣٦٧)، وانظر الأذكار للنووي ص(٩٧) بتحقيق الأرناؤوط.

٢١١- وقال ﷺ: «**البخيل من ذكرت عنده فلم يصلِّ علي**»(١).

١٠٣- إفشاء السلام

٢١٢- قال رسول الله ﷺ: «**لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم**»(٢).

٢١٣- وقال عمار بن ياسر رضي الله عنه: ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان: «الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار»(٣).

٢١٤- وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رجلا سأل النبي ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: «**تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف**»(٤).

١٠٤- الدعاء عند صياح الديك ونهيق الحمار

٢١٥- «**إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله، فإنها رأت ملكا، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان، فإنه رأى شيطانا**»(٥).

١٠٥- الدعاء عند سماع نباح الكلاب بالليل

٢١٦- «**إذا سمعتم نباح الكلاب ونهيق الحمير بالليل فتعوذوا بالله منهن فإنهن يرين ما لا ترون**»(٦).

١٠٦- الدعاء لمن سببته

٢١٧- عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**اللهم فأيما مؤمن سببته فاجعل ذلك له قربة إليك يوم القيامة**»(٧).

---

(١) الترمذي (٥/٥٥١)، وصحيح الجامع (٣/٢٥).

(٢) مسلم (١/٧٤)، وغيره.

(٣) البخاري مع الفتح (١/٨٢) موقوفًا معلقًا.

(٤) البخاري مع الفتح (١/٥٥)، ومسلم (١/٦٥).

(٥) البخاري مع الفتح (٦/٣٥٠)، ومسلم (٤/٢٠٩٢).

(٦) أبو داود (٤/٣٢٧)، وأحمد (٣/٣٠٦) وصححه الألباني رحمه الله في تخريج الكلم الطيب ص(١١٣).

(٧) البخاري مع الفتح (١١/١٧١)، ومسلم (٤/٢٠٠٧)، ولفظه: فاجعلها له زكاة ورحمة.

١٠٧- ما يقول المسلم إذا مدح المسلم

٢١٨- قال ﷺ: **«إذا كان أحدكم مادحًا صاحبه لا محالة فليقل: أحسب فلانا والله حسيبه، ولا أزكي على الله أحدًا، أحسبه - إن كان يعلم ذلك - كذا وكذا»**[١].

١٠٨- الدعاء بين الركن اليماني والحجر الأسود

٢١٩- كان النبي ﷺ يقول فيما بين الركن اليماني والحجر الأسود: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١][٢].

١٠٩- دعاء الوقوف على الصفا والمروة

٢٢٠- قال جابر ﷺ في صفة حجة النبي ﷺ: **فلما دنا من الصفا قرأ:** ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٥٨] **«أبدأ بما بدأ الله به»** فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة، فوحد الله وكبره وقال: **«لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ثم دعا بين ذلك. قال مثل هذا ثلاث مرات»**[٣].. الحديث وفيه ففعل على المروة كما فعل على الصفا.

١١٠- الدعاء يوم عرفة

٢٢١- **«خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»**[٤].

١١١- الذكر عند المشعر الحرام

٢٢٢- قال جابر ﷺ: إن النبي ﷺ ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام، فاستقبل القبلة فدعاه، وكبره، وهلله، ووحده، فلم يزل واقفًا حتى أسفر جدًا، فدفع

(١) رواه مسلم (٤/٢٢٩٦).
(٢) أبو داود (٢/١٧٩)، وأحمد (٣/٤١١).
(٣) مسلم (٢/٨٨٨).
(٤) انظر صحيح الترمذي (٣/١٨٤)، وانظر الأحاديث الصحيحة للألباني رحمه الله (٤/٦).

قبل أن تطلع الشمس [١].

١١٢- التكبير عند رمي الجمار مع كل حصاة

٢٢٣- كان رسول الله ﷺ يكبر كلما رمى بحصاة عند الجمار الثلاث ثم يتقدم، ويقف ويدعو مستقبل القبلة، رافعًا يديه بعد الجمرة الأولى والثانية، أما جمرة العقبة فيرميها ويكبر عند كل حصاة وينصرف ولا يقف عندها [٢].

١١٣- التكبير إذا أتى الركن الأسود

٢٢٤- «طاف النبي ﷺ بالبيت على بعير، كلما أتى الركن أشار إليه بشيء عنده وكبر»[٣].

١١٤- الدعاء على العدو

٢٢٥- «اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم»[٤].

١١٥- ما يقول من خاف قومًا

٢٢٦- «اللهم اكفنيهم بما شئت»[٥].

١١٦- ما يقول عند التعجب والأمر السار

٢٢٧- «سبحان الله»[٦].

٢٢٨- «الله أكبر»[٧].

---

(١) مسلم (٢/٨٩١).

(٢) البخاري مع الفتح (٣/٥٨٣)، (٣/٥٨٤)، وانظر لفظه هناك، والبخاري مع الفتح (٣/٥٨١) ورواه مسلم أيضًا.

(٣) البخاري مع الفتح (٣/٤٧٦). والمراد بالشيء: المحجن. انظر البخاري مع الفتح (٣/٤٧٢).

(٤) مسلم (٣/١٣٦٢).

(٥) مسلم (٤/٢٣٠٠).

(٦) البخاري مع الفتح (١/٢١٠، ٣٩٠، ٤١٤)، ومسلم (٤/١٨٥٧).

(٧) البخاري مع الفتح (٨/٤٤١)، وانظر صحيح الترمذي (٢/١٠٣، ٢/٢٣٥)، ومسند أحمد ٥/٢١٨.

١١٧- ما يفعل من أتاه أمر يسره

٢٢٩- كان النبي ﷺ إذا أتاه أمر يسره أو يسر به خر ساجدًا شكرًا لله تبارك وتعالى [(١)].

١١٨- ما يقول ويفعل من أحس وجعًا في جسده

٢٣٠- «ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل: بسم الله ثلاثًا، وقل سبع مرات: أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر»[(٢)].

١١٩- ما يقول من خشي أن يصيب شيئًا بعينه

٢٣١- «إذا رأى أحدكم من أخيه أو من نفسه أو من ماله ما يعجبه فليدع بالبركة فإن العين حق»[(٣)].

الملحق

١٢٠- من أنواع الخير والآداب الجامعة

٢٣٢- «إذا كان جنح الليل أو أمسيتم فكفوا صبيانكم، فإن الشياطين تنتشر حيئذ، فإذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم، وأغلقوا الأبواب واذكروا اسم الله، فإن الشيطان لا يفتح بابا مغلقا، وأوكوا قربكم واذكروا اسم الله، وخمروا آنيتكم واذكروا اسم الله ولو أن تعرضوا عليها شيئًا، وأطفئوا مصابيحكم»[(٤)].

١٢١- كيف يلبي المحرم في الحج والعمرة

٢٣٣- «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك»[(٥)].

---

(١) رواه أهل السنن إلا النسائي، انظر صحيح ابن ماجه (١/٢٣٣)، وإرواء الغليل (٢/٢٢٦).

(٢) مسلم (٤/١٧٢٨).

(٣) أحمد (٤/٤٤٧)، وصحيح الجامع (١/٢١٢).

(٤) البخاري مع الفتح (١٠/٨٨)، ومسلم (٣/١٥٩٥).

(٥) البخاري مع الفتح (٣/٤٠٨) ومسلم (٢/٨٤١).

١٢٢- ما يقال عند الفزع

٢٣٤- «لا إله إلا الله»[(١)].

١٢٣- ما يقال للكافر إذا عطس

٢٣٥- «يهديكم الله ويصلح بالكم»[(٢)].

١٢٤- كيف يرد السلام على الكافر إذا سلم ؟

٢٣٦- «إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم»[(٣)].

١٢٥- ما يقول الصائم إذا سابه أحد

٢٣٧- «إني صائم، إني صائم»[(٤)].

١٢٦- ما يقول عند الذبح أو النحر

٢٣٨- «بسم الله، والله أكبر [اللهم منك ولك] اللهم تقبل مني»[(٥)].

١٢٧- ما يقول لرد كيد مردة الشياطين

٢٣٩- «أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق، وبرأ وذرأ، ومن شر ما ينزل من السماء، ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر ما ذرأ في الأرض ومن شر ما يخرج منها، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر كل طارق إلا طارقًا يطرق بخير يا رحمن»[(٦)].

١٢٨- الاستغفار والتوبة

٢٤٠- قال رسول الله ﷺ: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر

---

(١) البخاري مع الفتح (٦/١٨١) ومسلم (٤/٢٢٠٨).

(٢) الترمذي (٥/٨٢) وأحمد (٤/٤٠٠) وأبو داود (٤/٣٠٨) وانظر صحيح الترمذي (٢/٣٥٤).

(٣) البخاري مع الفتح (١١/٤٢) ومسلم (٤/١٧٠٥).

(٤) البخاري مع الفتح (٤/١٠٣) ومسلم (٢/٨٠٦).

(٥) مسلم (٣/١٥٥٧)، والبيهقي (٩/٢٨٧) والجملة الأخيرة سقتها بالمعنى من رواية مسلم.

(٦) أحمد ٣/٤١٩ بإسناد صحيح، وابن السني برقم ٦٣٧، وانظر مجمع الزوائد (١٠/١٢٧)، وتخريج الطحاوية للأرناؤوط (١٣٣).

من سبعين مرة»[١].

٢٤١- وقال ﷺ: «يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة»[٢].

٢٤٢- وقال ﷺ: «من قال: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، غفر الله له وإن كان فر من الزحف»[٣].

٢٤٣- وقال ﷺ: «أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن»[٤].

٢٤٤- وقال ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء»[٥].

٢٤٥- وقال رسول الله ﷺ: «إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة»[٦].

١٢٩- من فضل التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت**

---

(١) البخاري مع الفتح (١١/١٠١).

(٢) مسلم (٤/٢٠٧٦).

(٣) أخرجه أبو داود (٢/٨٥)، والترمذي (٥/٥٦٩) والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (١/٥١١)، وصححه الألباني، انظر صحيح الترمذي (٣/١٨٢)، وجامع الأصول لأحاديث الرسول ﷺ (٤/٣٨٩ - ٣٩٠) بتحقيق الأرناؤوط.

(٤) أخرجه الترمذي، والنسائي (١/٢٧٩)، والحاكم، وانظر صحيح الترمذي (٣/١٨٣)، وجامع الأصول بتحقيق الأرناؤوط (٤/١٤٤).

(٥) مسلم (١/٣٥٠).

(٦) أخرجه مسلم (٤/٢٠٧٥).

قال ابن الأثير: ليغان على قلبي: أي يغط ويغشى، والمراد به: السهو، لأنه كان ﷺ لا يزال في مزيد من الذكر والقربة ودوام المراقبة فإذا سها عن شيء منها في بعض الأوقات أو نسي ﷺ عده ذنبًا على نفسه ففزع إلى الاستغفار.

له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد أفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك»(١).

٢- ومن قال: «**سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر**»(٢).

٣- وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله وبحمده مائة مرة، لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه**»(٣).

٤- وعن أبي أيوب الأنصاري ﷺ عن رسول الله ﷺ «**من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، عشر مرار، كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل**»(٤).

٥- وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»(٥).

٦- وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لأن أقول سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس**»(٦).

٧- وعن سعد ﷺ قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: «**أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة**، فسأله سائل من جلسائه كيف يكسب أحدنا ألف حسنة؟ **قال: يسبح مائة تسبيحة، فيكتب له ألف حسنة أو يحط عنه ألف خطيئة**»(٧).

---

(١) البخاري (٤/٩٥)، ومسلم (٤/٢٠٧١).

(٢)البخاري (٧/١٦٨)، ومسلم (٤/٢٠٧١).

(٣) رواه مسلم (٤/٢٠٧١).

(٤) البخاري (٧/١٦٧)، ومسلم بلفظ (٤/٢٠٧١).

(٥) البخاري (٧/١٦٨)، ومسلم (٤/٢٠٧٢).

(٦) مسلم (٤/٢٠٧٢).

(٧) مسلم (٤/٢٠٧٣).

٨- وعن جابر، عن النبي ﷺ قال: **«من قال: سبحان الله العظيم وبحمده، غرست له نخلة في الجنة»**(١).

٩- وعن عبد الله بن قيس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«يا عبد الله بن قيس، ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟** فقلت: بلى يا رسول الله، قال: **قل: لا حول ولا قوة إلا بالله»**(٢).

١٠- **«أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر لا يضرك بأيهن بدأت، ولا تسمين غلامك يسارًا، ولا رباحًا، ولا نجيحًا، ولا أفلح، فإنك تقول: أثم هو؟ فلا يكون فيقول: لا»**(٣).

١١- عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: «جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: علمني كلامًا أقوله، قال: قل: **لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الله أكبر كبيرًا والحمد لله كثيرًا، سبحان الله رب العالمين، لا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم.** قال: فهؤلاء لربي، فما لي؟ قال: **قل: اللهم اغفر لي، وارحمني، واهدني، وارزقني»**(٤).

١٢- وعن طارق الأشجعي ﷺ قال: كان الرجل إذا أسلم علمه النبي ﷺ الصلاة، ثم أمره أن يدعو بهؤلاء الكلمات: **«اللهم اغفر لي وارحمني، واهدني، وعافني، وارزقني»**(٥).

١٣- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«إن أفضل الدعاء: الحمد لله، وأفضل الذكر: لا إله إلا الله»**(٦).

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/٥١١)، والحاكم (١/٥٠١)، وصححه ووافقه الذهبي، وانظر صحيح الجامع (٥/٥٣١)، وصحيح الترمذي (٣/١٦٠).

(٢) البخاري مع الفتح (١١/٢١٣)، ومسلم (٤/٢٠٧٦).

(٣) مسلم (٣/١٦٨٥).

(٤) مسلم (٤/٢٠٧٢)، وزاد أبو داود «فلما ولى الأعرابي قال النبي ﷺ: لقد ملأ يديه من الخير (١/٢٢٠)».

(٥) مسلم (٤/٢٠٧٣)، وفي رواية مسلم: «فإن هؤلاء تجمع لك دنياك وآخرتك».

(٦) الترمذي (٥/٤٦٢)، وابن ماجه (٢/١٢٤٩)، والحاكم (١/٥٠٣)، وصححه ووافقه الذهبي، وانظر صحيح الجامع (١/٣٦٢).

١٤- «الباقيات الصالحات: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله»[١].

١٢٩- كيف كان النبي ﷺ يسبح؟

١٥- وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: رأيت النبي ﷺ يعقد التسبيح بيمينه[٢].

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

(١) أحمد برقم (٥١٣) بترتيب أحمد شاكر، وإسناده صحيح، وانظر مجمع الزوائد (١/٢٩٧).

(٢) أخرجه أبو داود بلفظه (٢/٨١)، والترمذي (٥/٥٢١)، وانظر صحيح الجامع (٤/٢٧١) برقم (٤٨٦٥).

الفصل الثالث

تحذير

الذين يتوكلون على غير الله تعالى

أذكرهم بالتوبة والرجوع إلى الله والتوكل عليه عز وجل وذلك قبل فوات الأوان.

أقوال علماء السلف في القبوريين

أولاً

خطبة الإمام ابن القيم عن القبوريين

يقول العالم الرباني ابن القيم واصفاً أحوال القبوريين عند الأضرحة: فلو رأيت غلاة المتخذين لها عيدًا. وقد نزلوا عن الأكوار والدواب إذا رأوها من مكان بعيد، فوضعوا لها الجباه، وقبلوا الأرض وكشفوا الرءوس، وارتفعت أصواتهم بالضجيج، وتباكوا حتى تسمع لهم النشيج، ورأوا أنهم قد أربوا في الربح على الحجيج، فاستغاثوا بمن لا يبدي ولا يعيد، ونادوا ولكن من مكان بعيد، حتى إذا دنوا منها صلوا عند القبر ركعتين، ورأوا أنهم قد أحرزوا من الأجر ولا أجر من صلى إلى القبلتين، فتراهم حول القبر ركعًا سجدًا يبتغون فضلاً من الميت ورضوانًا، وقد ملأوا أكفهم خيبة وخسرانًا، فلغير الله، بل للشيطان ما يراق هناك من العبرات، ويرتفع من الأصوات، ويطلب من الميت الحاجات ويسأل من تفريج الكربات، وإغناء ذوي الفاقات، ومعافاة أولي العاهات والبليات، ثم أثنوا بعد ذلك حول القبر طائفين، تشبيها له بالبيت الحرام، الذي جعله الله مباركا وهدى للعالمين.

ثم أخذوا في التقبيل والاستلام، أرأيت الحجر الأسود وما يفعل به وفد البيت الحرام ثم عفروا لديه تلك الجباه والخدود، التي يعلم الله أنها لم تعفر كذلك بين يديه في السجود.

ثم كملوا مناسك حج القبر بالتقصير هناك والحلاق، واستمتعوا بخلاقهم من ذلك الوثن إذ لم يكن لهم عند الله من خلاق، وقربوا لذلك الوثن القرابين. وكانت صلاتهم ونسكهم وقربانهم لغير الله رب العالمين، فلو رأيتهم يهنئ بعضهم بعضًا ويقول : أجزل الله لنا ولكم أجرًا وافرًا وحظًا، فإذا رجعوا سألهم غلاة المتخلفين أن يبيع أحدهم ثواب حجة القبر بحج المتخلف إلى البيت الحرام، فيقول: لا ولو بحجك كل عام.

هذا ولم نتجاوز فيما حكيناه عنهم، ولا استقصينا جميع بدعهم وضلالهم: إذ هي فوق ما يخطر بالبال، أو يدور في الخيال. وهذا كان مبدأ عبادة الأصنام في قوم نوح، كما

تقدم. وكل من شم أدنى رائحة من العلم والفقه يعلم أن من أهم الأمور سد الذريعة إلى هذا المحذور، وأن صاحب الشرع أعلم بعاقبة ما نهى عنه لما يزول إليه، وأحكم في نهيه عنه وتوعده عليه. وأن الخير والهدي في اتباعه وطاعته، والشر والضلال في معصيته ومخالفته.

ثانيًا خطبة الشيخ: حافظ بن أحمد حكمي عن القبوريين

وللشيخ حافظ بن أحمد حكمي قصيدة رائعة يبين فيها عقيدة القبوريين ويصف فيها أحوالهم عند الأضرحة – يقول في قصيدته[1]:

الله أكبر لو رأيت على القبور ... عكوفهم صبحًا وبالإمساء
والله أكبر لو ترى أعيادهم ... جمع الرجال معا وجمع النساء
والله أكبر لو رأيت مساجدا ... بنيت على الموتى بأي بناء
قد زخرفت بحجارة منقوشة ... بالشيد قد ضربت مع الإعلاء
ورءوسها قد زينت بأهلة ... من أنفس المنقوش دون مراء
قد أسرجت ولكم على تسريجها ... وقفوا الشموع لها بأي.. إذاء
كم سادن قد وكلوه بشأنها ... طيبًا وتنظيفًا وشأن ضياء
ويل له لو قد أخل ببعض ذا ... ماذا يقاسي من ضروب بلاء
ولكم عليها راية قد نشرت ... ألوانها سلبت لقلب الرائي
وكرائم الأنعام تنحر سوحها ... منذورة يؤتى بها لوفاء
لم يفردوا رب السماء بدعوة ... بل للقبور مجابو نداء
يدعونهم في كشف كل ملمة ... في الجهر قد هتفوا وفي الإخفاء
ويعظمونهم بكل عبادة ... يا صاح في السراء والضراء
وتراه بالرحمن يحلف ... كاذبًا وصفاته العليا وبالأسماء
لكنه لا يستطيع الحلف بالمقبور ذا ... إن لم يكن بسراء
زادوا على شرك الذين لهم ... بعث الرسول بأصدق الأنباء
إذ يخلصون لدى الكروب وهؤلاء ... فشركهم في شدة ورخاء
بل في الشدائد شركهم أضعاف ... ما قد أشركوا في حالة السراء
فتراه ينذر في الرخاء ببدنة ... وببدنتين لدى اشتداد بلاء

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول.

وجمـــيع مـــا يأتـــيه في ســـرائه فلـــه بـــه الأضـــعاف في الضـــراء
تـــالله مـــا ظفـــر اللعـــين بمـــثلها مـــن بعـــض أهـــل الشرعة الغراء
حـــتى إذا مـــا هـــيأوا لعـــدوهم ســـبب الدخـــول وســـلم الإغراء
طمـــع العـــدو بهـــم لنـــيل مراده مـــنهم فعـــز القـــوم باســـتجداء
لمـــا أســـاءوا الظـــن بالوحيين لكن أحســـنوه بـــزخـــرف الأعـــداء
لم يهـــتدوا بالـــنص بـــل اقـــتفوا آراء مـــن قـــد كـــان عـــنها نائي
نـــبذوا الكـــتاب فلـــم يقيموا نصه إذ كـــان مـــيلهمو إلى الأهـــواء
وعـــبادة الأوثـــان قـــد صارت لهم ديـــنا تعـــالى الله عـــن شـــركاء
وطـــرائق الـــبدع المضـــلة صيروا ســـبلا مكـــان الملـــة الســـمحاء
يـــا رب ثبتـــنا علـــى ديـــن الهدى وعلـــى ســـلوك طـــريقه البيضـــاء
واردد بتوفيقـــي إلـــيها مـــن نـــأى ممـــن قـــد اســـتهوى أولو الإغراء
يـــا ربـــنا فاكشـــف غطـــاء قلوبنا بالـــنور أخـــرجنا مـــن الظلمـــاء
واســـلك بـــنا نهـــج النجاة ونجنا مـــن حـــيرة وضـــلالة عمـــياء
واجعـــل كـــتابك يـــا كـــريم إمامنا ورســـولك المقـــدام للحـــنفاء
وانصـــر علـــى الأعـــداء حـــزبك إنهـــم خبطـــتهمو فـــتن من الأعداء
رامـــوا بـــنا الســـوأى بسوء مكايد فاقصـــمهمو يـــا رب للأســـواء
واردد إلهـــي كـــيدهم في بـــيدهم وأبدهمـــو بـــيدا عـــن البـــيداء
أظهـــر علـــى الأديـــان ديـــنك جهـــرة وشـــعاره فارفع بدون خفاء
واجعـــل لـــوجهك خلصًـــا أعمـــا لـــنا بعـــبادة وولايـــة وبـــراء

ثالثًا

مفتي الجمهورية سابقًا يقول

زيارة الأضرحة شرك بالله [(١)]

وجه مدير الشئون الدينية بالإذاعة عام ١٩٥٧ إلى فضيلة الشيخ حسن مأمون مفتي الجمهورية رحمه الله تعالى سؤالين يتناولان أمرين عامين: هما زيارة الأضرحة والطواف حولها والتوسل بها. والنذر لغير الله تعالى، فأجاب فضيلة المفتي رحمه الله على هذين السؤالين بما يرضي الله سبحانه وتعالى حيث كانت الإجابة موافقة لما تعارفنا عليه من خلال الكتاب والسنة وأقوال علماء السلف رضي الله عنهم أجمعين. كان السؤال الأول:

ما حكم الشرع في زيارة أضرحة الأولياء والطواف بالمقصورة وتقبيلها والتوسل بالأولياء.

ج: أود أن أذكر أولاً أن أصل الدعوة الإسلامية يقوم على التوحيد والإسلام يحارب جاهدًا كل ما يقرب الإنسان من مزالق الشرك بالله، ولا شك أن التوسل بالأضرحة والموتى أحد هذه المزالق وهي رواسب جاهلية.

فلو نظرنا إلى ما قاله المشركون عندما نعى عليهم الرسول ﷺ عبادتهم للأصنام قالوا له: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ فهي نفس الحجة التي يسوقها اليوم الداعون للتوسل بالأولياء لقضاء حاجة عند الله أو التقرب منه.

ومن مظاهر هذه الزيارات أفعال تتنافى كلية مع عبادات إسلامية ثابتة فالطواف في الإسلام لم يشرع إلا حول الكعبة الشريفة، وكل طواف حول أي مكان آخر حرام شرعًا.

والتقبيل في الإسلام لم يسن إلا للحجر الأسود، وحتى الحجر الأسود قال فيه عمر بن الخطاب ﷺ وهو يقبله: «والله لولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك» فتقبيل الأعتاب أو نحاس الضريح أو أي مكان به حرام قطعًا.

وتأتي بعد ذلك مسألة الشفاعة، وهذه في الآخرة غيرها في الدنيا، فالشفاعة ارتبطت في أذهاننا بما يحدث في هذه الحياة من توسط إنسان لآخر أخطأ عند رئيسه، أو

---

(١) انظر:ص(٩٥) كتاب الوثنية في ثوبها الجديد، وكتابنا بدع المقابر والجنائز والفتاوى للشيخ محمود شلتوت والسنن والمبتدعات للشقيري.

من بيده الأمر، يطلب إليه أن يغفر له هذا الخطأ، وإن كان هذا المخطئ لا يستحق العفو والمغفرة غير أن الله سبحانه وتعالى قد حدد طريق الشفاعة في الآخرة، فهذه الشفاعة لن تكون إلا لمن يرتضي الله لهم أن يشفعوا، ولأشخاص يستحقون هذه الشفاعة.

وهؤلاء أيضًا يحددهم الله تعالى، إذن فكل هذا متعلق بإذن الله وحكمته، فإذا نحن سبقنا هذا الحكم بطلب الشفاعة من أي أحد كان فإن هذا عبث لأننا لا نستطيع أن نعرف من سيأذن الله لهم بالشفاعة، ومن يشفع لهم وعلى ذلك يتضح أن زيارة الأضرحة والطواف حولها، وتقبيل المقصورة والأعتاب والتوسل بالأولياء وطلب الشفاعة منهم كل هذا حرام قطعًا، ومناف للشريعة، فيه إشراك بالله.

وعلى العلماء أن ينظموا حملة جادة لتبيان هذه الحقائق، فإن كثير من العامة بل ومن الخاصة ممن لم تتح لهم المعرفة الإسلامية الصحيحة يقعون فريسة هذه الرواسب الجاهلية التي تتنافى مع الإسلام وإذا أخذ بالرفق في هذا الأمر، فلابد أنهم سوف يستجيبون للدعوة لأن الجميع حريصون ولا شك على التعرف على حقائق دينهم!!

أما السؤال الثاني فهو:

هل يجوز النذر لغير الله؟ مثل أن ينذر أحدهم نتاج ماشيته أو ربع أرضه أو مبلغًا من المال لأحد الأولياء. وهل يقر الإسلام هذه النذور؟

ج: وردت الآيات صريحة في أن النذر لا يجوز إلا لله. والنذر لغير الله شرك. فالنذر طاعة ولا طاعة لغير الله. انتهى.

رابعًا فتوى الشيخ محمود شلتوت (١)

هذا وقد سئل فضيلة الشيخ محمود شلتوت أيضًا عن حكم الإسلام في إقامة الأضرحة داخل المساجد وحكم الصلاة إليها والصلاة فيها فأجاب قائلاً:

شرعت الصلاة في الإسلام لتكون رباطًا بين العبد وربه. يقف فيها بين يديه خاشعًا ضارعًا يناجيه، مستشعرًا عظمته. مستحضرًا جلاله ملتمسًا عفوه ورضاه، فتسمو نفسه وتزكو روحه، وترتفع همته عن ذل العبودية والخضوع لغير مولاه.

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾. وكان من لوازم ذلك الموقف، والمحافظة فيه على قلب المصلي، أن يخلص قلبه في الاتجاه إليه سبحانه، أن يحال بينه وبين مشاهد من شأنها أن تبعث في نفسه شيئًا من تعظيم غير الله، فيصرف عن تعظيمه إلى تعظيم غيره، أو إلى إشراك غيره معه في التعظيم، ولذلك كان من أحكام الإسلام فيما يختص بأماكن العبادة تطهيرها من هذه المشاهد.

﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [البقرة: ١٢٥]، ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [الحج: ٢٦]. ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [التوبة: ١٨]. ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١٨].

تسرب الشرك إلى العبادة:

وما زال العقل الإنساني خارج عن فطرة التوحيد الخالص فعبد غير الله، أو أشرك غيره في العبادة والتقديس عن طريق هذه المشاهد التي اعتقد أن لأربابها والثاوين فيها صلة خاصة بالله، بها يقربون إليه،وبها يشفعون عنده، فعظمها واتجه إليها، واستغاث بهاع، وأخيرًا طاف وتعلق، وفعل بين يديها كل ما يفعله أمام الله من عبادة وتقديس.

لا تتخذوا القبور مساجد:

والإسلام من قواعده الإصلاحية أن يسد بين أهله وذرائع الفساد، وتطبيقًا لهذه القاعدة: صح عن النبي ﷺ أنه قال «**إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك**» نهى الرسول،

---

(١) الفتاوى للإمام الأكبر رحمه الله تعالى.

وشدد في النهي عن اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد، وذلك يصدق بالصلاة إليها، وبالصلاة فيها، وأشار الرسول إلى أن ذلك كان سببًا في انحراف الأمم السابقة عن إخلاص العبادة لله، وقد قال العلماء إنه لما كثر المسلمون، وفكر أصحاب الرسول في توسيع مسجده، وامتدت الزيادة إلى أن دخلت فيه بيوت أمهات المؤمنين، وفيها حجرة عائشة، مدفن الرسول ﷺ وصاحبيه أبي بكر وعمر فبنوا على القبر حيطانًا مرتفعة تدور حوله مخافة أن تظهر القبور في المسجد فيصلي إليها الناس، ويقعوا في الفتنة والمحظور.

واجب المسلمين نحو الأضرحة:

وإذا كان الافتتان بالأنبياء والصالحين، كما نراه ونعلمه، شأن كثير من الناس في كل زمان ومكان، فإنه يجب – محافظة على عقيدة المسلم– إخفاء الأضرحة من المساجد، وألا تتخذ لها أبواب ونوافذ فيها، وبخاصة إذا كانت في جهة القبلة. يجب أن تفصل عنها فصلاً تامًا بحيث لا تقع أبصار المصلين عليها، لا يتمكنون من استقبالها وهم بين يدي الله، ومن باب أولى يجب منع الصلاة في نفس الضريح، وإزالة المحاريب من الأضرحة.

وإن ما نراه في المساجد التي فيها الأضرحة، ونراه في نفس الأضرحة لما يبعث في نفوس المؤمنين سرعة العمل في ذلك، وقاية لعقائد المسلمين وعباداتهم من مظاهر لا تتفق وواجب الإخلاص في العقيدة والتوحيد.ومن هنا رأى العلماء أن الصلاة إلى القبر أيا كان محرمة، ونهى عنها، واستظهر بعضهم بحكم النهي بطلانها، فليتنبه المسلمون إلى ذلك، وليسرع أولياء الأمر في البلاد الإسلامية إلى إخلاص المساجد لله كما قال الله: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ .

خامسًا

فتوى فضيلة الشيخ علي محفوظ رحمه الله

هـــذا ولفضـــيلة الشيخ على محفوظ رحمه الله والذي كان عضوًا بهيئة كبار العلماء بالأزهـــر الشريف كلامًا طيبًا ذكره في كتابه المشهور (الإبداع في مضار الابتداع). حيث قال بعد أن ذكر بدع اتخاذ المقابر والأضرحة أعياد.

وأمـــا المفاسد التي تنشأ عن ذلك فكثيرة (منها) أن النساء قد اتخذن ذلك ميدانًا لشـــهواتهن فيتبرجن تبرج الجاهلية الأولى ويتزين للخروج إلى المقابر والأضرحة بأجمل زيـــنة ويتهتكن بأقبح صورة لا دين يمنعهن، ولا أدب يردعهن، وكثير منهن يركبن على الـــدواب في الـــذهاب والرجوع ويمسهن المكاري (العربجي) في إركابهن وإنزالهن وتقع المحادثة بينهما كأنه زوجها أو ذو محرم منها وكثيرًا ما يشترك الرجال والنساء الأجانب في ركـــوب واحـــد على ازدحام واحد شديد مع تمام التبرج والزينة- والتبرج إظهار المرأة زينـــتها ومحاسنها للرجال الأجانب وهو من أقبح البدع التي ستذهب بالقومية المصرية إن لم يتداركها الله بالغيورين العاملين.

هـــذا في الذهاب والعودة (وأما) في حال زيارتهن للقبر فالأمر أشنع وأفظع فإنهن يخالطن الرجال مع كثرة الخلوات هناك وتيسر الدور وكشفهن لوجوههن، وهناك يختلط بهـــن الشـــرار مـــن الشبان في مزاح ومداعبة وكثرة ضحك مع الغناء في مجموع الخشية والاعتبار والذل، وخروجهن على هذه الأحوال نهارا محل ريبة فكيف به ليلا.

(وعلـــى الجملة) فما يترتب على خروجهن إلى المقابر من الفسوق والخروج عن حـــدود الآداب كـــثير مشاهد يستغيث منه الدين وتتألم منه الإنسانية ويذهب معه الحياء والمروءة وتتأذى به الأموات في قبورهم، لأن أرواحهم خرجت من النوم إلى اليقظة ومن الهـــزل إلى الجد وصارت لا تميل إلى مثل هذه السفاف بل لا تهوى سوى الحق والكمال، فكـــيف السكوت على هذا من زوج أو ذي غيرة على الدين والعرض فلا حول ولا قوة إلا بالله.

ومـــن هذه المفاسد ما يقع عند الموتى مما يكرهونه ويتأذون منه من الجلوس على المقابـــر والوطء عليها، فعن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: «**لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص إلى جلده خير له من أن يجلس على قبر**» رواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه، وكذا الاستناد إليها فعن عمرو بن حزم قال: رآني النبي ﷺ متكئًا على قبر فقال: «**لا تؤذ صاحب هذا القبر**» رواه الإمام أحمد، وكذا البول والتغوط

عـــندها وكثرة اللغط الذي يكون من الازدحام والبيع والشراء وأصوات الأراجيح وغيرها مــــن كل ما يخالف الدين ويحول بين القلوب والخشية وبين الموتى والرحمة مع أن قصد الزيارة إنما هو نوال الإحسان إلى نفس الزائر إلى الميت.

ثم تحــــدث بعد ذلك عن اهتمام النساء بزيارة القبور– فقال: ومن المفاسد اهتمام النســـاء بزيارة القبور وإهمال الرجال فقد عكس الشيطان على الناس قضية المشروع فإن الـــزيارة مستحبة للرجال لخبر مسلم: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكر الآخـــرة**» قال الحافظ المنذري قد كان النبي ﷺ نهى عن زيارة القبور نهيا عاما الرجال والنساء ثم أذن للرجال في زيارتها واستمر النهي في حق النساء اهـــ.

وســــر النهــــي أولاً عن زيارتها أنه لما كان منشأ عبادة الأصنام من جهة القبور في قوم نـــوح نهــــى النبي ﷺ أصحابه في صدر الإسلام عن زيارتها سدًا لذريعة الشرك لكونهم حديثي عهد بكفر ثم لما تمكن التوحيد في قلوبهم أذن لهم في زيارتها وعلمهم كيفيتها تارة بفعله وتارة بقوله كما مر في الأحاديث أول الفصل.

أمـــا زيارة النساء للقبور فمن العلماء من حرمها مطلقًا ومنهم من فصل بين الشابة وغيرهـــا. قـــال في المدخل إنما هذا الخلاف في نساء ذلك الزمان وكن على ما يعلم عن عـــادتهن في الاتباع، وأما خروجهن في هذا الزمان فمعاذ الله أن يقول أحد من العلماء أو من له مروءة أو غيرة في الدين بجواز ذلك، فإن وقعت ضرورة للخروج فليكن ذلك على ما يعلم في الشرع من الستر لا على ما يعلم من عادتهن، الذميمة في هذا الزمان.

ومن المفاسد الفاشية (تقبيل واستلام قبور الأولياء) والأنبياء والعلماء صرح به الإمام النووي رحمه الله، وترخيص بعضهم في هذا الاستلام وكذا في تقبيل قبور من ذكروا بقصد التبرك لا سند له (نعم) إذا غلبه وجد وأدب وحال فله حكم آخر!!

ومن المفاسد اتخاذ الملاهي والملاعب عند المقابر وكذا كثرة المزاح والضحك وإنشاد القصائد، يقع هذا في موطن الخشوع والاعتبار وما هو جدير بالحزن والخشية فعنه ﷺ «**إن الله يكره لكم ثلاثًا: العبث في الصلاة والرفث في الصيام والضحك عند المقابر**» رواه غير واحد من طرق مختلفة – والرفث الفحش في القول.

ومن البدع السيئة الطواف حول الأضرحة فإنه لم يعهد عبادة إلا بالبيت وكذا لم يشرع التقبيل والاستلام للحجر الأسود (قال في المدخل) فترى من لا علم عنده يطوف بالقبر الشريف كما يطوف بالكعبة الحرام ويتمسح به ويقبله ويلقون عليه مناديلهم وثيابهم

يقصدون به التبرك وذلك كله من البدع لأن التبرك إنما هو بالاتباع له عليه الصلاة والسلام.

وما كان سبب عبادة الجاهلية للأصنام إلا من هذا الباب، ولأجل ذلك كره علماؤنا رحمة الله عليهم التمسح بجدار الكعبة أو بجدران المسجد أو بالمصحف إلى غير ذلك مما يتبرك به سدا لهذا الباب، ولمخالفة السنة لأن صفة التعظيم موقوفة عليه ﷺ فكل ما عظمه رسول الله ﷺ نعظمه ونتبعه فيه.

فتعظيم المصحف قراءته والعمل بما فيه لا تقبيله ولا القيام إليه كما يفعله بعضهم في هذا الزمان، وكذلك المسجد تعظيمه الصلاة فيه لا التمسح بجدرانه، وكذلك الورقة يجدها الإنسان في الطريق فيها اسم من أسمائه تعالى أو اسمه تعالى أو اسم نبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ترفيعه إزالة الورقة من موضع المهنة إلى موضع ترفع فيه لا بتقبيلها، وكذلك الولي تعظيمه اتباعه لا تقبيل يده وقدمه ولا التمسح به فكذلك ما نحن بسبيله تعظيمه باتباعه لا بالابتداع عنده ا هـ.

ثم تحدث بعد ذلك عن المبيت في المقابر فقال: (ومن هذه المفاسد) المبيت فيها وإيقاد السراج والشمع ونحوه على القبور ففي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه عليه الصلاة والسلام (لعن زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسراج) رواه أبو داود والترمذي وحسنه، وقد نهى ﷺ عن أن يتبع الميت بنار فكيف يفعل ذلك على قبره. قال العلامة البركوي فكل ما لعن رسول الله ﷺ فهو من الكبائر. وقد صرح الفقهاء بتحريمه إذ لو كان اتخاذ السرج عليها مباحًا لم يلعن من فعله. واللعن لما فيه من تضييع المال في غير فائدة. والإفراط في تعظيم القبور تشبها بتعظيم الأصنام (ا هـ).

سادسًا

كلمة جريئة لعالم معاصر

قال الشيخ محمد الغزالي تحت عنوان الموالد في كتابه (ليس من الإسلام!).

من تقاليد الأجانب احتفاؤهم بأعياد ميلادهم، واستقبالهم الأعوام الجديدة، بأحفال تثير في حياتهم البهجة، وتملأ نفوسهم بالنشاط والأمل.

هذه العادات- إذا خلت من المجون والحرام- يمكن الإبقاء عليها دون حرج.

وإذا نقلناها عنهم لنعرف حسابنا مع الزمن، ومدى ما قطعنا منه في الماضي، ومدى ما نفيد منه في المستقبل كان ذلك حسنًا، لمن شاء، وهذا شيء غير ما يصنعه المسلمون في موالدهم، فقد جرت عادتهم- إذا مات فيهم من يحسبونه صالحًا- أن يتخذوا على قبره ضريحًا، وأن يبنوا فوق الضريح قبة مشرفة، وأن يجعلوا منه مزارا، وأن يحتفلوا بمولده مرة أو مرتين كل عام!!

وهذا العمل مزيج من معصية وبدعة، ولا ريبة في أنه مخالفة كبيرة لتعاليم الإسلام، وقد تعددت موالد الصالحين في طول البلاد وعرضها، وأصبحت أسواقًا مألوفة ومواسم معروفة.

وقيل: إن أول من أحدثها بالقاهرة الخلفاء الفاطميون بالقرن الرابع للهجرة، فقد ابتدعوا ستة موالد: المولد النبوي، ومولد الإمام علي، ومولد السيدة فاطمة الزهراء، ومولد الحسن والحسين، ومولد الخليفة الحاضر، وبقيت هذه الموالد على رسومها إلى أن أبطلها الأفضل ابن أمير الجيوش، ثم أعيدت في خلافة الحاكم بأمر الله سنة ٥٢٤ هـ بعد ما كاد الناس ينسونها.

وأول من أحدث الاحتفال بمولد النبي ﷺ الملك المظفر أبو سعيد في القرن السابع بمدينة (أربل)، ثم فشت هذه الموالد، في شتى الأقطار وكثر قصادها.

وافتنوا في تنميقها وإبرازها وملئها بما تهوى الأنفس، حتى صارت كلمة (مولد) رمزًا على الفوضى والزياط والمساخر، والتقرب إلى الله بإقامة هذه الموالد، عبادة لا أصل لها.

بل إن من العصيان لله ورسوله اتخاذ مقابر الصالحين محورًا لهذه الحشود، ومثابة لهذه الأحفال، حتى ولو كانت مبنية على القربات المحضة، فقد قال رسول الله ﷺ: **«لا تجعلوا بيوتكم مقابر ولا تجعلوا قبري عيدا، وصلوا علي أينما كنتم، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»**.

وفي رواية عن سهيل بن أبي سهيل قال: "رآني الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عند القبر. فناداني- وهو في بيت فاطمة يتعشى- فقال: هلم إلى العشاء. فقلت: لا أريد! فقال: ما لي رأيتك عند القبر؟ فقلت: سلمت على النبي ﷺ فقال: «**إذا دخلت المسجد فسلم**»، ثم قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**لا تتخذوا بيتي عيدًا ولا بيوتكم مقابر، وصلوا علي، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**».

فإذا كان رسول الله ﷺ كره أن يتخذ الناس قبره ساحة للأطفال ومجمعا للقصاد، فكيف بقبور غيره ممن نعرف ولا نعرف؟

على أن المساجد التي تشد إليها الرحال وتبذل في بلوغها النفقات معروفة.

وهي- كما أحصاها رسول الله ﷺ- المسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصى، ومكانة هذه المساجد لم تجئها من إحياء مولد بها، أو من تكريم مقبور فيها، بل جاءتها لمعان خاصة، لا مجال لشرحها هنا.

فأولئك الذين يحسبون أنهم يرضون الله بإقامة موالد، لكبار الأولياء أو صغارهم، يرتكبون بدعًا سيئة، ويهيئون الفرصة لمعاصي منكرة.

والحق أن الموالد من أخصب البيئات للمناكر الظاهرة والمستورة.

ففي ساحاتها الواسعة ينتشر الرقعاء دون خجل، ويختلط النساء بالرجال في المأكل والمنام، وكثيرًا ما تقع جرائم الزنا واللواط. ويدخن الحشيش، وتسمع الأغاني والموسيقى الخليعة، وتختفي روح الجد وتقدير الأمور. لتحل مكانها قلة الاكتراث، وقبول الدنيا، كما تختفي النظافة من المساجد، وتضطرب الأوقات والجماعات، ودعك من أن الوافدين على هذه الساحات لهم عقائد غريبة، فربما ضن أحدهم على أمه بقروش يبرها بها، في الوقت الذي يبسط يده بالنفقة هنا، إكرامًا لصاحب المولد، الذي لا يخيب قاصدًا، ولا يرد طالبًا..!!

وبعض الناس يعتذر لهذه الموالد بأن فيها حلقات للذكر ودروسًا للعلم وتلاوة للقرآن، وإطعامًا للفقراء والمساكين، ولو خلت الموالد من الآثام التي سقناها آنفًا، لوجب تعطيلها أيضًا، لمظاهر التدين الفاسد التي تسودها.

فحلقات الذكر ضروب من الهوس وألوان من الرقص الذي يسود له وجه الدين، أما القرآن المتلو في هذه الساحات فما ينتفع به قائل ولا سامع.

إنه غناء مملول النغم، يتصنع له بعض السامعين شيئًا من الإقبال، ريثما يفرغ منه،

وكذلك الوعظ في دروس الوعظ والإرشاد التي ينظمها الأزهر الآن يبغي بها تعليم الجماهير المحتشدة في هذه الموالد.

تلك كلها محاولات عابثة وإهدار لقيمة الذكر الحكيم والحديث الشريف.

ولو افترضنا بعض الخير في هذه الأعمال، فإنها لا تعد مبررا لإقامة الموالد بعد ما أوضحنا الشرور التي تكتنفها.

وقانون الشريعة في هذا، أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح.

قال ابن حجر: "ألا ترى أن الشارع اكتفى من الخير بما تيسر؟ وفطم عن جميع أنواع الشر حيث قال رسول الله ﷺ: «**إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه**»؟

أي أن الشر- وإن قل- لا يرخص في شيء منه، والخير يكتفى منه بما أمكن..!، فكيف نفتح باب شر متيقن لخير موهوم؟ ثم ما وعاء هذ الخير المزعوم. عمل لم يفعله الرسول ﷺ، ولا صحابته، ولا التابعون لهم بإحسان قرونًا طويلة. وقد انتهى شيخ الأزهر الأسبق الأستاذ محمد مصطفى المراغي إلى هذا الحكم، أو إلى قريب منه. حيث قال: "وهناك أمور يعرض لها أن تكون بدعة، وألا تكون بدعة، مثلاً الاحتفال بمولد النبي ﷺ، وبيوم الهجرة، وبالمحمل إذا فعلت هذه الأشياء على أنها عبادة وتدين، كانت بدعة بلا شبهة، لأنها إحداث عبادة لم تكن ولم يؤذن فيها.

أما إذا فعلت على سبيل العادة، وعلى أن الاحتفال بالهجرة وبمولده ﷺ إحياء لذكريات عزيزة، كانت سببًا للخير، وموجبة للشكر لتنبعث نفس المؤدي إلى التمسك بالهدي وبالخلق الكريم، لم تكن بدعة، لأنه لم يقصد بها التدين، ولم يرد إحداث شيء في الدين، لكن إذا حفت هذه المحدثات- التي ليست بدعا- بما هو بدعة وبما هو مخالف للشريعة حرمت، لما هو ملابس لها من البدع، ولما هو ملابس لها من المعاصي.

لذلك نقول: ولا شك أن الذين يحتفلون بالموالد المختلفة، وينفقون فيها كرائم أموالهم، ويتجشمون مشاق السفر إلى العواصم البعيدة للمشاركة في إحيائها إنما يفعلون ذلك على أنه قربى إلى الله، وتكفير للسيئات، ورفعة في الدرجات، ومن ثم فنحن نميل إلى تعميم الحكم على هذه الموالد جميعًا، ووصفها بأنها مبتدعات ترفض ولا يتعذر لها، ومن الوسائل التي يلجأ إليها حكام الجور، لصرف الناس عن ملاحقتهم بالنقد، تضخيم الأحداث التافهة وحوك الأساطير حولها، ثم إشاعتها بين العوام وأشباههم، ليتلهوا بها زمنًا. فإذا فرغوا

منها لوحقوا بغيرها، وهكذا دواليك، حتى يستقر للحكام الفسقة أمرهم دون نكير..".

ولعل هذا هو السر في تطويل قصة (عنترة بن شداد) قديمًا، فبلغت أجزاؤها نيفا وستين كتابًا، وكذلك (ألف ليلة وليلة) وما شاكل هذه الموسوعات الخرافية.

والصحف في عصرنا هذا، حين توجه إلى إماتة بعض القضايا الكبرى تبرز بدلاً منها بعض مآسي الغرام الحرام، وتفتن في سرد فصوله الدقيقة، وأحسب أن تنقيل الجماهير المغفلة من مزار إلى مزار، وإخراجهم من حفل لإدخالهم في حفل، وجعل حياة الأمة سلسلة من هذه الملاهي الدينية الموصولة - أحسب أن ذلك كان غاية منشودة لبعض الحكام السابقين وأن بدعة الموالد كانت وسيلة ناجحة لبلوغ هذا الهدف.

وهل يبقى لأمة ما وقت أو جهد للحق والعلا بعد ما استهلكت المساخر وقتها وجهدها؟ إن إلغاء الموالد ضرورة دينية ودنيوية..!!).

سابعًا

هذا وللدكتور حسن أحمد عمر قصيدة طيبة عن عباد القبور يقول فيها:

يــا مــن ملأتم أرض مصر مساجدا	وعـــبدتم الأشـــياخ والكهانـــا
هــل مــبدأ التوحــيد أن القــباب	تقدمـــوا لضـــريحها القـــربانا؟
أم تجعلــوا ميــتا طــوته يد الردى	يغـــيث ويـــرحم الإنســـانا؟
وهــو الــذي لــو داهمــته بعوضة	عجــزت قــواه فــأعلن الإذعانــا
يــا مــن بنيــتم ذا الضــريح لجثة	بعــد الفــناء فــولدت ديــدانا
أقســمت بــالله الذي يخلق الورى	لــو أنكــم شــاهدتمو الأبــدانا
لوضــعتموها تحــت أنقاض الثرى	كــيما تعــود لأصــلها فتصــانا
أصــحاب أضــرحة المساجد زمرة	باعــوا الخلــود ليشــتروا البهتانا
قــد شــيدوها كــي تــدر عليهمو	مــالا بــه يــتملكوا الأطــيانا
والجاهلــون يــبالغون بجهلــهم	عــبدوا القــبور فأصــبحت أوثانا
ومشــايخ الطــرق الــذين تربعوا	فــوق الــولاية هدمــوا الأديانــا
أوحــت شــياطين الغــرور إليهمو	أن خــدروا بالفتــنة الأذهانــا
يأيهــا الــناس الــذين تــزاحموا	نحــو الضــريح جنيــتموه الكفرانا
شــتان بــين الخاشــعين لــربهم	والخاشــعين لمــيت شــتانا
هــل أنــزل الرحمن "جبريلا" لكم	بالوحــي.. نــرجو منكمو التبيانا؟
عــودوا إلى الله ارجعــوا من غيكم	توبــوا إلــيه واطلــبوا الغفــرانا
الله أكــبر فــوق كــل مكابــر	والله أكــبر يمحــق الــبطلانا؟

ثامنًا

جريدة الحزب الوطني

تحرم الصلاة في المساجد التي بها أضرحة

في عـــددها الصـــادر بـــتاريخ ١٩٨٣/١١/١ قالت جريدة اللواء الإسلامي التي يصـــدرها الحزب الوطني الديمقراطي ردًا على سؤال حول حكم الصلاة في المساجد التي بها أضرحة.

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ ومعنى الآية أن السجود ومواضع السجود لا تكون إلا لله فهناك يكون التوحيد الخالص ويتوارى كل ظل لكل أحد وينفرد الجو ويتمحض للعبودية الخالصة لله تعالى، وهذا لا يكون إلا في المساجد الخالية من القبور.

وبدعة جعل القبور في المساجد بدعة يهودية تسربت للنصارى ثم للمسلمين وهي بدعـــة من أخطر البدع على عقيدة التوحيد لذلك حذر الرسول ﷺ كثيرًا بل إنه لعن من ابـــتدعها في قوله «**قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» متفق عليه وزاد مسلم والنصارى.

وفي مســـلم عـــن عائشة قالت إن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا لرسول الله ﷺ كنيسة رأتاهـــا بالحبشة فيها تصاوير فقال: «**إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح مات بنوا علـــى قبره مسجدا وصوروا تلك التصاوير أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة**». وهذا النهي المطلق لسد الذريعة والبعد عن التشبه بعبدة الأوثان الذين يعظمون الجمادات التي لا تســـمع ولا تـــنفع ولا تضر ولما في ذلك من إنفاق المال وإلقاء السرج عليها الملعون فاعله ومفاسد ما يبنى على القبور من المشاهد والقباب لا تحصر.

وقـــد أخـــرج أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن ابن عباس قال «**لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج**»، أما من قال بجواز اتخاذ مسجد في جوار صالح وقصد التبرك بالقرب منه فهذا كلام ساقط ومردود بما ورد مـــن الأحاديث الصحيحة والكثيرة منها عن عائشة رضي الله عنها «**كانوا إذا مات فيهم الـــرجل الصـــالح بنوا على قبره مسجدًا وقبة**» ،«**أولئك شرار الخلق**»، وكفى به ذمًا والمراد من الاتخاذ أن اليهود ابتدعوا والنصارى اتبعوا، أما عن الصلاة في المساجد التي بها أضـــرحة فإنني أسوق لك هذا الحديث الشريف الذي رواه مسلم في صحيحه قال رسول الله ﷺ «**لا تجلســـوا على القبور ولا تصلوا إليها ولا عليها**» بل إن سيدنا علي كرم الله

وجهه قال لأبي الهياج الأسدي ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا أدع قبرًا مشرفًا إلا سويته ولا تمثالاً إلا طمسته. وقال ﷺ «**لا تجعلوا قبري وثنًا يعبد من دون الله**» تفيد التحريم للعمارة والتزيين والتخصيص ووضع الصندوق ووضع الستائر على القبر والتمسح بجدار القبر وأن ذلك قد يفضي مع بعد العهد وفشو الجهل إلى ما كان عليه الأمم السابقة من عبادة الأوثان فكان في المنع عن ذلك قطع لهذه الذريعة المفضية إلى الفساد وهو المناسب للحكمة المعتبرة في شرع الأحكام من جلب المصالح ودفع المفاسد سواء كانت بأنفسها أو باعتبار ما تفضي إليه.

وردًا على سؤال مماثل حول تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾، قالت الجريدة: هذه الآية يجوز أن تكون حكاية عن الجنة. ويجوز أن تكون من كلام الله ابتداء وهي في الحالتين توحي بأن السجود، أو مواضع السجود وهي المساجد لا تكون إلا لله تعالى.

فهناك يكون التوحيد الخالص ويتوارى كل ظل لكل أحد ولكل قيمة ولكل اعتبار وتكون العبودية خالصة لله الواحد القهار. فلا دعاء لغيره ولا التجاء لسواه ولا شاغل للقلب إلا الله. وهذه الآية نص في تخلية المساجد مما طرأ عليها من بدع مثل ما يفعله الجهلة من طلب المدد من مقبور لا يدرى عن مصيره شيئًا أو جعله واسطة بينهم وبين خالقهم وقد علموا أن الله قريب منهم لا يحتاج إلى واسطة قال تعالى جوابًا لمن سأل رسول الله ﷺ عن الله أقريب ربنا فنناجيه أو بعيد فنناديه فأنزل سبحانه وتعالى ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ .

ومعنى قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ أي اجتمع عليه الجن متكتلين عليه حين قام يصلي ويدعو ربه مأخوذين بروعة القرآن الكريم وإعجازه لذلك لصق بعضهم ببعض فصاروا كأنهم لبدة صرف ليكون كل منهم أقرب لرسول الله ﷺ من أخيه ليسمعه عن قرب.

تعالوا إلى كلمة سواء

أيها القبوريون! اعلموا أن الهدي الصحيح هو الهدي الذي كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم أجمعين وأن من يخالف هذا الهدي ويفتري على الله كذبًا ويدعي أنه يتقرب إلى الله بأي عمل لم يفرضه الله علينا ولم يحدثنا به رسول الله ﷺ فعمله هذا مردود عليه حتى لو كان صاحب هذ العمل يمشي على الماء ويتربع في الهواء.

وليكن لنا في صحابة رسول الله ﷺ أسوة حسنة فيما كانوا عليه من الأعمال إذ إنهم لم يخالفوا رسول الله ﷺ وأنى لهم مخالفة المبعوث رحمة للعالمين؟ وقد علموا قول الله لهم: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

فبين الله عز وجل أن من كان حقًا يرجو الله واليوم الآخر فليكن له في رسول الله أسوة حسنة ويحتكم إليه في كل صغيرة وكبيرة، ويزن أموره على ذلك وفي ذلك يقول الله تعالى:

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

فدلت الآية على أننا إن لم نحكم رسول الله ﷺ فيما شجر بيننا فلسنا بمؤمنين إلا إذا أخذنا بما حكم دون حرج في الصدور.

فأما قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء:١١٥].

فبين الله سبحانه وتعالى أنه ما من أحد يحتكم إلى الله ورسوله في أمر ما ثم يظهر له الحق ويحيد عنه فهذا والعياذ بالله في نار جهنم.

هذا بخلاف أن طريق المؤمنين هو الطريق الذي كان عليه رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين.

فمن سلك غير هذا الطريق وابتدع (طرقًا) أخرى- لا تسمن ولا تغني من جوع فهو من الذين اتبعوا غير سبيل المؤمنين.

إذ يقول الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ﴾ [الفرقان: ٢٧- ٢٩].

فهذه الآية تبين أيضًا مصير هؤلاء الذين تركوا هدي الحبيب ﷺ وسلكوا طريق الهواجس والخرافات بعد أن ضاقت صدورهم بحدود الله سبحانه وتعالى.

ولما كان كلام الرسول ﷺ من كلام الله سبحانه وتعالى فيجب اتباعه في كل صغيرة وكبيرة. إذ يقول الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤].

وعن المقدام بن معدي كرب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكئ على أريكته فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه،وما جدنا فيه حراما حرمناه. وإن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرمه الله**» رواه الترمذي.

والمعنى أنه لا يحل لمسلم أن يقول لا آخذ إلا ما في كتاب الله من حرام وحلال ويعرض عما جاء به الرسول ﷺ. لأن الرسول ما كان يحلل أو يحرم شيئًا من تلقاء نفسه ولكن كان بوحي إليه من الله أو كان كلامه بمثابة تبيين وتوضيح لما في كتاب الله من أحكام يصعب على المسلم استنباطها والدليل قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤]، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

فبين الله تعالى أن الأخذ بما جاء به الرسول ﷺ هو الأخذ بما جاء به الله سبحانه وتعالى ويثبت صحة ذلك من قول الله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠].

ثم لو افترضنا أننا لا نأخذ إلا ما في كتاب الله فمن أين أتينا بمواقيت الصلاة وعدد ركعاتها؟ هذا على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر. إذ إن هناك أمور كثيرة أتى بها الرسول ﷺ ولم تكن ظاهرة لنا في كتاب الله فهل لا نأخذ بها لأنها لم تكن ظاهرة لنا؟

ومن ثم فإن الذين يدعون بأنهم يتقربون إلى الله تعالى بما ليس في كتابه الكريم ولا في سنة رسوله الحبيب عليهم أن يعلموا أن ادعاءهم باطل باطل، لأن الرسول ﷺ يقول في الحديث القدسي:

إن الله تبارك وتعالى قال: «**من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب. وما تقرب إلي عبد بشيء أحب إلي مما افترضته عليه. ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها.**

ورجله التي يمشي بها. ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه».

ففي معنى قوله تعالى: (**وما تقرب إلي عبد بشيء أحب إلي مما افترضته عليه**) دليلٌ على أن من أراد أن يتقرب إلى الله فليتقرب إليه بما افترضه الله عليه. حتى يسعد برضائه ويرزق معيته. فإذا ما ادعى رجل أنه يتقرب إلى الله بشيء لم يفرضه الله ولم يأت به رسوله الكريم ﷺ ففعله مردود عليه وقد وقع في لبس. قال تعالى: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك: ٢].

أي أخلصه وأصوبه، فأخلصه أن يكون خالصًا لوجه الله. وأصوبه أن يكون على السنة. فإن كان خالصًا وليس على السنة لم يقبل منه لكونه محدثة، والمحدثة بدعة والبدعة ضلالة، والضلالة في النار وإن كان على السنة ولم يكن خالصًا، لم يقبل لقول الله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف: ١١٠].

والقبوريون أيضًا منقسمون فمنهم من يعلم أن ما هم فيه إنما هو من قبيل التهريج وتضييع الوقت أو تحقيق لبعض المآرب! وكثير منهم يصرح بذلك بين الحين والحين. ومنهم من ضل سعيه وهو يحسب أنه يحسن صنعا وهؤلاء من اليسير رجوعهم إلى الطريق المستقيم بعد أن يبين لهم بالحجة ما قد وقعوا فيه من لبس ويقع في هذا الأمر كثير منهم لعدم أخذهم العلم بالأدلة الصحيحة والمتفق عليها من قبل رواة الحديث وأئمة التفسير، فقلما نجد منهم من يتحدث بالدليل الصحيح، ولهذا كان الشيطان لا يخاف ممن يتعبد لله آناء الليل وأطراف النهار بقدر ما يخاف ممن يتفقه في الدين ولذلك قال رسول الله ﷺ:«**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**» متفق عليه.

وما قاله رسول الله ﷺ ذلك عبثًا، ولكن لعلمه بأن قليل العلم كثير ما يقع فريسة للشيطان.

وقد دعا رسول الله ﷺ لابن عمه الإمام ابن عباس رضي الله عنهما وقال: «**اللهم فقهه في الدين**» فاستجاب له الله وصار ابن عباس رضي الله عنهما متفقها في الدين حتى لقب (بترجمان القرآن) أي الخبير بما فيه. ويقول الله تعالى:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٨].

فبين الله سبحانه وتعالى أن العلماء أشد خشية لله من غيرهم بفضل ما تحصلوا

عليه من علم عرفوا به قدر الله ولذلك قال الإمام مالك رضي الله عنه:

(باب من العلم نتعلمه أحب إلينا من ألف ركعة تطوعًا).

وذلك لأن من سلك طريق العلم فهو آمن بإذن الله من تلبيس إبليس!

فيا غاديا في غفلة ورائحا إلى متى تستحسن القبائحا؟

وكم إلى كم لا تخاف موقفا يستنطق الله به الجوارحا؟

يا عجبا منك وأنت مبصر كيف تنكبت الطريق الواضحا؟

وكتب رجل إلى صالح بن عبد القدوس يسأله:

القبر باب وكل الناس داخله يا ليت شعري بعد الموت ما الدار؟

فأجابه قائلاً:

الدار جنة عدن إن عملت بما يرضى الإله وإن فرطت فالنار

هما محلان ما للناس غيرهما فانظر لنفسك ماذا أنت مختار؟

• وأخيرًا أترككم مع هذا السؤال الموجه من قبل المولى عز وجل وأسأل الله أن تكون الإجابة عليه بالفعل لا باللسان، وهو: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الملك: ٢٢]

الوثنية في ثوبها الجديد [1]

اعلم رحمك الله أن الشيطان له من الحيل ما يستطيع بها تغيير قلوب الناس من التوحيد الخالص لله إلى الشرك والكفر أو على الأقل من الطاعة إلى المعصية وما حدث بين آدم عليه السلام والشيطان ليس ببعيد عنا، فحين أراد الشيطان لآدم الخروج من الجنة كان على علم بأن ذلك لن يحدث إلا إذا صور له المعصية في قالب آخر، حيث قال له ﴿ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ ولم يقل له هل أدلك على شجرة إذا أكلت منها ظهرت سوأتك وخرجت من الجنة، وذلك لأن الشيطان كان على علم بأن آدم عليه السلام لن يطيعه حين يقول له ذلك، فلما أكل آدم وزوجته من الشجرة ظهرت سوأتهما فطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة فاستحقا بذلك الخروج منها.

وهذا الأسلوب الذي يتبعه الشيطان مع من يضلهم من المسلمين لم ولن يتغير أبدا لكنه يستخدمه بصور مختلفة، فمثلاً لما كان الشيطان يريد لضعاف العقيدة وضعاف الإيمان الشرك بالله فإنه كان على علم بأنه لن يستطيع أن يجعل المسلم يشرك شركًا ظاهرًا بحيث يعلم العامة قبل الخاصة بأن هذا شرك ومروق من الدين وإلا نبهه غيره إلى ما وقع فيه ولكنه أصبح يزين لهم الشرك والكفر في صور أخرى تخفى على من يضلهم من الجهال بتعاليم هذا الدين والأصول التي بني عليها. فكم من قرى كانت آمنة مطمئنة يأتيها الرزق من كل مكان شاكرة لأنعم الله فكفرت فأخذها الله بكفرها.

والدليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل: ١١٢].

وها هم رجال كانوا يقولون لا إله إلا الله ويشهدون بنبوة محمد ﷺ ويصلون ويصومون ويزكون ويحجون (وفوق ذلك) يجاهدون مع النبي ﷺ ونزلت الآيات تقول بكفرهم وذلك لمجرد أنهم تقولوا فيما بينهم بكلام ظنوا أنه مزاح وتسلية يقطعون به الطريق والدليل قول الله تعالى ﴿ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٥ - ٦٦]. أي لا تعتذروا عما بدر منكم قد كفرتم بما تقولتم

(١) كتاب الوثنية في ثوبها الجديد.

به بعد أن كنتم مؤمنين. فهؤلاء أيضًا ما وقعوا في الكفر إلا لأن الشيطان قد زين لهم الكفر في صورة المزاح والتسلية في الطريق.

وتأمل رحمك الله إلى أن الله سبحانه وتعالى لم يقبل عذرهم حين تنبهوا إلى خطورة ما وقعوا فيه ليدل ذلك على أن هناك كفرًا لا تصح التوبة منه (١).

وقد نبهنا الله تعالى إلى أن هناك من يقع في الضلال والشرك والكفر وهم مع ذلك لا يشعرون بما وقعوا فيه والدليل قول الله تعالى ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

فهؤلاء أيضًا ما ظنوا أنهم على الحق إلا لأن الشيطان قد زين لهم الضلال والخسران في صور الطاعة لدرجة أنهم خسروا كل أعمالهم وهم مع ذلك الخسران الذي يؤدي بهم إلى نار جهنم يظنون أنهم على الحق!

وكذلك أيضًا فالذين نحن بصددهم في هذه الرسالة قد وقعوا في الشرك وهم لا يشعرون، حيث أظهر الشيطان لهم الأصنام والأحجار في قالب الأضرحة والمقامات، وأظهر لهم الفسق والفجور والزندقة في صور الاحتفال بأموات هذه الأضرحة تشريفًا وتكريمًا لهم. وأظهر لهم دعاء الأموات من دون الله أو دعاء الله بالأموات في صورة أن هؤلاء لهم عند الله منزلة عالية وأن الله لا يرد دعاء من يلجأ إليه عن طريقهم فتراهم يقولون على سبيل المثال يا بدوي يا رفاعي يا دسوقي يا أبا العينين يا طاهرة ومصيبة

---

(١) قال الإمام ابن كثير في أسباب نزول هذه الآية: قال عبد الله بن وهب: أخبرني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن عمر قال: رجل في غزوة تبوك في مجلس ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنة، ولا أجبن عند القاء، فقال رجل في المسجد: كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله ﷺ فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ونزل القرآن فقال عبد الله بن عمرو، وأنا رأيته متعلقًا بحقب ناقة رسول الله ﷺ تنكب الحجارة وهو يقول: يا رسول الله (إنما كنا نخوض ونلعب) ورسول الله ﷺ يقول ﴿ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ فتأمل رحمك الله مرة أخي إلى أن الاستهزاء بصحابة رسول الله ﷺ إنما هو استهزاء بالله وآياته. لنعلم من هذا أيضًا أن الاستهزاء بالمسلم لأجل إسلامه أو لأجل التزامه بما شرع الله كفر "خاصة في الأمور التي علم أنها من الدين بالضرورة).

هؤلاء أنهم بعد أن دعوا الأموات من دون الله يظنون أنهم مسلمون واغتروا بأنهم يقولون لا إله إلا الله وفاتهم أن المشركين والكفار كانوا يقولونها ورغم ذلك لم يدخلوا الإسلام.

والدليل قول الله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٣١].

﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٤ - ٨٩].

فهؤلاء المشركون والكفار كانوا يعلمون بأن الله هو وحده الرازق وهو وحده الذي يملك السمع والأبصار وهو وحده الذي يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي وهو وحده الذي يدبر الأمر كما يشهدون بأن الأرض ومن فيها لله الواحد القهار ويشهدون بأن رب السماوات والأرض بيده كل شيء وبرغم كل هذه الصفات التي توفرت فيهم فإنهم لم يدخلوا بها في الإسلام وذلك لأن توحيدهم لله لم يكن كاملاً حيث أنهم لم يجمعوا بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات ولكنهم كانوا مقرين بتوحيد الربوبية فقط وهذا لا يكفي للدخول في الإسلام لأنه يتعين على الذي يؤمن بأن الله هو وحده الخالق أن يعبده ولا يشرك به شيئًا ويتعين على الذي يؤمن بأن الله هو وحده الرازق أن لا يطلب الرزق منه عن طريق الوسائط ويتعين على الذي يؤمن بأنه وحده على كل شيء قدير أن لا يستعين إلا به.

والعجب كل العجب من هؤلاء الذين اغتروا بقولهم لا إله إلا الله إذ كيف فاتهم أيضًا أن الذين كانوا يعبدون الأصنام في عهد الرسول ﷺ كانوا أيضًا يؤمنون بالله سبحانه وتعالى والدليل على ذلك أن رسول الله ﷺ حين دعاهم إلى عبادة الله وحده وترك ما يعبدون من دونه ما كان ردهم عليه إلا أن قالوا: (ما نعبدهم) وذلك لعلمهم بأن الله هو وحده المستحق بالعبادة لأنه وحده النافع والضار وهو وحده المعطي والمانع وهو وحده المحيي والمميت وإلا ما معنى أنهم يدعونه لكشف ما بهم من الكروب عن طريق الوسائط؟.

ورغم ذلك فقد عرفوا بعبادة الأصنام هذا بدليل الآيات والأحاديث الواردة في ذلك مع أن ظاهر كلامهم يقول بأنهم لا يعبدونها ولكن فقط يتقربون إلى الله بها بدليل قول الله تعالى ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣]، وهذا دليل واضح يبين أن من يتوسل إلى الله بميت ويعتقد في أن هذا الميت ينفعه أو يضره ما هو إلا عابد لهذا الميت لأن دعاء الله سبحانه وتعالى عبادة والعبادة لا تكون إلا لله فمن صرف منها شيئًا لغير الله يكون بذلك قد أشرك مع الله هذا الشيء الذي صرف العبادة له ولهذا يسمى مشرك ولا يغتر بما هو عليه من قول لا إله إلا الله وصلاة وصيام وزكاة وحج وما إلى ذلك من أعمال الدين لأن القاعدة الفقهية تقول (إن من أنكر شيئًا معلومًا من الدين بالضرورة فهو كافر) وبالتالي لا ينفعه أي عمل يقوم به ودعاء الله وحده أمر معلوم من الدين بالضرورة وركيزة من الركائز التي يقوم عليها هذا الدين فتأمل رحمك الله إذا ما أنكر المسلم المؤمن شيئًا معلومًا من الدين بالضرورة صار كافرًا أما يكون الكفر أقرب إليه إذا ما أنكر أصل هذا الدين وهو توحيد الله رب العالمين؟.

أما وقد تطرق بنا الحديث عن الشرك وأحوال المشركين قبل أن يشركوا وبعد أن أشركوا وكيف أن الشيطان زين لهم الشرك وأوقعهم فيه وهم لا يشعرون كان لابد من وقفه نبين فيها بعون الله سبحانه وتعالى وتوفيقه كيف حدث أول شرك على وجه هذه الأرض فنقول مستمدين العون من الله:

إن أول شرك حدث على وجه الأرض كان في عهد نوح عليه السلام وكان سببه أيضًا الغلو في الصالحين. ولم يحدث ذلك مباشرة بل تم في عهود مختلفة فبعد أن ماتوا هؤلاء الصالحون قال بعضهم: لو صورناهم كان ذلك أشوق لنا إلى العبادة حين نتذكرهم فلما مات هؤلاء الذين صوروهم جاء غيرهم وقد فتنهم الشيطان فوسوس لهم أن من كان قبلهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم فلما كان هذا هو حالهم أرسل الله سبحانه وتعالى نوحًا عليه السلام ليدعوهم إلى عبادة الله وحده ويتركوا هذه الأصنام فما كان من هؤلاء إلا أن مكروا بدعوته. ويقول الله تعالى في ذلك على لسان نوح عليه السلام: ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح: ٢١- ٢٣].

قال ابن جرير: (وكان من خبر هؤلاء فيما بلغنا وما حدثنا به ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن موسى عن محمد بن قيس: أن يغوث ويعوق ونسرا كانوا قوما صالحين من بني آدم وكان أتباع يقتدون بهم فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون

بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم. فصوروهم فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال إنما كانوا يعبدونهم، وبهم يسقون المطر وقال بعض السلف: كان هؤلاء قومًا صالحين في قوم نوح عليه السلام فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمر فعبدوهم.

إذن يتضح من ذلك أن هذه الأصنام التي عبدت من دون الله إنما كانت في الأصل لقوم صالحين فإذا علمنا ذلك علمنا أيضًا أن الغلو في الصالحين قد يصيرهم أوثانًا تعبد من دون الله وليس ذلك ببعيد عنا، والدليل على ذلك ما يفعله القبوريون الآن عند الأضرحة من أفعال لا تختلف تماما عما كان يفعله المشركون والكفار في الجاهلية الأولى. بل إن القبوريين في زماننا هذا أشد فحشًا وجرمًا عن المشركين الذين بعث إليهم الرسول ﷺ ليدعوهم إلى التوحيد بدليل أن المشركين في الجاهلية كانوا يدعون الله في الضراء ويشركون به في السراء والدليل قول الله تعالى ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ٦٣ - ٦٤].

أي أن هؤلاء المشركين كانوا يؤمنون بالله ويؤمنون بأنه سميع عليم مجيب الدعوات ويؤمنون أيضًا بأن الله هو وحده المستحق بالحمد والشكر ولذلك كانوا يدعونه تضرعًا وخفية. ولكن عندما يستجيب لهم الله وينجيهم ينسبون النجاة إلى غيره فلهذا أصبحوا في تعداد المشركين والكفار ولم ينفعهم إيمانهم بالله.

وقال تعالى في غيرهم: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

فهؤلاء أيضًا بلغ إيمانهم إلى درجة الإخلاص وهو أعلى منزلة في الإيمان وليس بعده شيء.

فكلما انقطعت الأسباب عن الإنسان كلما كان مخلصًا في دعوته. وهؤلاء المشركون كانوا في البحر بعيدًا عن أسباب النجاة فدعوا الله رب الأسباب فلما نجاهم الله تعالى نسبوا النجاة لغيره فلذلك كانوا مشركين ولم يدخلوا في الإسلام مع أنهم دعوا الله مخلصين له الدين من قبل، وأفردوه سبحانه وتعالى بالألوهية والربوبية في نفس الوقت ويرجع عدم دخولهم في الإسلام رغم هذه الصفات الحميدة إلى أنهم أشركوا بعد ما كانوا

عليه من الإيمان بالله والإخلاص له في الدعاء!؛ ولذلك قال الله تعالى محذرًا المؤمنين من الشرك: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٨] رغم أن المقصودين بهذا التحذير الشديد كانوا عباد لله بمعنى الكلمة وكانوا مخلصين له في العبادة بمعنى الإخلاص. إلا أن كل ذلك لا ينفعهم لو أنهم أشركوا بالله بعد ذلك ويلاحظ أن كلمة (لو) هنا تفيد أنه وقت أن يشركوا بالله ستحبط كل أعمالهم التي اجتهدوا زمنًا طويلاً فيها برغم ما يكون فيها من صلاة وصيام وزكاة وحج واجتهاد في النوافل ومعلوم أن القائم على هذه الأعمال بإخلاص لله تعالى هو من أهل الجنة بإذن الله كما بين سبحانه وتعالى ذلك في كتابه العزيز في كثير من الآيات. لكن إذا أشرك بعد ذلك بالله كأن يعتقد في أن الميت ينفع ويضر أو له تصرف في الكون أو يستطيع قضاء الحاجات وتفريج الكربات أو أن التوسل به إلى الله يزيل الهم ويبعد الغم ويفك الكرب. فإن من يعتقد في هذه المعتقدات أو تجتمع عنده واحدة منها فإنه خرج من التوحيد إلى الشرك ومن الإسلام إلى الكفر (هذا إن أصر على ما هو عليه بعد أن يستتاب) ولا ينفعه أي عمل يقوم به حتى لو كان عابدا لله آناء الليل وأطراف النهار فالخوارج كانوا أكثر عبادة من الصحابة والمؤمنين في عهد رسول الله ﷺ ورغم ذلك لم يكونوا على الهدي الصحيح لاتباعهم غير سبيل المؤمنين لتكون العبرة في النهاية لمشروعية العبادة ومدى إخلاصها لله وليس بكثرتها ومن ذلك يتضح أيضًا أن الشرك الذي أشرنا إليه سابقًا ليس بمعصية فحسب وإنما هو كفر مضيع لما قبله من الأعمال ومسبب في إحباطها بالكلية فإن تشابهت عليك هذه المسألة كان لابد أن نذكر لك مسألة أخرى أقل من السابقة في ظاهرها قد تحبط الأعمال لمن يقع فيها أيضًا حتى لو كانت مثل زبد البحر أو تزن جبل أحد ودون أن يشعر صاحبها لسهولة الوقوع فيها أو عدم الانتباه لها واقرأ معي قول الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات: ٢].

فإذا علمت من هم المقصودون بهذا التحذير الشديد والإنذار المخيف تعجبت أنهما الشيخان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما أبو بكر الصحابي الأول للرسول ﷺ وعمر الذي قال فيه الرسول ﷺ **«لو كان نبي بعدي لكان عمر»** فإن كنت لا تصدق فتعال معي إلى أصح كتب الحديث وهو كتاب صحيح البخاري حيث

قال في الصحيح: حدثنا بسرة بن صفوان اللخمي حدثنا نافع عن ابن عمر عن ابن أبي مليكة قال: كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين ركب عليه ركب بني تميم فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس ﷺ أخي بني مجاشع وأشار الآخر برجل آخر قال نافع لا أحفظ اسمه فقال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما ما أردت إلا خلافي قال ما أردت إلا خلافك فارتفعت أصواتهما في ذلك فأنزل الله تعـــالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴾ [الحجرات: ٢] قال ابن الزبير رضي الله عنهما: فما كان عمر ﷺ يسمع من رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبا بكر ﷺ. فإذا علمت أن الله سبحانه وتعالى قد أنزل القرآن في أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما مهددًا إياهما بإحباط أعمالهما وهما لا يشعران لمجرد أنهما رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ تحققت وتأكدت أن من لم يرض بحكم الرسول ﷺ فيما جاءنا به من أحكام وشرائع (معلومة من الدين بالضرورة) أولى بإحباط العمل وأحق بالكفر من غيره وتأكدت أيضًا من كفر هذا الذي لم يرض بحجية حديث متفق عليه كما نص على ذلك جمهور العلماء سلفًا وخلفًا.

وقال البخاري أيضًا في صحيحه حدثنا علي بن عبد الله حدثنا أزهر بن سعد أخبرنا ابن عون أنبأني موسى بن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس ﷺ فقال رجل يا رسول الله أنا أعلم لك علمه فأتاه فوجده في بيته منكسًا رأسه فقال شر كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ فقد حبط عمله فهو من أهل النار فأتى الرجل النبي ﷺ فأخبره أنه قال كذا وكذا قال موسى فرجع إليه المرة الأخيرة ببشارة عظيمة فقال:« **اذهب إليه فقل له أنك لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة**».

فهذا صحابي أيضًا من صحابة رسول الله ﷺ يقول على نفسه أنا من أهل النار قد حبط عملي لدرجة أنه اعتكف في البيت ونكس رأسه حزنًا على نفسه لاعتقاده بأن الآية نزلت فيه لمجرد أنه رفع الصوت عند النبي ﷺ فإذا أمعنت النظر فيما سبق وعلمت أبعاد المسألتين السابقتين اشتقت إلى العلم كي تعلم ما ربك وما دينك وما هو الرسول الذي بعث فيك قبل أن يدركك الموت ويأتيك الملكان يسألانك بهذه الأسئلة فتقول لا أدري كنت اسمع الناس يقولون شيئًا وكنت أقوله!

فتأكد يا أخي مما تتلفظ به الآن حتى يثبتك الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة فلعلك تتفوه بكلمة لا تلقي لها بالا تهوى بك في النار سبعين خريفًا كما حدثنا بذلك البشير النذير ﷺ وكما قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ .

وبعد أن بينت بعون الله أن المشركين كانوا يؤمنون بالله ويؤمنون بأنه هو وحده القادر على كل شيء لكنهم لم يدخلوا في الإسلام وكانوا في تعداد المشركين وبينت أن السبب في ذلك يرجع إلى أنهم كانوا يؤمنون بالله وقدرته في الضراء ويشركون به في السراء أي عندما يستجيب لدعائهم أو لاتخاذهم وسائط بينهم وبين الله كان لابد أن نذكر لك بعض الأمثلة أيضًا والتي عليها القبوريون في هذا الزمان ولتحكم أي الفريقين أحق بالكفر، يقول أحد القبوريين ناصحًا أحد إخوانه في الوثنية:

عليك ببيت فيه للمحتمي العز ... وللظالم الأسواء والذل والعجز

وذلك ببيت القطب أحمد كنزا ... من المدح فيه بالصرح كذا والرمز(١)

أي أنه إذا أصابك ظلم ما من أحد فما عليك إلا أن تذهب إلى ضريح البدوي تشكو إليه ضعفك وهوانك على الناس.

فضريح - البدوي - يحمي كل ضعيف مستضعف ويمنحه العزة وهو في نفس الوقت يصيب الظالم بالذل والعجز!

أما إذا كنت بعيدًا عن ضريح - البدوي - وألمت بك مصيبة. وأردت أن تتخلص منها فما عليك إلا أن تسمع هذا الوصف من أحد القبوريين لتعلم كيف تتصل بالبدوي (دايركت) يقول:

يا من رماه الدهر بالإذعان ... ناد بعزم يا أبا فراج

فهو الأمان من الحوادث إذا أتت ... وهو الملاذ لنا وعون الراجي

وهو المراد إذا الخطوب تراكمت ... وهو المجيب لدعوة المحتاج(٢)

الله يقول في كتابه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

---

(١) الجواهر السنية لعبد الصمد الأحمدي ص ١١١.

(٢) الجواهر السنية ص ١٠٤.

وهذا يدعو الناس إلى مناجاة البدوي، ويقول الله تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ [النمل: ٦٢].

وهذا يدعي أن البدوي هو الأمان من الحوادث إذا أتت، ويقول الله أيضًا: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام: ١٧].

وهذا يدعي أيضًا أن البدوي هو المراد إذا الخطوب تراكمت وهو المجيب لدعوة المحتاج. ويقول آخر مخاطبًا البدوي:

بـــدوي النجـــاد انجـــد ودارك   قـــد أتيـــنا حـــمـــاك ودارك
أنـــت ذخـــري وعـــوني وملاذي   وأنـــا الآن داخـــل في حلالـــك
أنجـــد أنجـــد هـــيا هـــيا سريعا   ذمـــة العـــرب لا تضـــيع بذلك(١)

انظر إليه وهو يقول - للبدوي - الميت - أنت ذخري وعوني وملاذي، ثم انظر إليه وهو يستنجد به في لهفة مجنونة قائلاً أنجد أنجد هيا - هيا سريعا!

وكأن الميت بيده كل شيء وهو على كل شيء قدير: إذ لو كان هذا المناجي يعتقد في - البدوي - غير ذلك لما قال أنجد - أنجد - هيا هيا سريعا.

ويقول آخر وقد منح - البدوي - صفات الله وأسماءه:

إني أتيـــتك يـــا ذا المشرع العالي   فانظـــر بلحظـــك في شأني وفي حالي
ولا تكلـــني إلى مـــن ليس ينصرن   ولا إلى ذي جفـــا للعهـــد لي قالي
ففاقتي لك يا ذا الطول قد علمت   من كسر قلبه ومن حالي ومن قالي(٢)

هكذا وبكل بساطة منحوا -البدوي الميت- كل صفات وأسماء الله تعالى إذ يقول: يا ذا المشرع - يا ذا الطول فبينما يقول الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

يدعي القبوريون أن للبدوي أسماء حسنى يدعونه بها:

ويقول تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]،

---

(١) الجواهر ص ١٢٠.

(٢) الجواهر ص ١٢٤.

وهؤلاء يشبهون -البدوي- بالله في الصفات والأفعال.

ويقول آخر معلمًا إخوانه آداب الوقوف بين يدي البدوي:

فمـــرغ الخـــد في أعتاب حضرته لعلـــه بالرضـــا والبشـــر يلقاك[(١)]

أي ينبغي على الزائر إذا أتى ضريح- البدوي أن يمرغ خديه في أعتاب ضريحه لعله بهذا التمرغ -ينال الرضا- والبشر- من الميت- ويلاحظ هنا أن كلمة (لعله) تعني أنه ربما يمرغ الزائر خديه في أعتاب ضريح- البدوي- ولا يقابل بالبشر -والرضا_ والترحاب!.

وأسأل ما الذي يفعله الزائر إذا بعد أن يمرغ خديه في أعتاب البدوي حتى يقابل بالبشر- والرضا- والترحاب؟!

وماذا سيحدث لمن يمرغ خديه في أعتاب ضريح البدوي؟

وماذا سيحدث للزائر إن لم يرض عنه البدوي؟؟؟

بل وماذا سيحدث لمن لم يزر البدوي- في حياته؟

وبعد أن منح القبوريون -البدوي- كل صفات وأسماء الله تعالى كما قرأت أقوالهم يلاحظ أنه بقيت صفة واحدة وهي صفة لا يختص بها إلا الله وحده ألا وهي صفة المغفرة، فمعلوم أن الله هو وحده غفار الذنوب ولكن القبوريين يقولون إن -البدوي- أيضًا يغفر الذنوب إذ يدعي أحدهم أن -البدوي- قال:

فمـــن زارني تـــنحت فـــيه ذنوبه وفـــاز بالغفـــران لما قد جنى قبل

وعـــاد إلى أوطانـــه في جلالـــة وعـــز وتكريم وقد عمه الفضل[(٢)]

ويدعي قائل هذا البيت أنه من كانت له ذنوب فما عليه إلا أن يقوم بزيارة -للبدوي ويتوب إليه- من المعاصي التي ارتكبها- سواء كانت هذه المعاصي التي ارتكبها من الكبائر أو الصغائر فرحمة -البدوي- وسعت كل شيء وبإذن -البدوي- سيفوز بالغفران وستتنحى عنه ذنوبه حتى لو كانت مثل زبد البحر- وسيرجع بعد ذلك إلى أوطانه في جلالة وعز وتكريم وقد عمه الفضل!

---

(١) الجواهر ١٢١.

(٢) الجواهر ١٢٣.

وهكذا منح القبوريون -البدوي- كل صفات الله من أفعال لا يقدر عليها إلا الله حتى أصبح - الميت المقبور- غافر الذنب- قابل التوب- شديد العقاب- ذي الطول!، ولما كان -البدوي- في نظر الذين عبدوه من دون الله- غافر الذنب- قابل التوب- شديد العقاب- ذي الطول- فلا مانع إذا من أن يسبحوا بحمده بكرة وأصيلا لما له من فضل عليهم أجمعين. فتراهم يقولون:

مــن عمــنا إحــسانه فــبحمده وبمدحـــه وشــكره نتــرنم[1]

بل وصل الضلال بهؤلاء إلى أنهم ألفوا حديثًا نسبوه إلى الله تعالى إذ يقولون إن الله تعالى قال في حديث قدسي: الملك ملكي وصرفت فيه البدوي.

ولا تعجب فهذا الحديث الملفق ما هو إلا تفسير لما سبق من أقوال الشعراء، كان هذا بالنسبة للذين فتنوا بالبدوي والضريح المشيد له بطنطا.

أما بالنسبة للذين فتنوا بإبراهيم الدسوقي فقد نسب إلى الشعراني أنه قال في الطبقات إن إبراهيم الدسوقي قال: أنا بيدي أبواب النار أغلقتها وبيدي جنة الفردوس فتحتها، من زارني أسكنته جنة الفردوس. وبالتالي فإن صاحب هذا الزعم يكون قد وفر على الناس مشقة العبادة من صلاة وصيام وزكاة وحج البيت الحرام.

وبالتالي لا خوف على الذين اقترفوا المعاصي وكبائر الذنوب. فالنار قد أغلقت وجنت الفردوس قد فتحت! والبركة في اللمة يا هو.

وإذا سلمنا جدلا بأن جنة الفردوس قد تم حجزها لزوار- إبراهيم الدسوقي- فما مصير الذين كانوا قبل إبراهيم الدسوقي أو الذين لم يقوموا بزيارة ضريحه؟

الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ [ق: ٣٠]، والقبوريون يقولون: إنها أغلقت بفرمان- من إبراهيم الدسوقي، وبينما يجمع الرسول ﷺ أهل بيته ويقول لهم اعملوا ما شئتم لا أغني عنكم من الله شيئًا.

يزعم البعض أن جنة الفردوس بيد إبراهيم الدسوقي وقد تم حجزها مقدمًا لزوار ضريحه.

وعندما نتعرض للحديث عن جنة الفردوس فإننا نجد أن الله سبحانه وتعالى

---

(١) الجواهر ص١٢٨.

يقول في كتاب العزيز ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴾ [الكهف: ١٠٧].

وصاحب أدنى فهم يرى من خلال هذه الآية أن جنة الفردوس ليست ملكًا خاصًا لأحد من الناس. بل إن الله سبحانه وتعالى قد أعدها لعباده المؤمنين- أصحاب الأعمال الصالحة الخالصة لوجهه تعالى.

وعلى الصعيد العربي فقد صرح الشيخ محمد عثمان البرهاني زعيم البرهانية بالسودان أن الدسوقي هو الذي قاد الجيش في حرب أكتوبر ١٩٧٣ بجسده!!

وصاحب هذا الزعم مطالب بأن يفيدنا بنوع السلاح الذي كان ينتمي إليه- الدسوقي؟ هل كان في سلاح المشاة- أم المهندسين- أم الدفاع الجوي- أم البحري- أم الاستطلاع- أم المدرعات- أم المظلات- أم في سلاح الإشارة؟!! ومطالب بأن يقول لنا عن الأسباب التي منعت إبراهيم من الاشتراك في حرب يونيو ١٩٦٧- ما دام له اتصال مباشر به وعلى علم بتحركاته الداخلية والخارجية!

وبالتأكيد لو كان النصر حليفنا في هذه الحرب لزعم أنه كان فيها ولكن لأن الأمر كان غير ذلك فلم يتكلم.

أما بالنسبة للذين فتنوا بأحمد الرفاعي- فقد ادعى أحمد الصاوي:

أن الرفاعي أراد أن يشتري بستان (حديقة) فأبى صاحبه أن يبيعه إلا بقصر في الجنة فقال له- قد اشتريت منك بذلك. وكتب له عقد هذه صورته: بسم الله الرحمن الرحيم- هذا ما ابتاع إسماعيل من العبد أحمد الرفاعي ضامنًا على الله قصرًا في الجنة يحده حدود.

الأول: جنة عدن.

والثاني: جنة المأوى.

والثالثة: لجنة الخلد.

والرابع: لجنة الفردوس بجميع صوره وولدانه وفرشه وأشربته وأنهاره وأشجاره عوضًا عن بستانه في الدنيا- والله شاهد على ذلك وكفيل. فلما مات إسماعيل أي مشتري القصر- دفن معه العقد- فأصبحوا وإذا مكتوب على قبره، وقد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا.

انظر إلى هذه القصة بتمعن لترى كيف تخللتها سموم الوثنية في خبث ودهاء

مريب- ويلاحظ في هذه الرواية أن مؤلفها- أحمد الصاوي- قد منح الرفاعي حق التصرف في قصور الجنة بما فيها جنة (الفردوس) بقصورها وولدانها وفرشها وأشجارها وأبحارها وأنهارها ويلاحظ أيضًا أن هناك قبوريًا سابقًا قد قال إن جنة الفردوس هي ملك- إبراهيم الدسوقي- وقد تم حجزها لزوار ضريحه! وهنا يدعي هذا القبوري هو الآخر أن جنة الفردوس هي من الجنان التي يتحكم فيها الرفاعي أيضًا ولذلك فقد منحها هدية بجانب القصر ثمنا لقطعة الأرض التي اشتراها! وإذا سلمنا بصحة هذه الرواية فلنا أن نسأل؟

هل كان دخول الجنة في عهد الرفاعي ثمنًا لبيع الأرض له أم كان بالعمل الصالح الخالص لوجه الله. وإذا خاطبنا هؤلاء على قدر عقولهم وسلمنا مؤقتًا بصحة هذه الروايات فأين سيكون مصير من كانوا في عهد الرفاعي ولم تكن في حيازتهم أي أرض؟

ألا ترى يا أخي أن هذه القصة في مضمونها قد سبقت قصة بيع الأهرامات الثلاثة لأحد السذج.

وخلاصة القول: أن القبوريين قد أعطوا- البدوي- حق التصرف في الوجود- وقضاء الحاجات وتفريج الكربات وكشف العاهات- وأخيرًا منحوا له حق الغفران ومنحوا للدسوقي- حق إغلاق أبواب النار ودخول جنة (الفردوس) وللرفاعي- حق التصرف في قصورها وجناتها [1].

ولا تعجب فليس بعد الكفر ذنب.

---

(١) يتهمنا البعض بأننا نقلل من شأن الأولياء والصالحين وننكر ما تفضل الله عليهم من كرامات وهذا قول خاطئ. لأن المتمعن في كلامنا لا يجد والحمد لله حرفًا واحدًا في حق أحد من الأموات. ولكن كان الكلام دائمًا على هؤلاء الذين فتنوا بهم وعلى ما نسبوه إليهم من أقوال لا تصدر إلا من جاهل بأصول ديننا الحنيف.

وليعلم في نفس الوقت أن الفتنة بالأنبياء والصالحين ليس فيها ثمة تقليل من قدرهم ومكانتهم عند الله سبحانه وتعالى- ولكن الخسران والهلاك لمن فتنوا بهم فالذين فتنوا بعيسى عليه السلام واتخذوه من دون الله إلها لم يقللوا من شأن رسالته. ولذلك حذر الرسول ﷺ أمته مما وقع فيه قوم عيسى عليه السلام حيث قال في الحديث «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ولكن قولوا بقولكم عبد الله ورسوله».

ويروي الشعراني أيضًا عن الرفاعي أنه لما ذهب ليحج وقف أمام قبر الرسول ﷺ وقال:

في حالة البعد روحي كنت أرسلها تقبل الأرض عني وهي نائبتي
وهذه دولة الأشباح قد حضرت فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فمد رسول الله ﷺ يده من داخل القبر فقبلها الرفاعي ثم أدخل الرسول ﷺ يده مرة أخرى! وبالتحقيق في هذه الرواية المختلقة نجد أنها لا تتفق بأي حال من الأحوال مع المقاييس التي تعارفنا عليها سواء كانت هذه المقاييس عقلية أو شرعية لأنه من المعلوم لدينا أنه لا يوجد على الأرض من هو أشد حبًا للرسول ﷺ من الصحابة عامة والخلفاء الراشدين خاصة. ورغم ذلك لم نسمع مثلاً أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ ذهب إلى قبر الرسول ﷺ ودار بينهما حديث ما.. فضلاً عن خروج اليد لتقبيلها- وكذلك بالنسبة للصحابي الأول للرسول ﷺ أبي بكر الصديق والإمام الجليل علي بن أبي طالب ﷺ وغيرهم ممن عرفوا بحبهم الشديد لرسول الله ﷺلم يؤثر عن أحد منهم أنه كان له حالاً مع الرسول ﷺ بعد موته ولم يؤثر أيضًا عن أحد أنه ذهب إلى قبر الرسول ﷺ وطلب منه أن يمد يده لكي يقبلها وذلك لأنهم أصحاب عقيدة صحيحة بعيدة كل البعد عن الوثنية والشرك والوهم والخيال. فإذا كان هذا هو حال الصحابة مع حبيبهم رسول الله ﷺ بعد الممات فكيف بمن دونهم بل كيف يقال إن يد الرسول ﷺ قد خرجت من القبر بناء على الطلب المقدم من قبل الرفاعي ليقبلها ثم دخلت مرة أخرى!.

وخلاصة القول إنه لو كان من الجائز حدوث ذلك لكان الصحابة رضي الله عنهم أجمعين أولى بالرسول ﷺ من غيرهم- ولكن لأنه لم يؤثر عن أحد منهم أنه فعل ذلك أو كلم الرسول من خارج القبر ورد عليه الرسول ﷺ فإن ما سبق ذكره من قبل الشعراني ما هو إلا وهم وخيال ليس له سند عقلي أو شرعي [1].

---

(١) كانت هذه مقتطفات من أقوال هؤلاء الذين اعتقدوا في البدوي- والدسوقي والرفاعي وغيرهم من الأموات- ذكرتها على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر ولكن من أراد أن يتعرف على الوثنية بأصولها المتفرعة فعليه بكتاب الجواهر السنية لعبد الصمد الأحمدي، كتاب الطبقات =

وأيضًا لا تعجب يا أخي إذا ما علمت أن من بين هؤلاء من يقف أمام الميت خاشعًا ذاكرا داعيًا ذاك الميت الذي لو كان حيا ما كان لينفع نفسه ولا يستطيع دفع ضر نزل به.

فتراه يقف أمامه وقفة الذليل ويبتهل إليه ابتهال المسكين وكأنه أمام رب العالمين ليقول مخاطبًا ذلك الميت، العارف لا يعرف وجئتك فتصرف والشكوى لأهل البصيرة عيب، وأنت يا قطب الأقطاب تعرف كل شيء ولست بحاجة إلى تفسير أو كلام.

وما ذكرته آنفًا إنما هو تلخيص لعقيدة القبوريين فيما عرف بينهم بأولياء الله الصالحين فهذا الذي وقف أمام أحد أوثان الشرك المسمى عندهم بالمقام يقول في وقاحة العارف لا يعرف أي أنت أيها القطب تعرف ما بي من الهم والغم والكرب وتعرف لماذا جئت إليك قاصدك وحدك فما ذهبت لأحد غيرك فأنت وحدك الذي تملك فك همي وغمي وكربي ولست بحاجة إلى أن أقول ذلك.

فيا مصرف أحوالنا تصرف في أمرنا ولو لم تكن الشكوى لأهل البصيرة عيب لزدت في شكواي فأنت يا قطب الأقطاب تعرف كل شيء ولست بحاجة إلى تفسير أو كلام، ترى يا أخي ماذا بقى لله سبحانه وتعالى؟ وليس هذا الكلام فيه ثمة غرابة إذا ما قورن بالذي قيل قبله على لسان القبوريين أنفسهم وحتى يا أخي لا تظن أن في كلامي افتراء على هؤلاء- فإليك ما كتبه أحمد التيجاني عن قطب الأقطاب في كتاب (جواهر المعاني ص ٨١) إذ يقول: ومما أكرم الله به قطب الأقطاب أن يعلمه الله علم

=

الكبرى للشعراني- فهذان الكتابان فيهما كثير من النقول التي لا تعبر إلا عن الكفر الصريح لمن نسبت إليه.

وليعلم أن هذا هو حال المثقفين من القبوريين كما هو واضح من خلال أسفارهم المكدسة بكل ما هو باطل. ولا يغتر بقول العامة من أنهم ليسوا على شاكلة هؤلاء. فهم يدينون لهم بكل الحب والولاء والعرفان والتقديس- وإلا كيف يتنكرون لما سبق من أقوال السفهاء؟ وهم مع هذا الإنكار المزيف يقولولن- مدد يا دسوقي- مدد يا بدوي- مدد يا أبا العينين- مدد يا أبا السباع- مدد يا طاهرة- مدد يا أمير الجيوش- مدد يا قناوي- مدد يا عبد القادر- مدد يا باشة الأمارة- مدد يا كايدهم.

أليس هذا معناه- أنهم يعتقدون في أن الأموات قادرون على جلب المصالح لهم ورد المصائب.

ما قبل الوجود والكون وما وراءه وما لا نهاية له وأن يعلمه علم جميع الأسماء القائم بها نظام كل ذروة من جميع الموجودات وأن يخصصه بأسرار دائرة الإحاطة وجميع فيوضاته وما احتوى عليه.

فإذا كان التيجاني يزعم بأن قطب الأقطاب عنده علم ما قبل الوجود والكون وما وراءه وما لا نهاية له فأين أذهب بقول الله تعالى: ﴿ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ [لقمان: ٣٤].

وأين أذهب أيضًا بقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥]، ويقول تعالى ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [النمل: ٦٥]، ويقـــول تعـــالى ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

ويأمر الله سبحانه وتعالى رسوله بأن يقول لقومه: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

ترى هل كان هذا المسمى بقطب الأقطاب أحب وأقرب إلى الله تعالى من الأنبياء والرسل والصحابة رضي الله عنهم أجمعين فيعطيه الله علم ما قبل وجود الكون وما وراءه وما لا نهاية له ويحرمه من أنبيائه ورسله والصالحين من عباده؟. وأحاول الآن جاهدًا أن أمسك بالقلم حتى لا تتشعب بنا الأمور وليكون لنا مع هذا القطب الخرافي وقفة أخرى لنبين فيها إن شاء الله كيف يتصرف هذا القطب في الكون بمساعدة الإمامين - والأوتاد الأربعة والأبدال والنجباء والنقباء!!

ولنتعرف أيضًا على ما يسمى عندهم بالديوان ورئيس الديوان أو رئيسة الديوان ومكانه ووقت انعقاده ليتبين لكم كيف تتحكم محكمة الدراويش العليا بقيادة رئيس الديوان أو رئيسة الديوان في أقدار الله.

نور من الله

أيها القبوريون ألم تقرءوا قوله تعالى ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر: ٣٦]، حتى تذهبوا لميت لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرا، أكان الله بخيلا فتتخذوا له وسيطا كي يستجيب لكم وهو القائل ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦]، أم كان الله لا يعلم بحاجتكم فأخذتم له من يخبره وهو القائل: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤].

أم كان الله ظالمًا فأخذتم له من يعينه على ظلمه وهو القائل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَـٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٠].

أما قرأتم قوله تعالى: ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَـٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَـٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴾ [الرعد: ١٤].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾ [الأعراف: ١٩٤-١٩٥].

ويقول تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر: ١٣ - ١٤].

ويقول تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤١].

ويقول تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ﴾ [الرعد: ١٦].

ويقول تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ

فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾ [يونس: ١٠٧].

ويقول تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس: ١٨].

ويقول تعالى: ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر: ٣٨].

ويقول تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل: ٦٢].

ويقول تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾ [الرعد: ١٦].

ويقول تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [يونس: ١٠٦].

ويقول تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [الأحقاف: ٥].

فهذه آيات عديدة من لدن حكيم عليم نكتفي بذكرها تبين أن من يدعو غير الله أو يشرك مع الله أحد في دعوته وتوسله فقد أشرك بالله سبحانه وتعالى وليكن لنا بعد ذلك في رسول الله ﷺ أسوة حسنة وهو يعلم أصحابه ويعلمنا كيف نكون على التوحيد الخالص لله رب العالمين.

١- ففي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ما شاء الله ثم ما شاء محمد**» رواه ابن ماجه.

وبذلك يكون الرسول ﷺ قد نهى أن تقرن مشيئة الخالق بمشيئة الخلق. وفي قوله:

«ولكن قولوا ما شاء الله ثم ما شاء محمد» توضيح أن مشيئة الخلق لا تكون إلا إذا شاء الخالق إذ يقول الله سبحانه وتعالى ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠].

ويقول تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤].

٢- وقال رجل للرسول ﷺ ما شاء الله وشئت فقال: **«أجعلتني لله ندًا؟ قل ما شاء الله وحده»** رواه النسائي.

فدل ذلك على أن من يقرن مشيئة الخلق بمشيئة الخالق فقد جعل لله ندا حتى لو كان أحد خلقه أتقاهم وأقربهم إلى الله وفي ذلك يقول تعالى ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].

٣- روى الطبراني بإسناده «أنه كان في زمن النبي ﷺ رجل يؤذي المؤمنين فقال بعضهم: قوموا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، قال النبي ﷺ: **إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله»**.

٤- وفي الصحيح عن أنس قال: شج النبي ﷺ يوم أحد وكسرت رباعيته فقال **«كيف يفلح قوم شجوا نبيهم»** فنزلت ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]. أي أن فلاحهم أو عدم فلاحهم ليس من أمر النبي ﷺ إنما هو بيد الله.

وقد روي هذا الحديث عن طريق ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«إذا رفع يده من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر اللهم العن فلانًا بعدما يقول سمع الله لمن حمده... ربنا ولك الحمد»** فنزلت الآية ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾.

وفي رواية أخرى يدعو على صفوان بن أمية وابن عمرو الحارث بن هشام فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ فهذا الحديث والذي روي من طرق عديدة يدل دلالة قاطعة على أن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يكن يملك من الأمر شيئًا حتى لنفسه، وقد أوحى الله سبحانه وتعالى إلى رسوله ﷺ بأن يخبر أمته بذلك قال تعالى لرسوله: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

٥- روي في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول: يا رسول الله. أغثني. فأقول: لا أملك لك من الأمر**

شيئًا»

وقد ثبت أيضًا في الحديث الصحيح عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال حين أنزل عليه ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤]. «**يا معشر قريش أو كلمة نحوها، اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم شيئًا. يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئًا. يا صفية عمة رسول الله ﷺ لا أغني عنك من الله شيئًا ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئًا**».

وفي رواية «**يا بني كعب أنقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لكم من الله شيئًا**».

فانظر يا أخي إذا ما كان الرسول ﷺ يخبر أهله وهم أقرب الناس إليه ويقول لهم إني لا أغني عنكم من الله شيئًا وهو المعصوم والذي له عند ربه منزلة عالية فكيف بمن يعلقون مصيرهم ببعض الأموات الخطائين ويلجئون إليهم ويتخذونهم وسطاء لله تعالى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله؟ ولكن عندما يواجه القبوريون بهذه الأدلة القرآنية والأحاديث النبوية التي تكشف عقيدتهم الوثنية وعندما لا يجدون مفرًا منها يدعون أنهم لا يذهبون إلى تلك الأضرحة إلا لزيارتهم وقراءة الفاتحة ترحما على أرواحهم من حيث لا يدرون أن ادعاءهم هذا قد كشف القناع عن أمور كثيرة لا يجرءون على التصريح بها. وحتى لا تضيع الحقيقة في هذا الأمر أيضًا لزم علينا أن نقف وقفة مع رسول الله ﷺ في هديه لزيارة المقابر.

١- عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ كلما كان ليلتها منه يخرج من آخر الليل إلى البقيع، فيقول «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وأتاكم ما توعدون. غداً مؤجلون. وإنا إن شاء الله بكم للاحقون اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد**» رواه مسلم.

٢- وعن عائشة أيضًا أن جبريل أتاه فقال: إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم قالت: قلت: كيف أقول لهم يا رسول الله. قال: قولي: «**السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين. وإنا إن شاء الله بكم للاحقون**» رواه مسلم.

٣- عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا: «**السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين. وإنا إن شاء الله بكم للاحقون**» رواه مسلم.

فهذه روايات صحيحة عن رسول الله ﷺ فضلاً عن وجود روايات أخرى كثيرة في نفس الباب تبين ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام في زيارتهم المقابر.

هذا وقد نهى الرسول ﷺ عن قراءة القرآن في المقابر والدليل ما رواه مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال «**لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان يفر من البيت الذي يقرأ فيه سورة البقرة**» أي لا تجعلوا بيوتكم كالمقابر التي لا يقرأ فيها القرآن- وهذا الحديث فيه دليل أيضًا على أن المخاطبين به كانوا على علم بأن المقابر لا يقرأ عندها القرآن- وأن هذا هو المشهور عندهم فهل يلتزم القبوريون بهذه الآداب عند زيارتهم للمقابر؟ أم أنهم راحوا يتنافسون في طلب المدد من الموتى؟ ثم إننا نكتشف من الأحاديث السابقة ما يلي:

أولاً: أن الله عز وجل هو الذي كان يعلم الرسول ﷺ آداب الزيارة أي أن آداب الزيارة ليست من عند رسول الله ﷺ فحسب وإنما هي من عند الله رب العالمين. ولو افترض أنها من عند رسول الله ﷺ فحسب لا ينبغي مخالفتها لقول الله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر: ٧].

ثانيًا: لم يكن من هدي الرسول ﷺ قراءة الفاتحة أو غيرها من السور على مقابر الأموات، بل كان هديه أنه كان إذا دخل المقابر بدأ بالسلام عليهم ثم أخذ يدعو لهم كما هو واضح من الأحاديث السابقة وخاصة الحديث رقم (٤).

ثالثًا: أنه لو كانت قراءة الفاتحة أو غيرها من السور ترحمًا على أرواح الأموات من سنن الزيارة لقرأها رسول الله ﷺ وأوصى صحابته الكرام بقراءتها. ولكن علم الرسول ﷺ أن ما ينفع الأموات في قبورهم هو الدعاء لهم فكان يكثر منه.

رابعًا: القول بجواز قراءة الفاتحة على أرواح الأموات فيه مغالطة صريحة، إذ لو كانت قراءة الفاتحة على الأموات فيها فائدة تعود عليهم لما خفي ذلك على رسول الله ﷺ بل فيه اتهام له بأنه فاته أن يترحم على الأموات من المسلمين. وحاشا له ذلك وقد وصفه الله لنا في كتابه العزيز فقال عنه ﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ فكيف

بمن هو حريص علينا رءوف رحيم بنا، يفوته أن يترحم على من سبقونا بالإيمان.

خامسًا: يقول الرسول ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**» متفق عليه.

أي من أتى بشيء ليس في كتاب الله ولا سنة الرسول ﷺ وادعى أنه من الدين فهو مردود عليه لا يعمل به، وقراءة الفاتحة على المقابر على أرواح الأموات كما هو شائع اليوم، أمر لم يأت لا في آية من آيات الله ولا في حديث من أحاديث رسولنا الكريم، ولم يأت به أحد من السلف الصالح، وبالتالي فهذا الأمر مردود على من قال به.

سادسًا: رب قائل يقول إني أقرأ الفاتحة والفاتحة من القرآن فهل لا يجوز لي قراءة القرآن ترحمًا على أمواتنا؟ قلنا له: إذا كنت حقًا تريد أن تترحم على أموات المسلمين ويهمك هذا الأمر فالأولى بك أن تتبع من هو أرحم منا جميعًا على الأحياء والأموات باتباع ما كان عليه رسول الله ﷺ في مثل هذا الموضوع. لأن ما جاء به الحبيب ﷺ هو الأفضل والأكمل ولن يأتي أحد بأفضل مما جاء به.

ونحن لا نحرمك من قراءة القرآن ولكن نقول إن لكل قول وقتًا ومكانًا يقال فيه فعندما نهي عن قراءة القرآن في الخلاء أكان ذلك نهيا مطلقًا لعدم قراءته؟ وهل عندما نهي عن قراءته أيضًا بصوت مرتفع فيشوش على المصلين أكان ذلك النهي نهيا عاما؟

وخلاصة القول أنه ما دام هناك نصوص صريحة في زيارة المقابر من حيث السلام على الأموات والدعاء لهم فإنه لا يصح بعد ذلك الاجتهاد مع هذه النصوص الصريحة وأكتفي بهذا القدر للكلام في هذه المسألة وإن كنت أطلت فيها شيئًا ما فذلك لأنها حجة أمام القبوريين يلجئون إليها إذا ما فنيت ادعاءاتهم المزعومة، وأردت بذلك أن أبين أنها أيضًا حجة واهية.

وقال صاحب معارج القبول الشيخ حافظ أحمد بن حكمي في ذلك:

ثم الزيارة على أقسام ... ثلاثة يا أمة الإسلام

فإن نوى الزائر فيما أضمره ... في نفسه تذكره بالآخره

ثم الدعاء له وللأموات ... بالعفو والصفح عن الزلات

ولم يكن شد الرحال نحوها ... ولم يقل هجرا كقول السفها

كذلك سنة أتت صريحه ... في السنن المثبتة الصحيحه

ففي هذه الأبيات يبين الشاعر أن زيارة المقابر تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأولى: الزيارة السنية وهي التي كان عليها رسول الله ﷺ والسلف الصالح وتابعوهم بإحسان إلى الآن وفيها يتعظ الزائر من تذكره للموت ويدعو للأموات بالمغفرة والرحمة.

الثانية: وهي الزيارة البدعية والتي عليها عامة الناس اليوم إلا من رحم الله إذ لا يلتزم فيها الزائر بما أثر عن رسول الله ﷺ وصحابته الكرام والسلف الصالح رضوان الله عليهم وبالتالي لا يتحصل الزائر على مقصود زيارته.

الثالثة: الزيارة الشركية والتي عليها القبوريون الآن لاعتقادهم الفاسد في أن أموات تلك الأضرحة يملكون لهم النفع والضر، ويمدوهم بالعون والمدد.

خطبة الإمام ابن القيم

في الفرق بين زيارة الموحدين للقبور وزيارة المشركين

هـــذا وللإمـــام ابن القيم خطبة كافية شافية يبين فيها الفرق بين زيارة الموحدين للقبور وزيارة المشركين يقول: أما زيارة الموحدين: فمقصودها ثلاثة أشياء:

أحـــدها: تذكـــر الآخرة، والاعتبار، والاتعاظ. وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك بقوله: «**زوروا القبور، فإنها تذكركم بالآخرة**»[1].

الـــثاني: الإحسان إلى الميت، وأن لا يطول عهده به، فيهجره، ويتناساه، كما إذا تـــرك زيارة الحي مدة طويلة تناساه، فإذا زار الحي فرح بزيارته وسر بذلك، فالميت أولى. لأنـــه قـــد صار في دار قد هجر أهلها إخوانهم وأهلهم ومعارفهم. فإذا زاره وأهدى إليه هديـــة: من دعاء، أو صدقة. أو أهدى قربة. ازداد بذلك سروره وفرحه، كما يسر الحي بمـــن يـــزوره ويهـــدي له. ولهذا شرع النبي ﷺ للزائرين أن يدعوا لأهل القبور بالمغفرة والـــرحمة، وســـؤال العافية فقط، ولم يشرع أن يدعوهم، ولا أن يدعوا بهم، ولا يصلوا عندهم.

الـــثالث: إحســـان الزائر إلى نفسه باتباع السنة، و الوقوف عندما شرعه الرسول ﷺ فيحسن إلى نفسه وإلى المزور.

وأما الزيارة الشركية: فأصلها مأخوذ عن عباد الأصنام.

قالوا: الميت المعظم، الذي لروحه قرب ومنزلة ومزية عند الله تعالى، لا يزال تأتيه الألطـــاف من الله تعالى، وتفيض على روحه الخيرات. فإذا علق الزائر روحه به، وأدناها مـــنه، فاض من روح المزور على روح الزائر من تلك الألطاف بواسطتها. كما ينعكس الشعاع من المرآة الصافية والماء ونحوه على الجسم المقابل له.

قالـــوا: فتمام الزيارة أن يتوجه الزائر بروحه وقلبه إلى الميت، ويعكف بهمته عليه، ويوجه قصده كله وإقباله عليه، بحيث لا يبقى فيه التفات إلى غيره. وكلما كان جمع الهمة والقلب عليه أعظم، كان أقرب إلى انتفاعه به.

وقد ذكر هذه الزيارة على هذا الوجه ابن سينا والفارابي وغيرهما. وصرح بها عباد الكواكب في عبادتها.

قالوا: إذا تعلقت النفس الناطقة بالأرواح العلوية. فاض عليها منها النور.

---

(١) رواه مسلم والحاكم وابن ماجه بألفاظ مختلفة.

وبهذا السر عبدت الكواكب، واتخذت لها الهياكل،وصنفت لها الدعوات، واتخذت الأصنام المجسدة لها. وهذا بعينه هو الذي أوجب لعباد القبور اتخاذها أعياد، وتعليق الستور عليها، وإيقاد السرج عليها، وبناء المساجد عليها. وهو الذي قصد رسول اله ﷺ إبطاله ومحوه بالكلية، وسد الذراع المفضية إليه. فوقف المشركون في طريقه، وناقضوه في قصده. وكان ﷺ في شق، وهؤلاء في شق.

وهذا الذي ذكره هؤلاء المشركون في زيارة القبور: هو الشفاعة التي ظنوا أن آلهتهم تنفعهم بها، وتشفع لهم عند الله تعالى.

قالوا: فإن العبد إذا تعلقت روحه بروح الوجيه المقرب عند الله، وتوجه بهمته إليه، وعكف بقلبه عليه. صار بينه وبينه اتصال. يفيض به عليه منه نصيب مما يحصل له من الله، وشبهوا ذلك بمن يخدم ذا جاه وحظوة وقرب من السلطان، فهو شديد التعلق به فما يحصل لذلك من السلطان من الإنعام والإفضال ينال ذلك المتعلق به حسب تعلقه به.

فهذا سر عبادة الأصنام. وهو الذي بعث الله برسله،وأنزل كتبه بإبطاله، وتكفير أصحابه، ولعنهم، وأباح دماءهم وأموالهم، وسبي ذراريهم. وأوجب لهم النار، والقرآن من أوله إلى آخره مملوء من الرد على أهله، وإبطال مذهبهم.

قال تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٤٣، ٤٤].

فأخبر أن الشفاعة لمن له ملك السماوات والأرض،وهو الله وحده، فهو الذي يشفع بنفسه إلى نفسه ليرحم عبده، فيأذن هو لمنْ يشاء أن يشفع فيه. فصارت الشفاعة في الحقيقة أنها هي له، والذي يشفع عنده إنما يشفع بإذنه له وأمره، بعد شفاعته سبحانه إلى نفسه وهي إرادته من نفسه أن يرحم عبده. وهذا ضد الشفاعة الشركية التي أثبتها هؤلاء المشركون ومن وافقهم، وهي التي أبطلها الله سبحانه في كتابه، بقوله: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ ﴾ [البقرة: ١٢٣]. وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤]. وقال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ٥١]. وقال:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا

شَفِيعٍ﴾ [السجدة: ٤].

فأخبر سبحانه أنه ليس للعباد شفيع من دونه، بل إذا أراد الله سبحانه رحمة عبده أذن هو لمن يشفع فيه. كما قال تعالى: ﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦ ﴾ [يونس: ٣]. وقال: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فالشفاعة بإذنه ليست شفاعة من دونه، ولا الشافع شفيع من دونه، بل شفيع بإذنه.

والفرق بين الشفيعين، كالفرق بين الشريك والعبد المأمور، فالشفاعة التي أبطلها الله: شفاعة الشريك فإنه لا شريك له، والتي أثبتها: شفاعة العبد المأمور الذي لا يشفع ولا يتقدم بين يدي مالكه حتى يأذن له. ويقول: اشفع في فلان، ولهذا كان أسعد الناس بشفاعة سيد الشفعاء يوم القيامة أهل التوحيد، الذين جردوا التوحيد وخلصوه من تعلقات الشرك وشوائبه، وهم الذين ارتضى الله سبحانه؛ قال تعالى: ﴿ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء: ٢٨] وقال: ﴿ يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ﴾ [طه: ١٠٩].

فأخبر أنه لا يحصل يومئذ شفاعة تنفع إلا بعد رضاء قول المشفوع له، وإذنه للشافع فيه. فأما المشرك فإنه لا يرتضيه، ولا يرضى قوله. فلا يأذن للشفعاء أن يشفعوا فيه فإنه سبحانه علقها بأمرين: رضاه عن المشفوع له، وإذنه للشافع. فما لم يوجد مجموع الأمرين لم توجد الشفاعة.

وسر ذلك: أن الأمر كله لله وحده، فليس لأحد معه من الأمر شيء، وأعلى الخلق وأفضلهم وأكرمهم عنده: هم الرسل والملائكة المقربون. وهم عبيد محض، لا يسبقونه بالقول، ولا يتقدمون بين يديه، ولا يفعلون شيئًا لا بعد إذنه لهم، وأمرهم. ولا سيما يوم لا تملك نفس لنفس شيئًا. فهم مملوكون مربوبون، أفعالهم مقيدة بأمره وإذنه، فإذا أشرك بهم المشرك، واتخذهم شفعاء من دونه، ظنا منه أنه إذا فعل ذلك تقدموا وشفعوا له عند الله، فهو من أجهل الناس بحق الرب سبحانه وما يجب له. ويمتنع عليه، فإن هذا محال ممتنع، شبيه قياس الرب تعالى على الملوك والكبراء، حيث يتخذ الرجل من خواصهم وأوليائهم من يشفع له عندهم في الحوائج.

بهذا القياس الفاسد عبدت الأصنام، واتخذ المشركون من دون الله الشفيع والولي، والفرق بينهما هو الفرق بين المخلوق والخالق. والرب والمربوب، والسيد والعبد،

والمالك والمملوك، والغني والفقير، والذي لا حاجة به إلى أحد قط، والمحتاج من كل وجه إلى غيره.

فالشفعاء عند المخلوقين: هم شركاؤهم، فإن قيام مصالحهم بهم. وهم أعوانهم وأنصارهم، الذين قيام أمر الملوك والكبراء بهم. ولولاهم لما انبسطت أيديهم وألسنتهم في الناس، فلحاجتهم إليهم يحتاجون إلى قبول شفاعتهم. وإن لم يأذنوا فيها ولم يرضوا عن الشافع، لأنهم يخافون أن يردوا شفاعتهم. فتنتقض طاعتهم لهم، ويذهبون إلى غيرهم. فلا يجدون بدا من قبول شفاعتهم على الكره والرضا. فأما الغنى الذي غناه من لوازم ذاته، وكل ما سواه فقير إليه بذاته. وكل من في السموات والأرض عبيد له، مقهورون بقهره، مصرفون بمشيئته، لو أهلكهم جميعًا لم ينقص من عزه وسلطانه وملكه وربوبيته وإلهيته مثقال ذرة.

قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة: ١٧] وقال سبحانه في سيدة القرآن آية الكرسي: ﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقال: ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الزمر: ٤٣ - ٤٤].

فأخبر أن حال ملكه للسموات والأرض يوجب أن تكون الشفاعة كلها له وحده، وأن أحدًا لا يشفع عنده إلا بإذنه، فإنه ليس بشريك، بل مملوك محض. بخلاف شفاعة أهل الدنيا بعضهم عند بعض.

فتبين أن الشفاعة التي نفاها الله سبحانه في القرآن هي هذه الشفاعة الشركية التي يعرفها الناس، ويفعلها بعضهم مع بعض. ولهذا يطلق نفيها تارة، بناء على أنها هي المعروفة المشاهدة عند الناس، ويقيدها تارة بأنها لا تنفع إلا بعد إذنه، وهذه الشفاعة في الحقيقة هي منه، فإنه الذي أذن، والذي قبل، والذي رضي عن المشفوع، والذي وفقه لفعل ما يستحق به الشفاعة وقوله.

فمتخذ الشفيع مشرك، لا تنفعه شفاعته، ولا يشفع فيه، ومتخذ الرب وحده إلهه ومعبوده ومحبوبه، ومرجوه، ومخوفه الذي يتقرب إليه وحده، ويطلب رضاه، ويتباعد من

سخطه هو الذي يأذن الله سبحانه للشفيع أن يشفع فيه.

قال تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ۝ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴾ [الزمر: ٤٣، ٤٤]. وقال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس: ١٨].

فبين سبحانه أن المتخذين شفعاء مشركون، وأن الشفاعة لا تحصل باتخاذهم، وإنما تحصل بإذنه للشافع، ورضاه عن المشفوع له.

وسر الفرق بين الشفاعتين: أن شفاعة المخلوق للمخلوق، وسؤاله للمشفوع عنده، لا يفتقر فيها إلى المشفوع عنده، لا خلقا، ولا أمرًا ولا إذنا، بل هو سبب محرك له من خارج. كسائر الأسباب التي تحرك الأسباب. وهذا السبب المحرك قد يكون عند المتحرك لأجله ما يوافقه، كمن يشفع عنده في أمر يحبه ويرضاه، وقد يكون عنده ما يخالفه، كمن يشفع إليه في أمر يكرهه: ثم قد يكون سؤاله، وشفاعته أقوى من المعارض، فيقبل شفاعة الشافع، وقد يكون المعارض الذي عنده أقوى من شفاعة الشافع، فيردها ولا يقبلها، وقد يتعارض عنده الأمران، فيبقى مترددًا بين ذلك المعارض الذي يوجب الرد. وبين الشفاعة التي تقتضي القبول، فيتوقف إلى أن يترجح عنده أحد الأمرين بمرجح.

فشفاعة الإنسان عند المخلوق مثله: هي سعي في سبب منفصل عن المشفوع إليه يحركه به، ولو على كره منه. بمنزلة الشفاعة عنده منزلة من يأمر غيره[1]. أو يكرهه على الفعل، إما بقوة وسلطان، وإما بما يرغبه، فلابد أن يحصل للمشفوع إليه من الشافع أما رغبة ينتفع بها، وأما رهبة منه تندفع عنه بشفاعته. وهذا بخلاف الشافعة عند الرب سبحانه، فإنه ما لم يخلق شفاعة الشافع، ويأذن له فيها، ويحبها منه، ويرضى عن الشافع، لم يمكن أن توجد. والشافع لا يشفع عنده لحاجة الرب إليه، ولا لرهبته منه، ولا لرغبته فيها لديه، وإنما يشفع عنده مجرد امتثال لأمره وطاعة له. فهو مأمور بالشفاعة، مطيع بامتثال الأمر. فإن أحدًا من الأنبياء والملائكة، وجميع المخلوقات لا يتحرك بشفاعة ولا غيرها إلا بمشيئة الله تعالى، وخلقه، فالرب سبحانه وتعالى هو الذي يحرك الشافع حتى

---

(١) في نسخة: «منزلة من يشفع بأمر غيره».

يشفع، والشفيع عند المخلوق هو الذي يحرك المشفوع إليه حتى يقبل، والشافع عند المخلوق مستغن عنه في أكثر أموره، وهو في الحقيقة شريكه، ولو كان مملوكه وعبده، فالمشفوع عنده محتاج إليه فيما يناله منه من النفع بالنصر، والمعاونة. وغير ذلك. كما أن الشافع محتاج إليه فيما يناله منه من رزق، أو غيره، فكل منهما محتاج إلى الآخر.

ومن وفقه الله تعالى لفهم هذا الموضع ومعرفته، تبين له حقيقة التوحيد والشرك، والفرق بين ما أثبته الله تعالى من الشفاعة وبين ما نفاه وأبطله، ﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾.

أصنام فارغة - وأحجار تعبد[1]

وبعد كشف القناع عن معتقدات القبوريين الفاسدة من ناحية اتخاذهم القبور مساجد أو اتخاذ المساجد قبور واحتفالهم بأموات هذه القبور - واعتقادهم الفاسد بأن أموات هذه القبور يملكون كشف البليات والعاهات، والنذر والذبح لهم وبعد أن بينا بتوفيق الله هدي الرسول ﷺ وما أثر من أفعال الصحابة رضي الله عنهم أجمعين وأقوالهم في المسائل التي تعرضنا لها سابقًا وكذلك ما أثر من أقوال علماء الأمة كان لابد قبل أن نختم هذه الرسالة أن نذكر أيضًا تحقيقًا حول ما يدعيه البعض من أن رأس الحسين قد دفنت بالقاهرة وأن هذا المقام المسمى باسمه هو مكان دفن الرأس وكذلك أيضًا بالنسبة لما يقال بأن السيدة زينب بنت الإمام علي رضي الله عنهما قد دفنت بمصر وإن هذا المقام لها بالقاهرة هو مكان دفنها وكذلك أيضًا كشف الحقيقة بالنسبة لبعض الأضرحة الأخرى حيث يدعي البعض من العامة أن بها أولياء يرجع نسبهم إلى الرسول ﷺ مثل خميس ساكن شبين الكوم، شبل- ساكن الشهداء وغيرهما من أصحاب المقامات الفارغة، ولنبدأ أولاً بالأكذوبة الكبرى وهي الأكذوبة القائلة بأن رأس الحسين رضي الله عنه بالقاهرة.

حيث يقال إن الرأس انتقلت من دمشق إلى عسقلان- فلما استولى الإفرنج على عسقلان في الحروب الصليبية- انتقلت الرأس الشريفة بعد ذلك إلى القاهرة بواسطة ابن روزيك والذي دفع ثلاثين ألف درهم مقابل نقلها إلى القاهرة، حيث دفنت بهذا المشهد المسمى بمشهد الإمام الحسين! وردا على هذا الزعم الباطل فإني أذكر هنا ما قاله الإمام القرطبي في هذه المسألة.

قال الإمام رحمه الله في التذكرة: (... واختلف الناس في موضع الرأس المكرم وأين حمل من البلاد؟ فذكر الحافظ أبو العلا الهمذاني أن يزيد حين قدم عليه رأس الحسين بعث به إلى المدينة فأقدم إليه عدة من موالي بني هاشم وضم إليهم عدة من موالي أبي سفيان ثم بعث بنقل الحسين ومن بقي معه من أهله معهم وجهزهم بكل شيء. ولم يدع لهم حاجة بالمدينة إلا أمر لهم بها وبعث برأس الحسين عليه السلام إلى عمرو بن سعيد بن العاص وهو إذ ذاك عامله على المدينة فقال عمرو: وددت أنه لم يبعث به إلي، ثم أمر عمرو بن سعيد بن العاص برأس الحسين عليه السلام فكفن ودفن بالبقيع عند قبر أمه فاطمة عليهما الصلاة والسلام هذا أصح ما قيل في ذلك ولذلك قال الزبير بن بكار: إن الرأس حمل إلى المدينة والزبير أعلم أهل النسب وأفضل العلماء لهذا السبب حدثني بذلك مذهور بن حسن

---

(١) كتاب الوثنية في ثوبها الجديد.

المخزومي النسابة.

والإمامية تقول: إن الرأس أعيد إلى الحبشة بكربلاء بعد أربعون يوما من القتل وهو يوم معروف عندهم يسمون الزيارة فيه زيارة الأربعين وما ذكر أنه في عسقلان في مشهد هناك- أو بالقاهرة فشيء باطل لا يصح ولا يثبت ا هـــ.

وكذلك أيضا فقد وجه سؤال إلى الإمام ابن تيمية رحمه الله عما إذا كانت الرأس قد دفنت بهذا المشهد القاهري أم لا؟ فكان مما قاله الإمام: وما زال الناس في مصنفاتهم ومخاطباتهم يعلمون أن هذا المشهد القاهري من المكذوبات المختلقات، ويذكرون ذلك في المصنفات حتى من سكن هذا البلد من العلماء بذلك فقد ذكره أبو الخطاب بن دحية في كتاب العلم المشهور في هذا المشهد فضلاً عما ذكره في مقتل الحسين من أخبار ثابتة وغير ثابتة ومع هذا فقد ذكر أن المشهد كذب بالإجماع، وبين أنه نقل من عسقلان في آخر الدولة العبيدية، وأنه وضع لأغراض فاسدة، وأنه بعد ذلك بقليل أزال تلك الدولة وما فيها بنقيض قصدها، وما زال ذلك مشهورًا بين أهل عصرنا من ساكني الديار المصرية، القاهرة وما حولها.

لقد حدثني طائفة من الثقات عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن علي القشيري المعروف بابن دقيق العيد، وطائفة عن الشيخ أبي محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطي. وطائفة عن الشيخ أبي محمد بن القسطلاني. وطائفة عن الشيخ أبي عبد الله القرطبي، صاحب التفسير وشرح أسماء الله الحسنى، وطائفة عن الشيخ عبد العزيز الدريني. كل من هؤلاء حدثني عن من لا أتهمه، وحدثني عن بعضهم عدد كثير. كل يحدثني عن من حدثه من هؤلاء. أنه كان ينكر أمر هذا المشهد ويقول: إنه كذب، وليس فيه الحسين ولا رأسه. والذين حدثوني عن ابن القسطلاني ذكروا عنه أنه قال: إن فيه نصرانيا! بل إن القرطبي والقسطلاني ذكرا بطلان هذا المشهد في مصنفاتهما. وبينا فيها أنه كذب كما ذكره ابن الخطاب بن دحية. وابن دحية هو الذي بنى له الكامل دار الحديث الكاملية وعنه أخذ ابن عمر وأبو عمرو بن الصلاح ونحوهما كثيرًا مما أخذوه من ضغط الاسماء واللغات، وليس الاعتماد في هذا على واحد بعينه. بل هذا إجماع من هؤلاء.

ومعلوم أنه لم يكن بهذه البلاد من يعتمد في مثل هذا أعلم وأدين من هؤلاء ونحوهم فإذا كانوا متفقين على أن هذا كذب وعلى أن الله قد برأ منه الحسين، وحدثني من الثقات أن من هؤلاء من كان يوصي أصحابه بأن لا يظهروا ذلك عنه!، خوفًا من شر العامة بهذه البلاد، لما فيهم من الظلم والفساد وإذا كانوا في الأصل رعية للقرامطة الباطنيين..

هذا جزء مما قاله الإمام ابن تيمية شيخ الإسلام رحمه الله ونور الله قبره نكتفي بذكره لما فيه الكفاية لبيان الحقيقة.

أما بالنسبة لما يقال من أن السيدة زينب بنت الإمام علي رضي الله عنهما جاءت إلى مصر وأن هذا المقام المسمى باسمها إنما هو مكان دفنها فهو قول قد بنى على الوهم والخيال. فها هو الإمام الطبري شيخ المفسرين والمؤرخين في نفس الوقت لم يذكر رحيل السيدة زينب إلى مصر في تاريخه المشهور كذلك أيضًا بالنسبة لغيره من العلماء والمؤرخين فإن ابن حجر رغم أنه تعرض لسيرة السيدة زينب في كتابه نجد أنه لم يذكر أنها رحلت إلى مصر ودفنت بها.

أما علي مبارك فيقول في الجزء الخامس من مؤلفه الخطط التوفيقية: لم أر في كتب التاريخ أن السيدة زينب بنت علي رضي الله عنها جاءت إلى مصر في الحياة أو بعد الممات.

أما المحقق والمؤرخ أحمد زكي باشا فيقول: "الذي يشهد به العارفون بالحق الصريح هو أن السيدة زينب بنت الإمام علي وأخت الإمام الحسين لم تشرف أرض مصر بوطء قدمها المباركة، مطلقًا.. مطلقًا.. مطلقًا، والحق الذي ليس بعده إلا الضلال أنها قضت بقية حياتها بالحجاز، إلى أن انتقلت إلى جوار ربها بالمدينة المنورة– فكان دفنها بالبقيع– هذا هو الصواب وما عداه فإفك وبهتان ا هـ.

ويبين أحمد زكي أيضًا كيف يعتقد بعض السذج أن السيدة زينب رضي الله عنها هي صاحبة هذا المقام المسمى باسمها فيقول:

إن هذا الضريح لم يكن له وجود ولا ذكر في عصور التاريخ الإسلامي إلى ما قبل محمد علي بسنوات معدودة حين وفد إلى القاهرة أحد الأغوات يدعى عثمان كتخذا فاغتنى بمصر وأحرز ثروة طائلة وكان طيب السيرة فوسوس له بعض المشايخ أن يبني له جامعًا على ضريح في تلك البقعة ولا أدري كيف وضعوه لامرأة تسمى زينب.. ثم تسللت الأكاذيب فجعلوها زينب بنت الإمام علي رضي الله عنهما ثم يقول من أكذب الكذب وفي منتهى الإفك والبهتان أن يقول إنسان يحترم الحق– ويحترم عقل نفسه: إن السيدة زينب بنت الإمام علي قد اختارت الإقامة بديار مصر أو أن يزعم بأنها هي المدفونة بالقاهرة ا هـ.

وبعد هذا البيان الفاصل من قبل علماء الإسلام المشهود لهم بسلامة العقيدة وحسن السيرة والجدية في النقل عن مشائخهم أسأل الله أن يفتح بيننا وبين قومنا بالحق!

الفصل الرابع

كتاب التوكل

للحافظ ابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى

ترجمة موجزة للحافظ ابن أبي الدنيا

هو أبو بكر، عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس، المعروف بابن أبي الدنيا الحافظ المصنف في كل فن، المشهور بالتصانيف الكثيرة النافعة الشائعة الذائعة في الرقاق. وغيرها[1]، من موالي بني أمية.

ولد سنة ثمان ومائتين (٢٠٨هـ).

قال ابن أبي حاتم: كتبت عنه مع أبي، وقال أبي: هو صدوق [2]، وقال الخطيب البغدادي: كان يؤدب غير واحد من أولاد الخلفاء [3].

شيوخه:

ومن شيوخه: أحمد بن إبراهيم الدورقي، وأحمد بن منيع، وإسماعيل القاضي، وأحمد بن عيسى المصري، وإبراهيم بن محمد بن عرعرة، وأقدم شيخ له سعيد بن سليمان سعدويه الواسطي [4].

وقد جمع الشيخ أبو الحجاج الحافظ أسماء شيوخه على المعجم، وهم خلق كثير[5].

تلاميذه:

ومن تلاميذه الذين حدثوا عنه: الحارث بن أبي أسامة، ابن أبي حاتم وأحمد بن مروان الدينوري، وأبو العباس بن عقدة، وأحمد بن خزيمة، والحسين بن صفوان البرذعي. وغيرهم كثير.

وفاته:

توفي رحمه الله تعالى سنة إحدى وثمانين ومائتين، (٢٨١هـ) ودفن غربي بغداد.

---

(١) البداية والنهاية (٦/٧٦).

(٢) الجرح والتعديل (٥/١٦٣).

(٣) تاريخ بغداد (١٠/٨٩).

(٤) سير أعلام النبلاء (١٣/٣٩٧).

(٥) تهذيب الكمال خ٧٣٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ - حدثنا الشيخ الإمام الأعظم[1] شيخ الإسلام فخر الأئمة بقية السلف أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي الأصفهاني ﷺ في المحرم سنة ست وستين وخمسمائة بالإسكندرية قال: نا[2] أبو الخطاب نصر الله بن أحمد بن عبد الله بن النضر القارئ فيما قرأت عليه ببغداد في شوال سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة أنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران السكري المعدل أنا أبو علي الحسين بن صفوان البردعي نا أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا القرشي ذكر مهدي بن حفص نا عبد الله بن المبارك عن حيوة بن شريح (ح).

---

(١) كلمة الإمام الأعظم في نفسي من شيء.

(٢) نا: اختصار كلمة حدثنا.

التوكل الحقيقي

٢- وحدثنا عبد الله نا إسحاق بن إسماعيل نا عبد الله بن يزيد المقرئ نا حيوة بن شريح عن بكر بن عمرو المعافري عن عبد الله بن هبيرة عن أبي تميم الجيشاني عن عمر بن الخطاب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لو أنكم توكلتم على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا، وتروح بطانا**»[(١)].

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١/٢٥)، قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله: إسناده صحيح (١/٢٠٦). انظر جامع العلوم والحكم.

وأبو تميم الجيشاني: هو عبد الله بن مالك بن أبي الأسحم الرعيني، وأصله من اليمن وهاجر زمن عمر، وشهد فتح مصر. ومات قديمًا. والحديث رواه أبو داود (٤: ٣٦٥) عن الإمام أحمد. انتهى كلام أبي الأشبال.

وأخرجه الألباني - رحمه الله: في الجامع الصحيح برقم (٥٢٥٤) وفي الصحيحة برقم (٣١٠)، وقال: أخرجه الترمذي (٢/٥٥)، والحاكم (٤/٣١٨).

وقد أخرجه عبد الله بن المبارك في الزهد (٤/١٩٧).

وقد عزاه السيوطي رحمه الله إلى ابن المبارك، ولأبي داود الطيالسي، والترمذي حسن صحيح، والنسائي ولابن ماجه، ولأبي يعلى، ولابن حبان، وللحاكم في المستدرك، وللبيهقي في الشعب، وللضياء المقدسي انظر جمع الجوامع (١/٦٦٤).

المفردات: خماصًا: جياعًا، بطانا: ممتلئات البطون.

المعنى الإجمالي للحديث:

أن التوكل الصحيح هو تفويض الأمر إلى الله عز وجل، والثقة بحسن النظر فيما أمر به، فلو أن المسلمين يتوكلون على الله جل ثناؤه في كل شئونهم، لرزقهم كهذا الطير تمامًا، ولكنهم يعتمدون على قوتهم وحذرهم، ويحلفون بالباطل، وكل هذا خلاف التوكل.

من دعاء النبي ﷺ اللهم لك وعليك توكلت

٣- حدثنا عبد الله نا محمود بن غيلان المروي نا عبد الصمد بن عبد الوارث نا أبي سمعت حسينًا المعلم نا عبد الله بن بريدة نا يحيى بن يعمر عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقول: «**اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، أعوذ بعزتك، لا إله إلا أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون**»(١).

٤- حدثنا عبد الله نا إسحاق بن إبراهيم نا الحسين بن علي الجعفي، عن يحيى بن عمر الثقفي عن محمد بن النضر الحارثي عن الأوزاعي قال: كان من دعاء النبي ﷺ: «**اللهم إني أسألك التوفيق لمحابك من الأعمال، وصدق التوكل عليك، وحسن الظن بك**»(٢).

٥- حدثنا عبد الله ذكر محمد بن إدريس ذكر بشير بن محمد الواسطي نا

---

(١) قال الشيخ الألباني رحمه الله صحيح، البخاري [توحيد]، أحمد (٣٠٢/١)، مسلم [الذكر] انظر الجامع الصحيح (٤١٤/١، ٣٥٤/١). انتهى. وقد عزاه السيوطي للإمام مسلم. جمع الجوامع (٣٨٣/١).

فائدة:

يلاحظ أن ما من دعاء دعا به النبي ﷺ إلا ونجد أن التوحيد موجود فيه، وأن التفويض لله مملوء به، وهذا يبين أهمية العقيدة في حياة المسلم، بل وفي قوة المجتمع الإسلامي ككل. فإن المجتمع بعقيدة وثنية شركية لا يساوي عند الله جناح بعوضة وإن كان ما كان من علو في الأرض.

(٢) قال شعيب الأرناؤوط: ضعيف أخرجه أبو نعيم في "الحلية" عن الأوزاعي مرسلا، والحكيم الترمذي عن أبي هريرة. مختصر منهاج القاصدين (٣٣١).

وقال الشيخ الألباني رحمه الله: ضعيف، انظر ضعيف الجامع (١٢٨٧)، الأحاديث الضعيفة (٢٩١٠) انتهى.

وقد عزاه السيوطي لأبي نعيم في الحلية عن الأوزاعي مرسلا، والحكيم عن أبي هريرة. جمع الجوامع (٣٨٥/١).

فائدة:

هذا الحديث وإن كان جميل المعنى، حلو اللفظ، ولكن كما تبين أنه ضعيف السند، فياليت من يعظون الناس، أو من يتكلمون في أي شأن من شئون الإسلام يحذرون من الأحاديث الضعيفة فإن في صحيح السنة ما يغني عن الأحاديث الموضوعة أو السقيمة فإن من أشد الأمور خطورة في هذا العصر هو أنك تجد أن عوام الناس يتمسكون بتلك الأحاديث الواهية، بل إن البلاء يتفاقم عندما ترى أن الخطباء على المنابر يحتجون بتلك الأحاديث.

خالد بن محدوج أبو الروح عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ يقول في دعائه: **«اللهم اجعلني ممن توكل عليك، فكفيته، واستهداك فهديته، واستغفرك فغفرته»**[١].

٦- حدثنا عبد الله نا إسحاق بن إبراهيم نا جرير عن ضرار بن مرة عن سعيد بن جبير [٢]، قال: التوكل على الله جماع الإيمان.

---

(١) الحديث بكنز العمال برقم (٥١٠٦)، ومسانيد الجامع الكبير (٢/٢٩١) وموسوعة أطراف الحديث مخطوطة.

[فائدة جليلة]

يعلمنا هذا الحديث أن الكافي هو الله، وأن الهادي هو الله، ومن أجل ذلك، في كل خطوة تذكر أن الله هو الذي يسر هذا الأمر، ولولا ذلك كان الأمر صعبًا، ولكن اعلم أخي القارئ أنه عليك أن تبدأ وتسير في طريق الله، وتندم على ما كان ، وعند ذلك عندما تستغفره تجده تبارك وتعالى هو الغفور الودود.

(٢) له ترجمة مفصلة في حلية الأولياء (٢/١٦١)، وصفة الصفوة (٢/٧٩) وأحاسن المحاسن (١٦٣). وقد تكلم كثير من العلماء عن مكانة التوكل:

قال الإمام الغزالي رحمه الله: "إن التوكل منزل من منازل الدين، ومقام من مقامات الموقنين، بل هو من معالي درجات المقربين" الإحياء (٤/٢٣٨).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: "التوكل من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب، ويندفع بها المكروه. فمن أنكر الأسباب لم يستقم منه التوكل. ولكن من تمام التوكل. عدم الركون إلى الأسباب وقطع علاقة القلب بها فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها، وحال بدنه قيامه بها" مدارج (٢/١٢٥).

وقال أبو حاتم البستي: الواجب على العاقل لزوم التوكل على من تكفل بالأرزاق، إذ التوكل هو نظام الإيمان، وقرين التوحيد، وهو السبب المؤدي إلى نفي الفقر، ووجود الراحة. وما توكل أحد على الله جل وعلا من صحة قلبه حتى كان الله جل وعلا بما تضمن من الكفالة أوثق عنده بما حوته يده، إلا لم يكله الله إلى عباده، وآتاه رزقه من حيث لم يحتسب. انتهى روضة العقلاء (١٥٣).

أربع يعطيهن الله لمن أحب

٧- حدثنا عبد الله ذكر عبد الرحمن بن صالح ذكر أبو قسيم قال: كنت عند ابن شبرمة فقال رجل ألا أحدثكم بحديث بلغني عن النبي ﷺ؟ قال ابن شبرمة هات رب حديث حسن جئت به، قال: أربع لا يعطيهن الله إلا من أحب. قال ابن شبرمة ما هن؟ قال: «الصمت وهو أول العبادة، والتوكل على الله، والتواضع، والزهد في الدنيا»(١).

---

(١) إتحاف السادة (٣٥٢/٨). وقد أخرجه الطبراني (٢٢٩/١) والحاكم من حديث أنس "أربع لا يصبن إلا بعجب الصمت وهو أول العبادة والتواضع وذكر الله وقلة الشيء" وقال الحاكم صحيح الإسناد، وتعقبه العراقي بأن فيه العوام بن جويرية. قال ابن حبان: يروي الموضوعات. وانظر الترغيب والترهيب (٢٧٦/٣، ٥٣٤) الإحياء (٣٤١/٣) مجمع الزوائد (٢٨٥/١٠)، جمع الجوامع (٢٨٧٩) إتحاف السادة (٣٣٤/٩)، ميزان الاعتدال (٦٥١٩) لسان الميزان (١١٦١/٤)، كنز العمال (٤٣٤١٨) اللآلئ المصنوعة (١٧١/٢)، المجروحين (١٩٦/٢) علل الحديث (١٨٣٦)، تنزيه الشريعة (٣٠٣/٢) السلسلة الضعيفة (٧٨١).

[دروس مستفادة]

في هذا الحديث أربعة أشياء، كل واحد منها يكفي الإنسان ليفوز فوزًا عظيمًا. فلنتأمل فيها.

[الصمت نجاة]

إذا تأملت أخي القارئ القرآن الكريم، وأطلت النظر في سنة النبي الأمين، تعلم إلى أي حد أنت مسئول ومحاسب بين يدي الله على كل كلمة تقولها، وعلى كل لفظ يخرج منك، فلتعلم أن هنالك رقابة سماوية عليك، وكتابًا يحصون عليك أقوالك، ويعدون عليك أفعالك، ويثبتون في صحيفتك ما سوف تحاسب عليه يوم القيامة، إن خيرًا فخير، وإن شر فشر، وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢]. ومعنى ذلك أن الله تبارك وتعالى، قد وكل بكل إنسان منا ملكًا عن اليمين آخر وعن الشمال، يسجلان عليه الأعمال، فإذا علم العبد منا ذلك، أحرى به أن يتقي الله في نفسه، ويمسك عن اللغو والثرثرة الفارغة. ملاحظة: ألف ابن أبي الدنيا رسالة في الصمت.

[التوكل كنز]

إن العبد بتوكله على الله جلت قدرته يدخر لنفسه حسنات يوم القيامة، وفي كل يوم يزداد المؤمن على ربه توكلا،فيزداد الرصيد من الحسنات، فيفتح صحيفته يوم القيامة فيرى النور الصادر من الحسنات، فيعلم أن هذا هو الكنز الحقيقي.

[التواضع نعمة]

قال أبو حاتم البستي رحمه الله: لا يمتنع من التواضع أحد، والتواضع يكسب السلامة، ويورث الألفة ويرفع الحقد، ويذهب الصد، وثمرة التواضع المحبة، كما أن ثمرة القناعة الراحة، وإن =

من وصايا الإمام علي كرم الله وجه

٨- حدثنا عبد الله ذكر محمد بن إدريس نا موسى بن محمد نا زافر بن سليمان عن المحاربي عن عمر بن حسان وسمعه موسى من المحاربي قال: قال علي: «**يأيها الناس توكلوا على الله، وثقوا به فإنه يكفي ممن سواه**»(١).

من وصايا لقمان لابنه

٩- حدثنا عبد الله ذكر شريح بن يونس نا عبد القدوس عن بكر بن خنيس عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال: قال لقمان لابنه: يا بني، الدنيا بحر عميق قد غرق فيه أناس كثير، فإن استطعت أن تكون سفينتك فيها الإيمان بالله وحشوها العمل بطاعة الله عز وجل، وشراعها التوكل على الله لعلك تبحر (٢).

=

تواضع الشريف يزيد في شرفه، كما أن تكبر الوضيع يزيد في ضعته، وكيف لا يتواضع من خلق من نطفة نذرة، آخره يعود جيفة نذرة، وهو بينهما يحمل العذرة؟

[بالزهد راحة]

الزهد في الدنيا، هو طريق المؤمنين، وسبيل العابدين ولكن لا ينبغي لنا أن نحرم ما أحل الله بدعوى الزهد فكم ضل أقوام وأقوام من وراء تلك الفتنة الشيطانية، فحرموا ما أحل الله، ثم ادعوا زورًا وبهتانًا، بأنهم ما فعلوا ذاك إلا ليكونوا من الزاهدين. فلتكن الدنيا في يديك لتستعين بها على طاعة الله، ولا تجعلها في قلبك فيقسو، ثم تزل قدمك إلى الرذيلة. وهكذا أخي القارئ.. إنه حديث جامع شامل شاف.

(١) [فائدة]: عندما نتأمل مقالة الإمام علي بن أبي طالب ﷺ نجد أنه يربط التوكل بالثقة واليقين بالله، وإلا فلا توكل ما لم يكن معه اليقين. واليقين هو أن العبد يعمل لله خالصًا ولا يطلب به عرض الدنيا، ولا رضا المخلوقين، وأن يكون في نفس الوقت آمنا بوعد الله وهو الرزق.

(٢) [لطيفة] قيل لبعض الحكماء ما الفرق بين اليقين والتوكل؟ قال أما اليقين فهو أن تصدق الله بجميع أسباب الآخرة، والتوكل أن تصدق الله بجميع أسباب الدنيا.

[دعوة للنجاة]

أخي القارئ: إن لقمان هو حكيم من حكماء الزمان، قد بلغ في شهرته مبلغ الآفاق. إنه الآن يقف موقف الناصح الشفيق للابن الذي يبدأ حياته، ولا يدري كيف الطريق الواضح. إنه في كلمات بسيطة يلخصها لنا لقمان رحمه الله:

=

هل تريد أن تكون أقوى الناس؟

١٠- حدثنا عبد الله نا محمد بن الربيع أبو عبد الرحمن الأسدي نا عبد الرحيم بن زيد العمى عن أبيه عن محمد بن كعب عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من سره أن يكون أقوى الناس، فليتوكل على الله»[١].

عمر بن الخطاب يفضح أساليب المتواكلين

١١- حدثنا عبد الله ذكر علي بن الحسين العامري نا يزيد بن هارون أنا عون بن موسى عن معوية [٢]، بن قرة أن عمر بن الخطاب لقي ناسًا من أهل اليمن فقال من أنتم؟ قالوا نحن المتوكلون، فقال بل أنتم المتكلون، إنما المتوكل الذي يلقي

=

١- إيمان بالله عز وجل.
٢- عمل بطاعة الله تبارك وتعالى.
٣- توكل على الله جل ثناؤه.
وبهذه الثلاث يستطيع المؤمن أن ينجو من فتنة الدنيا.

(١) انظر كنز العمال (٥٦٨٦)، إتحاف السادة (٩/٣٨٨)، الزهد لأحمد (٢٩٥). ضعيف الجامع برقم (٥٦٣٩).

[حكمة بليغة]

أخي المسلم... أختي المسلمة

إن القوة الحقيقة ليست هي قوة البدن، وإنما هي قوة الإيمان، ومن أجل هذا فإننا نقول في وضوح، إن معيار القوة هو قدرة العبد على الاستغناء بالله عن المخلوقين، والتوكل على الله من دون المخلوقين. فإذا أردت أن تكون من أقوى الناس، فما عليك إلا أن تكل أمرك إلى الله عز وجل، ويثق به قلبك، وتطمئن بالتفويض إليه، ولا تلتفت إلى غير الله أصلا، وبهذا يقوى قلبك، ويقف أمام أعتى الناس جبروتًا، لا لأنك أقوى منه قوة، ولكن لأنك قد اعتمدت على الله، ومن كان الله معه، فمن يقف أمامه؟!.

(٢) بالأصل معونة، وهو خطأ.

حبه في الأرض، ويتوكل على الله [(١)].

اعقلها وتوكل

١٢- حدثنا عبد الله نا أبو حفص الصيرفي نا يحيى بن سعيد نا المغيرة بن أبي قرة الدوسي قال سمعت أنس بن مالك يقول: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أعقلها وأتوكل أو أطلقها وأتوكل؟ قال: **اعقلها وتوكل**» [(٢)].

توكل وأبشر

١٣- حدثنا عبد الله نا إسحاق بن إسماعيل نا جرير عن يحيى بن سعيد عن

---

(١) وفي ذلك الرد البليغ على من يتركون الأسباب تقاعسًا، بدعوى التوكل على الله، ولو صدقوا لأحسنوا العمل.

[فائدة عظيمة]

أخي القارئ! يظن بعض الجهال أن شرط التوكل على الله - جلت قدرته - هو أن يتركوا الكسب، والتداوي، وهذا فهم سقيم، لأن هذا الفعل حرام في الشرع، وقد حض الإسلام على التداوي، بل وأمر به النبي ﷺ «تداووا عباد الله، فإن الله تعالى لم يضع داء إلا وضع له دواء، غير داء واحد: الهرم» [أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وقال حسن صحيح، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان والحاكم وقال: صحيح انظر فيض القدير (٣/٢٣٨)، والجامع الصغير برقم (٣٢٧١)]. فإذا كان هذا هو قول النبي ﷺن فأنى لأي مخلوق أن يدعي أن التداوي ليس من أحوال أهل التوكل؟. فالعاقل يعلم أنه إذا أراد الولد لابد له من الوقاع مع الزوجة، فكيف يطلب الولد وهو لم يتزوج بعد؟. وهكذا أخي المسلم نرى أن ارتباط المسببات بالأسباب من سنة الله في خلقه، ولكن عليك أن تتوكل بقلبك على خالقك، وإن كنت في ظاهر الحال قد اتبعت تلك الأسباب.

(٢) الحديث في الجامع الصغير برقم (١١٩١) ورمز له بالضعف، وعزاه للترمذي في الزهد، وفي العلل، والبيهقي في الشعب، وابن حبان، وابن أبي الدنيا قال المناوى: وهذا بالنسبة لرواية الترمذي عن أنس، أما رواية ابن حبان عن عمرو بن أمية الضمري فإسنادها صحيح، ورواية الطبراني عن عمرو بن أمية بإسناد جيد. وانظر في :الحلية (٨/٣٩٠)، علل الحديث (٦٧٢)، كنز العمال (٥٦٨٧، ٥٦٩٥) ميزان الاعتدال (٥٩٠٦)، فتح الباري (١٠/١١٢)، كشف الخفا (١/١٦١)، الإحياء (٤/٢٧٢).

أخي القارئ، وهذا من الأحاديث التي تبين أنه لا تعارض بين التوكل، والأخذ بالأسباب، بشرط عدم الظن بالأسباب والاعتماد عليها، ونسيان التوكل على الله جل جلاله.

سعيد بن المسيب قال: التقى عبد الله بن سلام وسلمان فقال أحدهما لصاحبه إن مت قبلي فالقني فأخبرني ما لقيت من ربك، وإن مت قبلك لقيتك فأخبرتك، فقال أحدهما للآخر أو تلقى الأموات الأحياء؟ قال: نعم، أرواحهم تذهب في الجنة حيث شاءت، قال فمات فلان فلقيه في المنام، فقال توكل وأبشر فلم أر مثل التوكل قط [(١)].

من أنفق على أهله من غير سرف قضى الله عنه دينه

١٤- حدثنا عبد الله ذكر ابن أبي مريم نا خالد بن خراش ذكر يحيى بن عبد الرحمن العمري حدثتني امرأة خليد العمري عن خليد[(٢)]، قالت: سمعته يقول: ما من عبد ألجأته حاجة فأخذ بأمانته توكلا على ربه، ثم أنفقه على أهله في غير إسراف، فأدركه الموت ولم يقضه إلا قال الله تبارك وتعالى لملائكته عبدي هذا ألجأته حاجة فأخذ بأمانته توكلا علي وثقة بي، فأنفقه على أهله في غير سرف، أشهدكم أني قد قضيت عنه دينه وأرضيت هذا من حقه.

---

(١) هذا الأثر: أخرجه ابن منده من طريق سفيان عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب. وأورده ابن رجب في أهوال القبور (١٤٩) والسيوطي في شرح الصدور. قلت: وفيه دلالة على موضع أرواح المؤمنين في الجنة. وبهذا جاءت الأحاديث النبوية، والآثار السلفية فمن هذا: ١- عن كعب بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده» الموطأ (١/ ٢٤٠)، والمسند (١٥٨٤٣)، والنسائي (٤/ ٨٨) وابن ماجه (٤٢٧١). ٢- قال رجل لابن مسعود قبض رسول الله ﷺ فأين هو؟ قال: في الجنة.

(٢) خليد العمري له ترجمة مفصلة في الحلية (٢/ ٢٣٢) وصفة الصفوة (٣/ ٢٣١)، وأحاسن المحاسن (٣٣١).

[فائدة عظيمة]

أخي القارئ.. الصدق في التوكل على الله عز وجل، من الأسباب في جلب الرزق، والمصلحة للإنسان، وإذا نظرنا إلى كتاب ربنا، وسنة نبينا وجدنا أنهما قد جعلا للمتقين المتوكلين عناية خاصة. فهذا الأثر الذي بين أيدينا يرينا شيئًا مما جعله الله تبارك وتعالى لأهل التوكل عليه. ولكن كثيرًا من الناس يظن أن التوكل على الله قول باللسان، أو مجرد أن يدعو الواحد منهم ربه، أو أنه يقول في صباحه توكلت على الله. لا ..أخي، إن صدق التوكل أن تثق في الله، وفيما عند الله، فإنه أعظم وأبقى مما لديك في دنياك.

أخي القارئ.. هذه ثمرة التوكل الحقيقي على الله أن الله يكفي الإنسان، ويرزقه من حيث لا يحتسب.

العز والغنى يجولان في طلب التوكل

١٥- حدثنا عبد الله نا محمد بن الحسين ذكر عبد الله بن غالب مولى الربيع بن صبيح نا الربيع بن صبيح عن الحسن قال: العز والغنى يجولان في طلب التوكل، فإذا ظفرا به.... (١).

تحديد مفهوم التوكل

١٦- حدثنا عبد الله نا الحسن بن محبوب نا الفيض بن إسحاق قال: قلت للفضل تحد لي التوكل؟ قال: آه، كيف تتوكل عليه وأنت يختار لك فتسخط قضاءه، أرأيت لو دخلت بيتك فوجدت امرأتك قد عميت، وابنتك قد أقعدت، وأنت قد أصابك الفالج (٢)، كيف كان رضاك بقضائه؟ قلت: كنت أخاف ألا أصبر، قال: فكيف لا، حتى يكون عندك واحدًا ترضى بكل ما صنع في العافية والبلاء لا تسخط على ما زوى عنك وتثق بما آتاك، قال ثم ذكر رجلا قد سماه، قال: إني لأكره أن أقول في سجودي اللهم عليك توكلت (٣).

توكل على الله يكفك الله

١٧- حدثنا عبد الله نا إسحاق بن إسماعيل نا أبو أسامة عن مسعر عن معن عن عون بن عبد الله قال: بينا رجل في بستان بمصر في فتنة ابن الزبير مكتئبًا معه شيء

---

(١) كذا بالأصل، ولم أعثر على هذا القول في حلية الأولياء، انظر ترجمة الحسن البصري في الحلية (١٣١/٢) وفي صفة الصفوة (٢٢٣/٢) وأحاسن المحاسن (٣٣١).

(٢) الفالج: الشلل. أخي.. إن أمر الرضا بالقضاء، والصبر على البلاء من الأمور التي رفع من شأنها الإسلام، ومدح أهلها. فقال عز وجل لأهل الصبر في البلاء ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٧] فالهدى والرحمة والصلوات مجموعة للصابرين. وأرسل عمر بن الخطاب ﷺ إلى أبي موسى الأشعري فقال: عليك بالصبر، واعلم أن الصبر صبران، أحدهما أفضل من الآخر، الصبر في المصيبات حسن، وأفضل منه الصبر عما حرم الله تعالى. وقال علي ﷺ: الصبر من الإيمان، بمنزلة الرأس من الجسد، ولا جسد لمن لا رأس له، ولا إيمان لمن لا صبر له.

(٣) أما بالنسبة لتلك الكلمة [إني لأكره أن أقول في سجودي اللهم عليك توكلت] ففيها مخالفة لسنة النبي ﷺ وأصحابه، فلقد كانوا يكثرون من التوكل على الله بقولهم في السجود والقنوت، وفي سائر أدعيتهم التي يدعون الله بها. ولعل هذا الرجل يكره أن يقولها بلسانه لأنه يخشى ألا يكون قد وصل إلى حالة الرضا الكامل في حالي السراء والضراء.

ينكث به في الأرض، إذ رفع له رأسه فسبح له صاحبه منحنيًا فقال له: يا هذا ما لي أراك مكتئبًا حزينًا؟ قال: فكأنه ازدراه، فقال: لأي شيء فقال صاحب المسحاة [١]، أللدنيا، فإن الدنيا عرض حاضر، يأكل منها البر والفاجر، والآخرة أجل صادق يحكم فيها ملك قادر، يفصل بين الحق والباطل، حتى ذكر أنها مفاصل كمفاصل اللحم من أخطأ شيئًا أخطأ الحق، فلما سمع ذلك منه كأنه أعجبه قال: فقال لما فيه المسلمون قال: فإن الله سينجيك بشفقتك على المسلمين، وسل فمن ذا الذي سأل فلم يعطه، ودعاه فلم يجبه، وتوكل عليه فلم يكفه؟، أو وثق به فلم ينجه؟ قال: فعلقت الدعاء اللهم سلمني، وسلم مني فتجلت، [ولم تصب منه أحدًا][٢][٣].

الرضى عن الله

١٨ - حدثنا عبد الله نا أحمد بن إبراهيم نا أبو إسحاق الطلقاني أنا زافر عن أبي رجاء عن عباد بن منصور قال: سئل الحسن[٤]، عن التوكل فقال: الرضا عن الله.

---

(١) بالأصل المسحاة وهو خطأ. وهي آلة تستعمل في الزراعة.

(٢) بالحلية [ولم تصب منه شيئًا].

(٣) هذا الأثر في الحلية [٤/٢٤٤].

(٤) انظر ترجمته المفصلة في الحلية (٢/١٣١)، وصفة الصفوة (٣/٢٣٣).

أخي القارئ! اعلم أن فضيلة الرضا بالله قد جاءت بأهميتها الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية.
ومن الآيات في هذا قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ﴾ [التوبة: ٧٢] فمنتهى الإحسان، ومنتهى الجزاء الأوفى أن يصل العبد إلى مرتبة الرضا.

[فائدة عظيمة]

قال بعض المفسرين في قوله جل ثناؤه ﴿ وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ﴾ [ق: ٣٥] يأتي أهل الجنة في وقت المزيد ثلاث تحف من عند رب العالمين: إحداها هدية من عند الله تعالى ليس عندهم في الجنان مثلها فذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧]. والثانية: السلام عليهم من ربهم فيزيد ذلك على الهدية فضلا وهو قوله تعالى: ﴿ سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ﴾ [يس: ٥٨]. والثالثة يقول الله تعالى. إني عنكم راض. فيكون ذلك أفضل من الهدية والتسليم فذلك قوله تعالى: ﴿ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ﴾ [التوبة: ٧٢] ومن الأحاديث قوله ﷺ «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولا» وفي لفظ نبيا. أخرجه مسلم والترمذي وابن حبان وأحمد.

=

التوكل يعتمد على الثقة بالله

١٩- حدثنا عبد الله نا سويد بن سعيد نا معتمر بن سليمان عن عبد الجليل قال سمعت الحسن يقول: إن من توكل العبد أن يكون الله هو ثقته[1].

المتوكل راض لا يسخط!

٢٠- حدثنا عبد الله نا علي بن أبي مريم عن محمد بن الحسين عن المغيرة بن

=

ويروى أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام: يا داود إنك تريد وأريد، وإنما يكون ما أريد، فإن سلمت لما أريد كفيتك ما تريد، وإن لم تسلم لما أريد أتعبتك فيما تريد، ثم لا يكون إلا ما أريد. قال عبد الله بن مسعود ﷺ: لأن ألحس جمرة أحرقت ما أحرقت وأبقت ما أبقت، أحب إلي من أن أقول لشيء كان ليته لم يكن، أو لشيء لم يكن ليته كان. وقال أبو الدرداء ﷺ: ذروة الإيمان الصبر للحكم، والرضا بالقدر. وهكذا أخي القارئ: فاحرص على أن تكون من الراضين بقضاء الله وقدره.

[فائدة جليلة]

طريقة الحصول على الرضا بقضاء الله عز وجل: قال الشيخ عبد القادر الجيلاني: من أراد أن يحصل له الرضا بقضاء الله عز وجل، فليدم ذكر الموت، فإن ذكره يهون المصائب والآفات، ولا تتهمه على نفسك ومالك وعلى ولدك، بل قل: ربي أعلم بي مني، فإذا دمت على ذلك، جاءتك لذة الرضا والموافقة، فتذهب الآفات بأصولها وفروعها، ويجيئك بدلها النعم والطيبات، لما وافقت وتلذذت بالرضا في حال البلاء، جاءتك النعم من كل جانب ومكان. [الفتح الرباني/١٩١].

(١) قال الإمام ابن القيم عن الثقة بالله: «إن الواثق بالله لاعتقاده أن الله تعالى إذا حكم بحكم وقضى أمرًا فلا مرد لقضائه. ولا معقب لحكمه، فمن حكم الله له بحكم، وقسم له بنصيب من الرزق، أو الطاعة أو المال، أو العلم أو غيره، فلابد من حصوله له. ومن لم يقسم له ذلك، فلا سبيل له إليه ألبتة كما لا سبيل له إلى الطيران إلى السماء». ومن حصَل له الإياس المذكور وحصل له الأمن. وذلك: أن من تحقق بمعرفة الله، وأن ما قضاه الله فلا مرد له ألبتة، أمن من فوت نصيبه الذي قسمه الله له وأمن أيضًا من نقصان ما كتبه الله له، وسطره في الكتاب المسطور. فيظفر بروح الرضا، أي براحته ولذاته ونعيمه. لأن صاحب الرضا في راحة ولذة وسرور.كما في حديث عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إن الله - بعدله وقسطه - جعل الروح والفرح في اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط» انتهى [مدارج السالكين ٢/١٥٠].

عباد قال: قيل لبعض الرهبان من المتوكل؟ قال: من لم يسخط حكم الله عز وجل على كره أو محبة [(١)].

التوكل على الله يبعد الشيطان عنك

٢١- حدثنا عبد الله نا سعيد بن يحيى القرشي أنا أبي أنا ابن جريج عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ من قال: **«بسم الله توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله فيقال له حينئذ كفيت ووقيت وتنحى له الشيطان»** [(٢)].

---

(١) أخي القارئ..

من عادة الإنسان أن يفرح فرحًا شديدًا، عندما يرى قضاء طيبًا له. وبالعكس عندما يرى الأمر على غير ما توقع، أو ظن، يئس وقنط وذاك أخي من ضعف اليقين بالله، وقلة الثقة في تقدير الله. فإن أردت أن تكون - حقا - من المتوكلين على ربهم، يجب أن ترضى بحكمه في السراء وتشكر له، وترضى بحكمه في الضراء وتصبر له وانظر أخي المسلم إلى أحوال السلف الصالح من رضا بالقضاء:

قال عمر بن عبد العزيز: ما بقي سرور إلا في مواقع القدر، وقيل له ما تشتهي، فقال ما يقضي الله تعالى.

وعن بعض السلف: إن الله تعالى إذا قضى في السماء قضاء أحب من أهل الأرض أن يرضوا بقضائه.

وقال الفضيل: إن لم تصبر على تقدير الله، لم تصبر على تقدير نفسك.

وقال ميمون بن مهران: من لم يرض بالقضاء، فليس لحمقه دواء.

وكان أبو هريرة ﷺ يقول: من ذروة الإيمان الاستسلام للرب جل جلاله.

(٢) أورده السيوطي في جمع الجوامع (١/٨٠١)، وعزاه إلى الترمذي وقال حسن غريب، والبيهقي في السنن. وهكذا أخي المسلم تستطيع أن تقوى على الشيطان بالتوكل على الله، والتسليم له بالقوة والحول.

[عظة بليغة]

كم من إنسان بدأ عمله بالاعتماد على قوته، فخذله الله وأمرضه.

وكم من إنسان لم يرض بقضاء الله، فمنع الله عنه رحمته فهلك.

وكم من إنسان لم يرض بما اختار الله له، فخسر الدنيا والآخرة.

وكم من إنسان توكل على الله، فأتت الدنيا له وهي راغمة.

إذا خرجت من بيتك

٢٢- حدثنا عبد الله نا خلف بن هشام نا أبو الأحوص عن منصور عن مجاهد عن عبد الله بن ضمرة قال: قال كعب إذا خرج الرجل من بيته فقال: بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله، قال الملك: هديت وحفظت وكفيت، قال: فتجيء الشياطين فيقولون ما تريدون إلى عبد قد هدى وكفي وحفظ [1].

إذا خرجت من المساجد

٢٣- حدثنا عبد الله نا خلف بن هشام نا أبو الأحوص عن منصور عن مجاهد[2]، قال: كان يقال إذا خرج الرجل من المسجد فليقل بسم الله توكلت على الله، اللهم إني أعوذ بك من شر ما خرج.

---

(١) إن البدء بقول العبد بسم الله من الأمور العظيمة الأثر في بعد الشياطين عن الذي يقوم به العبد، فتخيل أنك عند خروجك من بيتك تبدأ بالاستعانة بالله ثم تثني بالتوكل عليه. وإثبات القوة والحول له تبارك وتعالى. فأي شيطان يستطيع أن يقف أمام ذكر الله.

أخي! حتمًا ستجد العون على الشيطان، والحفظ منه ومن أعوانه، والتوفيق من الله؛ فإنه كما ترى في الأثر الذي بين أيدينا، الملك يقول: هذا العبد قد هُدي وحُفِظ وكُفِي، أما العدو فإنه يبتعد لأنه لا يستطيع أن يغوي من استعان بالله وتوكل عليه. ومن هنا يبدو لك السر في منقبة عمر بن الخطاب ﷺ، لما زكى نفسه، وطهر قلبه، كان الشيطان يفر منه. كما قال ﷺ: «ما سلك عمر فجًا، إلا سلك الشيطان فجًا آخر» وهكذا أخي إن أردت التقوي على الشيطان فعليك بالاستعانة بالله، والتوكل عليه جل جلاله.

(٢) له ترجمة مفصلة في الحلية (٣/٢٧٩)، وصفة الصفوة (٢/٢٠٨) وأحاسن المحاسن (١٨٩).

أخي القارئ! الاستعاذة "من شر ما خرج" تعني أنك تستعصم بالله الجليل من شر كل شيء يؤذي من إنس وجن، وحيوان وغير ذلك. ومن كان الله معه فمن سيكون عليه؟ ومن كان الله عليه فمن سيكون له؟

[فائدة]

ومن أصح الصيغ التي وردت في الدعاء عند الخروج من المسجد قوله ﷺ: «بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب فضلك».

عبد الله.. قل هذا الدعاء وأنت موقن بما فيه، ولن يمضي ذلك اليوم حتى ترى أن ما فيه تحقق بفضل الله ومنته.

ماذا كان رسول الله ﷺ يقول إذا خرج من بيته؟

٢٤- حدثنا عبد الله نا علي بن إبراهيم اليشكري نا يعقوب بن محمد الزهري نا حاتم بن إسماعيل عن عبد الله بن أبي حسين كذا قال عن عطاء بن يسار عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال: كان رسول ﷺ إذا خرج من بيته قال: **«بسم الله، ولا قوة إلا بالله، التكلان على الله»**(١).

٢٥- حدثنا عبد الله نا محمد بن عباد بن موسى نا زافر بن سليمان عن سفيان الثوري(٢) ﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [النحل: ٩٩]، قال: أن يحملهم على ذنب لا يغفر (٣).

الذين يدخلون الجنة بغير حساب

٢٦- حدثنا عبد الله نا أبو خيثمة نا يزيد بن هارون أنا هشام عن الحسن عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ (٤)، **«يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا**

---

(١) أخرجه ابن ماجه: كتاب الدعاء، باب "ما يدعو به الرجل إذا خرج من بيته" برقم (٣٨٨٤). وقال في إسناده عبد الله بن حسين، ضعفه أبو زرعة والبخاري وابن حبان.

(٢) له ترجمة مفصلة في حلية الأولياء (٣٥٦/٦، ٣/٧) وفي صفة الصفوة (١٤٧/٣)، وأحاسن المحاسن (٣٠٩).

(٣) هذا الأثر في تفسير ابن كثير (٥٦٨/٢). والقرطبي (٣٧٩١). قال الشيخ الصابوني: «أي ليس له تسلط وقدرة على المؤمنين بالإغواء والكفر لأنهم في كنف الرحمن ويعتمدون على الله فيما نابهم من شدائد. إنما تسلطه وسيطرته على الذين يطيعونه ويتخذونه لهم وليا» انتهى صفوة التفاسير (٧٢٧/٧).

[معنى لغوي] قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ ﴾ [النحل: ١٠٠] أي يطيعونه. يقال: توليته أي أطعته، وتوليت عنه، أي أعرضت عنه.

(٤) هذا الحديث: أخرجه الإمام أحمد (٣٢١/١)، (٢ /٣٥١)، (٤ /٤٣٦)، (٥ /٢٣٥) قال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح (٦٩/١٥) برقم (٨٠٠٣، ٨٥٥٩٩). وأخرجه البخاري (١٣٠/١٠) من حديث ابن عباس. ومسلم في الإيمان: باب دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب.

[معاني المفردات]

لا يكتوون: الكي بالنار للجراح.

ولا يسترقون: الرقية كلمات يتعوذ بها.

=

بغير حساب، لا يكتوون، ولا يسترقون ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون، فقام عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: اللهم اجعله منهم، فقام آخر فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: قد سبقك بها عكاشة».

٢٧- حدثنا عبد الله نا الحكم بن موسى نا الخليل بن أبي الخليل عن صالح أبي شعيب قال: أوحى الله عز وجل إلى عيسى ابن مريم عليه السلام أنزلني من نفسك كهمك(١)، واجعلني ذخرًا لك(٢)، في معادك، وتقرب(٣)، إلي بالنوافل أدنك، وتوكل(٤)، على أكفك، ولا تول غيري فأخذلك(١).

=

ولا يتطيرون: أي لا يتشاءمون بالطيور ونحوها.

أما قوله: ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: «ذكر الأصل الجامع الذي تفرعت عنه هذه الأفعال والخصال، وهو التوكل على الله، وصدق الالتجاء إليه، والاعتماد بالقلب عليه، الذي هو نهاية تحقيق التوحيد الذي يثمر كل مقام شريف؛ من المحبة والرجاء والخوف، والرضا به ربًا، وإلهًا والرضا بقضائه». [فتح المجيد - ٥٧]. انتهى.

[حكم الكي]:

قال ابن القيم رحمه الله: قد تضمنت أحاديث الكي أربعة أنواع، أحدها: فعله، والثاني: عدم محبته، والثالث: الثناء على من تركه، والرابع: النهي عنه. ولا تعارض بينها بحمد الله، فإن فعله له يدل على جوازه، وعدم محبته له لا يدل على المنع منه. وأما الثناء على تركه فيدل على أن تركه أولى وأفضل، وأما النهي عنه فعلى سبيل الاختيار والكراهة.

(١) والمعنى أي كما تنشغل انشغالا عظيمًا بما لديك من هم، ويصبح ليس لديك أي وقت في التفكير فيما سوى ذلك، أليس الله جل جلاله أولى وأجدر بتلك المنزلة، سبحانه وتعالى.

(٢) أي واعلم أن قربك، وانشغالك بالله جل ثناؤه، إنما هو لك حسنات في معادك، تدخر لك.

(٣) والتقرب بالنوافل من الأمور التي سنها لنا النبي ﷺ في حديث الولي "ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه".

(٤) نعم أخي المسلم، فمن ذا الذي توكل على الله بصدق، وجعل الله هو ثقته ثم لم يكفه؟، إن الله بيده ملكوت كل شيء، ولكن اعمل أنت على أن تكون أهلا للوصول إلى التوكل الصادق الموقن بما عند الله.

٢٨- حدثنا عبد الله ذكر محمد بن إدريس نا أحمد بن أبي الحواري سمعت أبا سليمان الداراني [٢]، يقول: إذا بلغ غاية من الزهد [٣]، أخرجه ذلك إلى التوكل.

٢٩- حدثنا عبد الله نا محمد بن إدريس نا موسى بن أيوب نا بقية عن زرعة بن عبد الله الزبيدي عن عبد الله بن كريز قال: كتب عامل إفريقية إلى عمر بن عبد العزيز يشكو إليه الهوام والعقارب، فكتب إليه، وما على أحدكم إذا أمسى وأصبح أن يقول: ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [إبراهيم: ١٢]. قال زرعة: وهي تنفع من البراغيث [٤].

=

(١) لابد للعبد المؤمن أن يتولى حزب الله، وأولياء الله، لأنهم هم المفلحون، وذلك يعني إذا أحب، أحب لله، وإذا أبغض، أبغض لله، وإذا أعطى، أعطى لله، وإذا منع منع لله، فالله آثر لديه من هواه، وهذا هو الذي يصل إلى ولاية الرحمن جعلنا الله من أهلها، بواسع فضله ومنه.

(٢) له ترجمة مفصلة في الحلية (٩/٢٥٤)، وصفة الصفوة (٤/٢٢٣) وأحاسن المحاسن (٤١٧).

(٣) أكثر الناس والعلماء في تعريف كلمة الزهد وإليك بعض هذه الأقوال. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الزهد ترك ما لا ينفع في الآخرة، والورع ترك ما تخاف ضرره في الآخرة.

وقال سفيان الثوري: الزهد في الدنيا قصر الأمل. ليس بأكل الغليظ، ولبس العباء.

وقال ابن الجلاء: الزهد هو النظر إلى الدنيا بعين الزوال، فتصغر في عينيك، فيسهل عليك الإعراض عنها. وقال عبد الله بن المبارك: هو الثقة بالله مع حب الفقر. وقال الحسن البصري: ليس الزهد في الدنيا بتحريم الحلال، ولا إضاعة المال. ولكن أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك، وأن تكون في ثواب المصيبة - إذا أصبت بها - أرغب منك فيها لو لم تصبك.

أخي القارئ! الزهد في الشيء - في اللغة - معناه الانصراف عنه احتقارًا له، وتصغيرًا لشأنه. للاستغناء عنه بخير منه. ولم يأت في القرآن إلا في شأن الذين اشتروا يوسف عليه السلام قال تعالى: ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾ [يوسف: ٢٠].

واعلم أخي القارئ..

أن الإعراض عن نعم الله وتحقيرها، ليس هذا من هدى رسول الله ﷺ ولا أصحابه وإنما كان هداهم تقدير هذه النعم، وشكرها بالاستعانة بها على طاعة الله، وعبوديته فكما تعلمنا من حال نبينا ﷺ، أن المؤمن شاكر في الرخاء، صابر عند البلاء.

(٤) قال ابن كثير رحمه الله: أي وما يمنعنا من التوكل عليه، وقد هدانا لأقوم الطرق وأوضحها، وأبينها [٢/٥٢٥].

=

فضل حسبنا الله ونعم الوكيل

٣٠- حدثنا عبد الله نا محمد بن هارون أبو نشيط نا سليمان بن عبد الرحمن أبو أيوب نا أيوب بن سويد عن ابن شوذب قال: لما ألقى يوسف في الجب قال: حسبي الله، ونعم الوكيل، وكان الماء آجنا [١]، فصفا، وكان مالحًا فعذب.

٣١- حدثنا عبد الله ذكر محمد بن يحيى بن أبي حاتم قال: سألت عبد الله بن داود [٢]، عن التوكل، فقال: أرى التوكل حسن الظن [٣].

٣٢- حدثنا عبد الله نا أحمد بن محمد بن أيوب نا أبو بكر بن عياش عن أبي حصين عن أبي الضحى عن ابن عباس قال: لما ألقي إبراهيم في النار قال: حسبنا الله

=

وقال الإمام القرطبي: "ما" استفهام في موضع رفع بالابتداء، و "لنا" الخبر، وما بعدها في موضع الحال، التقدير: أي شيء لنا في ترك التوكل على الله، "وقد هدانا سبلنا" أي الطريق ويوصل إلى رحمته، وينجي من سخطه ونقمته.

(١) آجن الماء: هو المتغير الطعم واللون: انظر تاج العروس (١١٨/٩) اعلم أخي القارئ أن كلمة "حسبي الله ونعم الوكيل" لها تأثير عظيم، في دفع الشر، وحصول الخير. ومما ورد في ذلك أن أم المؤمنين زينب وعائشة رضي الله عنهما تفاخرتا، فقالت زينب: زوجني الله، وزوجكن أهاليكن وقالت عائشة: نزلت براءتي من السماء في القرآن، فسلمت لها زينب ثم قالت: كيف قلت حين ركبت راحلة صفوان بن المعطل؟ قالت: قلت: حسبي الله ونعم الوكيل. قالت زينب: قلت كلمة المؤمنين. انظر ابن كثير (٤٣١/١).

وروى الشعبي عن عبد الله بن عمرو قال هي كلمة إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار. رواه ابن جرير.

(٢) له ترجمة مفصلة في الحلية (٣٩٢/١٠).

(٣) للإمام ابن أبي الدنيا رسالة في: "حسن الظن بالله" يسر الله لنا تحقيقها. والمقصود أخي القارئ من حسن ظن العبد بربه هو أن العبد يعلم أن الله ما اختار له إلا ما فيه الخير، فلا يحزن على مفقود، ولا يفرح بموجود. وليعلم أن لله عز وجل في كل شيء حكمة، فإن لم يبن لك وجه الحكمة ألا يكفيك أن الذي اختار لك هذا الأمر هو الحكيم الخبير، الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا السماء. وهكذا بمثل هذا الإحساس يظل المؤمن من الذين يحسنون الظن بالله تبارك وتعالى.

ونعم الوكيل، وقال محمد ﷺ مثلها [(١)].

٣٣- حدثنا عبد الله ذكر محمد بن الحسين ذكر مخول الكوفي ذكر بهيم أبو بكر العجلي عن رجل من أهل الكوفة قال: بينا أنا في بستان لي إذ خيل لي رؤية شخص أسود ففزعت منه، فقلت حسبي الله ونعم الوكيل، قال فساح في الأرض وأنا أنظر إليه، وسمعت صوتًا من ورائي يقرأ هذه الآية: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ﴾ [الطلاق: ٣][(٢)]. فالتفت فلم أر شيئًا.

٣٤- حدثنا عبد الله نا إسحاق بن إبراهيم نا محمد بن منيب العرني ذكر السري بن يحيى عن وهيب بن ورد[(٣)]، أن رجلين كسر بهما في البحر فوقعا إلى الأرض فأتيا بيتًا مبنيًا من شجر فكانا فيه فبينما هما ذات ليلة أحدهما نائم والآخر يقظان إذ جاءت امرأتان فوقفتا على الباب بهما من قبح الهيئة شيء لا يعلمه إلا الله، فقالت إحداهما للأخرى: ادخلي، فقالت: ويحك إني لا أستطيع، قالت: ويحك لم؟

---

(١) أخرجه البخاري (١٧٢/٨) في تفسير آل عمران: باب قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٧٣]. والبغوي في شرح السنة (٢٩٨/١٤). أما قول إبراهيم فقد علم أنه عندما قذف به عليه السلام في النار من قبل المشركين عبدة الأصنام. وأما محمد ﷺ إنما قالها عندما أصاب أبو سفيان وأصحابه من المسلمين ما أصابوا ورجعوا، فقال رسول الله ﷺ إن أبا سفيان قد رجع وقد قذف الله في قلبه الرعب. فمن ينتدب في طلبه. فقام النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وناس من أصحاب رسول الله ﷺ فتبعوهم، فبلغ أبا سفيان أن النبي ﷺ يطلبه فلقي عيرًا من التجار فقال: ردوا محمدًا ولكم من الجعل كذا وكذا وأخبروهم أني قد جمعت جموعًا، وأني راجع إليهم، فجاء التجار فأخبروا رسول الله ﷺ بذلك، فقال النبي ﷺ ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٣] فأنزل الله هذه الآية. وهكذا قال عكرمة وقتادة والحسن البصري انظر ابن كثير (١/ ٤٣٠).

(٢) قال الشيخ الصابوني: في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ﴾ [الطلاق: ٣] أي نافذ أمره في جميع خلقه، يبلغ ما يريد ولا يعجزه شيء. ثم نقل عن صاحب التسهيل قوله: «وهذا حض على التوكل وتأكيد له، لأن العبد إذا تحقق أن الأمور كلها بيد الله، توكل على الله وحده، ولم يعول على سواه»[صفوة التفاسير ١٥٦٤/١٨].

(٣) له ترجمة مفصلة في حلية الأولياء (١٤٠/٧)، وصفة الصفوة (٢١٨/٢)، وأحاسن المحاسن (١٩١).

قالت أو ما ترين ما في البيت، فإذا ألواح في البيت فيها كتاب «حسبي الله وكفى، سمع الله لمن دعا، ليس وراء الله مرمى»[(١)].

٣٥- حدثنا عبد الله نا أبو عبد الله أحمد بن بحير نا إسحاق بن يوسف بن طارق نا عوف قال: كان طلق بن حبيب[(٢)]، يقول: أسألك خوف العالمين بك، وعلم الخائفين لك، وتوكل المؤمنين بك، ويقين المتوكلين عليك، وإنابة[(٣)] المخبتين إليك وإخبات[(٤)] المنيبين إليك، وصبر الشاكرين لك، وشكر الصابرين لك، وإلحاقًا بالأحياء المرزوقين.

٣٦- حدثنا عبد الله قال: قال محمد بن الحسين ذكر منبوذ أبو همام ذكر أبو معبد رجلا من البحرين قال: قال لي عابد كان بالبحرين يومًا بحسبك من التوكل عليه التوسل إليه، أن يعلم من قلبك حسن توكلك عليه، وكم من عبد من عباده قد فوض إليه أمره، فكفاه منه ما أهمه ثم قرأ ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣][(٥)].

---

(١) معنى هذه المقولة: هو أن مطلب العباد الأول والأخير في هذه الدنيا هو الحصول على رضا الرحمن، والعمل بطاعته.

أخي القارئ! ماذا خسرت إذا خرجت من الدنيا ولم تخرج إلا برضا الرحمن؟ والله ما خسرت شيئًا، بل فزت فوزًا عظيمًا، فإن الخسارة الحقيقية، هي لمن خرج من الدنيا وكان من الذين غضب الله عليهم، وإن كان معه الملايين من الجنيهات، بل وإن كان له الدنيا وما حوت وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧١].

(٢) له ترجمة مفصلة في حلية الأولياء (٣/٦٣)، وصفة الصفوة (٣/٢٥٨).

(٣) الإنابة: هي الرجوع إلى الشيء، ويقصد بها هنا الرجوع إلى الله أي التوبة والعودة إلى طاعته.

(٤) الخبت في أصل اللغة: المكان المنخفض من الأرض. وبه فسر ابن عباس رضي الله عنهما لفظ "المخبتين" فقال: هم المتواضعون. ولقد وضح تبارك وتعالى صفات أهل الإخبات، فقال جل ثناؤه ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الحج: ٣٤].

(٥) قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾ [الطلاق: ٢] ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة. ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: ٣]. وقال محمد بن إسحاق جاء مالك الأشجعي إلى رسول الله ﷺ فقال له: أسر ابني عوف. فقال له رسول الله =

٣٧- حدثنا عبد الله قال: قال محمد بن الحسين ذكر أحمد بن سهل الأردني ذكر أبو قدامة الرملي قال: قرأ رجل هذه الآية: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٨][1].

فأقبل على سليمان الخواص، فقال: يا أبا قدامة ما ينبغي لعبد بعد هذه الآية أن يلجأ إلى أحد غير الله في أمره، ثم قال: كيف قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨] فأعلمك أنه لا يموت، وأن جميع خلقه يموتون، ثم أمرك بعبادته، فقال: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ ﴾، ثم أخبرك أنه خبير بصير، ثم قال: والله يا أبا قدامة لو عامل عبد الله بحسن التوكل، وصدق النية له بطاعته، لاحتاجت إليه الأمراء فمن دونهم، فكيف يكون هذا محتاجًا، ومأمله وملجأه إلى الغنى الحميد.

وصية معروف الكرخي

٣٨- حدثنا عبد الله ذكر محمد بن حماد بن المبارك قال: قال رجل لمعروف[2]، أوصني قال: توكل على الله حتى يكون جليسك وأنيسك، وموضع

=

ﷺ: «أرسل إليه أن رسول الله يأمرك أن تكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله وكانوا قد شدوه بالقد، فسقط القد عنه فخرج فإذا هو بناقة لهم فركبها وأقبل، فإذا بسرح القوم الذين الذين كانوا قد شدوه، فصاح بهم، فاتبع أولها آخرها، فلم يفجأ أبويه إلا وهو ينادي بالباب. فقال أبوه: عوف ورب الكعبة، فقالت أمه: وا سوأتاه وعوف كيف يقدم لما هو فيه من القد. فاستبقا الباب والخادم فإذا هو عوف قد ملأ الفناء إبلا، فقص على أبيه أمره، وأمر الإبل فقال أبوه: قفا حتى آتي رسول الله ﷺ فأسأله عنها. فأتى رسول الله ﷺ فأخبره بخبر عوف، وخبر الإبل، فقال له رسول الله ﷺ : اصنع بها ما أحببت وما كنت صانعا بمالك» ونــزل: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ رواه ابن أبي حاتم. انظر تفسير ابن كثير (٤/٣٨٠) وتفسير القرطبي (١٨/١٦٠)، وتفسير الطبري (٢٨/٩٠).

(١) قال ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ﴾ [الفرقان: ٥٨] أي في أمورك كلها كن متوكلا على الله الحي الذي لا يموت أبدا الذي هو ﴿ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد: ٣] الدائم الباقي، رب كل شيء ومليكه، اجعله ذخرك وملجأك.

(٢) له ترجمة مفصلة في حلية الأولياء (٨/٣٦٠).

شكواك وأكثر ذكر الموت[١]، حتى لا يكون لك جليس غيره، واعلم أن الشفاء لما نزل بك كتمانه، وأن الناس لا ينفعونك ولا يضرونك ولا يعطونك ولا يمنعونك.

٣٩- حدثنا عبد الله نا إسحاق بن إسماعيل نا جرير عن ليث عن أبي العالية [٢]، قال: اجتمع إليّ أصحاب محمد فقالوا: يا أبا العالية لا تعمل عملا تريد به غير الله[٣]، فيجعل الله ثوابك على المذلات[٤]، قال: واجتمع إلي أصحاب محمد فقالوا: يا أبا العالية لا تتكلن على غير الله، فيكلك الله إلى من اتكلت عليه[٥].

فضل أمة الإسلام

٤٠- حدثنا عبد الله بن محمد نا أبي نا هشيم بن بشير أنا حصين قال: كنا جلوسًا مع سعيد بن جبير ذات غداة فقال لنا: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟ قال: قلت: أنا، ثم استدركت لنفسي فقلت: إن سهري لم يكن في صلاة، ولكن لدغتني العقرب فسهرت. فقال سعيد بن جبير كيف صنعت؟ قلت: صنعت أن

---

(١) قال أبو حامد اللفاف رحمه الله: من أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء تعجيل التوبة، وقناعة القوت، ونشاط العبادة. ومن نسى الموت عوقب بثلاثة أشياء تسويف التوبة، وترك الرضا بالكفاف، والتكاسل في العبادة.

واعلم أخي! أن الكيس هو من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني الغرور.

(٢) له ترجمة مفصلة في حلية الأولياء (٢/٢١٧)، وصفة الصفوة (٣/٢١١) وأحاسن المحاسن (٣٢٥).

(٣) المراد هو أنك إذا علمت عملا فأخلص لله فيه النية، والإخلاص سر بين العبد، وربه. لا يطلع عليه ملك فيكتبه، ولا عدو فيفسده. فالأجدر بالعبد منا أن يعمل جاهدًا على أن يخلص لله العمل.

(٤) المراد هو أنك ما دمت لم تخلص لله، فاعلم بأنك لا تنال أي ثواب، وسيحبط الله عملك كله. فإن الله عز وجل أغنى الشركاء عن الشرك. ولذلك فقد أخبر المعصوم ﷺ عن أول ثلاثة تسعر بهم النار: قارئ القرآن، والمجاهد، والمتصدق بماله، الذين فعلوا ذلك ليقال: فلان قارئ، وفلان شجاع، وفلان متصدق، ولم تكن أعمالهم خالصة لله. ولهذا يقال للواحد من أمثال هؤلاء في يوم القيامة «اذهب فخذ أجرك ممن عملت له. لا أجر لك عندنا».

(٥) إذا جعل العبد توكله على المخلوق خذله الله، وأخزاه في الدنيا قبل الآخرة، وبالعكس إذا توكل على الله، أعطاه الله ما أراد في الدنيا قبل الآخرة، والله على كل شيء قدير.

استرقيت، قال: ما حملك على ذلك؟ قلت حديث حدثناه الشعبي. قال: وما حدثكم؟ قال: قلت حدثنا الشعبي عن بريدة بن حصيب الأسلمي أنه قال: لا رقية إلا من عين أو حمة، فقال سعيد بن جبير قد أحسن من انتهى إلى ما سمع، ثم قال سعيد بن جبير نا ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: **«عرضت علي الأمم، فرأيت النبي يمر ومعه الرهط، والنبي يمر ومعه الثلاثة والاثنان، والنبي يمر ومعه الرجل الواحد، والنبي يمر وليس معه أحد، إلى أن رفع سواد عظيم فقلت: هذه أمتي. قيل ليس بأمتك، هذا موسى وقومه، إلى أن رفع لي سواد عظيم قد سد الأفق، فقيل هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب،** قال: ثم دخل النبي ﷺ فخضنا في أولئك السبعين، وجعلنا نقول من الذين يدخلون الجنة بغير حساب، هم الذين صحبوا النبي ﷺ، أم هم الذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله شيئًا، إلى أن خرج النبي ﷺ فقال: **ما هذا الذي كنتم تخوضون فيه؟، قال: فأخبروه. فقال: هم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون، فقام عكاشة بن محصن فقال: أنا منهم يا رسول الله؟ قال: أنت منهم، فقام رجل آخر من المهاجرين فقال: أنا منهم يا رسول الله قال سبقك بها عكاشة»**(١).

(١) هذا الحديث: أخرجه أحمد (١/٢٧١)، ورواه مسلم (١/٧٨)، ورواه البخاري مطولا ومختصرًا (١٠/١٣٠) وفي صحيح الجامع بلفظ آخر برقم (٣٩٩٩). قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله: إسناده صحيح (٤/١٤٧/ المسند).

[فوائد] قوله: "من عين" قال ابن الأثير: يقال أصابت فلانًا عين:إذا نظر إليه عدو أو حسود فأثرت فيه فمرض بسببها، يقال منه عانه يعينه فهو عائن، إذا أصابه بالعين، والمصاب معين. انتهى.

"الحمة" هي السم: قال ابن الأثير: ويطلق أيضًا على إبرة العقرب للمجاورة، لأن السم منها يخرج. "عكاشة" هو عكاشة بن محصن الأسدي، من السابقين الأولين، وشهد بدرًا، واستشهد في قتل أهل الردة، رضي الله عنه.

[ومن فوائد هذا الحديث]

قال الشيخ عبد الرحمن: شارح كتاب التوحيد.

١- كون الجامع لخصال الخير التوكل.

٢- عمق علم الصحابة لمعرفتهم أنهم لم ينالوا ذلك إلا بعمل.

٣- حرصهم على الخير.

=

٤١ - حدثنا عبد الله نا الحسن بن عيسى نا عبد الله بن المبارك نا يحيى بن سليمان عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إن أهل الجنة يتراءون**[1]**، في الغرف كما تراءون الكوكب الشرقي أو الكوكب الغربي الغارب في الأفق الطالع في تفاضل الدرجات قالوا يا رسول الله أولئك النبيون؟ قال: بل والذي نفسي بيده أقوام آمنوا بالله ورسله وصدقوا المرسلين**»[2].

التشاؤم شرك

٤٢ - حدثنا عبد الله نا علي بن الجعد أنا شعبة عن سلمة بن كهيل قال سمعت عيسى رجلا من بني أسد يحدث عن زر بن حبيش عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «**الطيرة من الشرك، ولكن الله يذهبها بالتوكل**»[3].

=

٤- فضيلة هذه الأمة.

٥- أن كل أمة تحشر وحدها مع نبيها.

٦- قلة من استجاب للأنبياء.

٧- الرخصة في الرقية من العين والحمة.

٨- استعمال المعاريض.

٩- فضيلة عكاشة بن محصن ﷺ.

(١) أي ينظر بعضهم إلى بعض.

(٢) هذا الحديث: أخرجه الطبراني في الكبير (٥٧٧٦/٦)، وابن حبان (٢٦٤٠) من طريق أيوب بن سويد. عن سهل بن سعد والطبراني في الكبير كذلك (٥٧٦٢)، وابن حبان من طريق بشر بن الفضل عن سهل أيضًا. وبلفظ «إن أهل الجنة ليتراءون الغرفة في الجنة، كما يتراءون الكوكب الدري في الأفق الشرقي والغربي» فقط بدون زيادة أخرجه البخاري (١١/ ٤١٦ - فتح الباري)، مسلم في الصحيح (٢٨٣٠) والطبراني في الكبير (٥٧٦٢)، (٥٨٧٨)، (٥٩٤٠)، (٥٩٩٨). وأحمد (٣٤٠/٥)، والدارمي (٢٤٢/٢) من طرق عن أبي حازم، عن سهل بن سعد. وأخرجه الإمام مسلم في الصحيح بنفس المتن (٦٩١/٤) ولكن من رواية أبي سعيد الخدري.

(٣) الحديث في مصابيح السنة للبغوي (٩٧/٢) باب [الفأل والطيرة] من كتاب "الطب والرقى"، وجمع الفوائد(٢/ ١٣٦) باب [الطيرة والفأل] والسيوطي في جمع الجوامع [٤٢٨/١] وعزاه للترمذي عن عائشة وصححه الشيخ الألباني حفظه الله في الصحيحة (٤٣٠) بلوغ المرام (٣٠٣) [التطير قبل الإسلام].

=

٤٣- حدثنا عبد الله نا أبو خيثمة زهير بن حرب نا وكيع عن سفيان عن سلمة بن كهيل عن عيسى بن عاصم الأسدي عن زر عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**الطيرة شرك وما منا متشائم ولكن الله يذهبه بالتوكل**»[1].

٤٤- حدثنا عبد الله نا أبو كريب نا ابن فضيل عن ليث عن مجاهد عن العقار بن المغيرة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من استرقى واكتوى فقد برئ من التوكل**»[2].

٤٥- حدثنا عبد الله نا محمد بن صالح التميمي قال: كان بعض العلماء إذا تلا ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، قال: اللهم إني سمعت في كتابك تندب عبادك إلى كفايتك، وتشترط عليهم التوكل عليك، اللهم وأجد سبيل تلك إليك سبيلا انمحت دلالتها، ودرست ذكراها، وتلاوة الحجة بها، وأجد بيني وبينك مشبهات

=

منها ما يحكى عن العرب من زجر الطير وإزعاجها عن أوكارها عند إرادة الخروج للحاجة، فإن مرت على اليمين تفاءلت به، وإن مرت عن الشمال تشاءمت به وقعدت، وكانوا يتطيرون بصوت الغراب. فجاء الإسلام بالنهي عن التطير والتشاؤم بما يسمع من صوت طائر مهما كان على أي حال. فقال النبي ﷺ: «أقروا الطير على أوكارها» ورد في سنن أبي داود باب ٢١، ومسند أحمد (٣٨١/٦) - ومعناه أي لا تزعجوها وتطيروها لتنظروا كيف تمر فتظعنوا أو تقعدوا.

(١) أخرجه ابن ماجه في السنن: الطب باب ٤٣ رقم (٣٥٣٨).

(٢) هذا الحديث: أخرجه أحمد (٢٤٩/٤، ٢٥٣)، والترمذي (٢٠٥٦) في الطب: باب ما جاء في كراهية الرقية، وابن ماجه (٢٤٨٩) في الطب: باب الكي. قال الترمذي: حسن صحيح، وصححه ابن حبان (١٤٠٨) والحاكم.

سبق أن تكلمنا عن مثل هذا الحديث، وما هو المفهوم الحقيقي لهذا الاسترقاء، وذاك الاكتواء.

[ومن أقوال العلماء في ذلك] قال الحليمي رحمه الله بعد أن بين أن الاستقراء في ذاته لا ينافي التوكل. "والدليل على صحته أن سيد المتوكلين رسول رب العالمين، يروى عنه أنه اكتوى من الكلم الذي وقع بوجهه يوم أحد، وكوى سعد بن زرارة من الشوكة، وأمر أبي بن كعب أن يكتوي من سهم أصابه يوم بدر، فدل ذلك على أن الاكتواء الذي وضعه الله تعالى مع التوكل على الله، يشفى به، أفضل من التوكل بلا اكتواء ولا غيره من صروف المعالجات" [انتهى بتصرف انظر المنهاج ٩/٢].

تقطعني عنك، معوقات تقعدني عن إجابتك، اللهم وقد علمت أن عبدًا لا يرحل إليك إلا بك، فإنك لا تحتجب عن خلقك، إلا أن تحجبهم الآمال دونك، وعلمت أن أفضل زاد الرجل إليك، صبر على ما يؤدي إليك، اللهم وقد ناجاك بعزم الإرادة قلبي، وأفهمتني حجتك بما تبين لي من آياتك، اللهم فلا أتخيرن دونك، وأنا أؤملك ولا أختلجن عنك، وأنا أتخير لك، اللهم فأيدني منك بما تستخرج به فاقة الدنيا من قلبي، ولا تغشني بشيء من مصارع أبوابها، وتسقني بكأس السلوة عنها، حتى تستخلصني لأشرف عبادتك، وتورثني ميراث أوليائك الذين ضربت لهم المنار على قصدك وحثثتهم حتى وصلوا إليك آمين رب العالمين.

٤٦- حدثنا عبد الله نا يعقوب بن عبيد نا هشام بن عمار نا بقية بن الوليد نا أبو جعفر الرازي عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز عن صالح بن كيسان عن ابن لعثمان بن عفان عن عثمان بن عفان قال: قال رسول الله ﷺ: **«من خرج من بيته يريد سفرًا، فقال: حين خرج باسم الله آمنت بالله، واعتصمت بالله، وتوكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، رزق خير ذلك المخرج، وصرف عنه شره»**(١).

درجات التوكل

٤٧- قال أبو بكر: وبلغني عن بعض الحكماء قال: التوكل على ثلاث دَرَجات: **أولاها:** ترك الشكاية (٢)، **والثانية:** الرضا، **والثالثة:** المحبة.

---

(١) هذا الحديث: أورده السيوطي في جمع الجوامع (١/٧٧٥) وعزاه إلى: ابن السني في عمل اليوم والليلة، والخطيب في التاريخ، وابن عساكر. انظر ابن السني (٤٨٥)، كنز العمال (١٧٥٣٤، ٢٠٣٣١)، تاريخ البخاري (٥/١٤)، والحاكم (١/٨٨).

أخي القارئ.. نتعلم من هذا الحديث أن من آداب السفر التي سنها لنا النبي ﷺ التفويض، والتوكل لله وعلى الله في الخروج. فإن فعل العبد منا ذلك رزقنا خير ذلك المخرج الذي خرجنا له، ورزقنا النجاة من شر هذا المخرج.

(٢) يعني أن العبد لا يشكو ربه إلى الناس، وهل من عاقل يشكو ربه؟ نعم أخي عندما تظهر ما بك من مرض أو بلاء إلى الناس، وتتحسر لأنك أصبت من دون فلان وفلان فقد شكوت الله. ولذا ورد أن أحد السلف رأى رجلا يشكو ربه لأحد الناس ويقول ما بالي أصبت ولم يصب فلان، فقال له: لقد شكوت من يملك لك النفع والخير إلى من لا يملك لك نفعًا ولا ضرًا.

فترك الشكاية درجة الصبر، والرضا سكون(١) القلب بما قسم الله له وهي أرفع من الأولى، والمحبة أن يكون حبه لما يصنع الله به فالأولى للزاهدين والثانية للصادقين، والثالثة للمرسلين.

٤٨- حدثنا عبد الله نا إبراهيم بن إسحاق بن أبي العنبس نا جعفر بن عون نا المعلى بن عرفان ذكر محمد بن عبد الله بن جحش قال: تفاخرت زينب وعائشة فقالت زينب: أنا التي نزل تزويجي من السماء، وقالت عائشة أنا التي نزل عذري في كتاب الله حين حملني ابن المعطل على الراحلة، فقالت لها زينب ما قلت حين ركبتها؟ قالت: قلت: حسبي الله ونعم الوكيل، قالت لها زينب: قلت كلمة المؤمنين(٢).

٤٩- حدثنا عبد الله ذكر الحسن عن علي بن أبي الجواري قال: قال أبو سليمان: لو توكلنا على الله ما بنينا حائطًا على لبنتين ولا جعلنا على بابنا غلقا، قال: وقال زهير البناني: ما أقدر أن أقول توكلت على الله (٣).

٥٠- حدثنا عبد الله نا إسحاق بن إسماعيل نا جرير عن منصور عن الشعبي قال: تجالس شتير ومسروق، فقال شتير: عبد الله يقول: «إن أشد آية في القرآن لفرحنا» ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ (٤) فقال مسروق: صدقت.

---

(١) سكون القلب يعني عدم ظهور الضيق والهم والغم في القلب لما يراه العبد من شدة في المعيشة، أو قلة في الحاجة.

(٢) أخي القارئ..

إن شعار المؤمنين في كل مصيبة هو حسبنا الله ونعم الوكيل. إن دعاء المؤمنين في كل شدة هو حسبنا الله ونعم الوكيل إن كلمة المؤمنين أمام كل سلطان غاشم هو حسبنا الله ونعم الوكيل. إن نداء المؤمنين في كل فتنة هو حسبنا الله ونعم الوكيل. إن ملاذ المؤمنين عند كل بلاء هو حسبنا الله ونعم الوكيل. فتحصن أخي القارئ بحسبنا الله، وكن من المتوكلين عليه، حتى تفوز برضا الرحمن، ودخول الجنان.

(٣) انظر ترجمة أبي سليمان الداراني المفصلة في حلية الأولياء (٩/٢٥٤) وصفة الصفوة (٤/٢٢٣) وأحاسن المحاسن (٤١٧).

فائدة: ينبغي أن نتفهم مثل تلك الأقوال، فإن المراد منها ربما يكون عدم الحرص الزائد على الدنيا. وربما يكون عدم الانشغال بالشهوات من عمران وعلو في البنيان. وبالنسبة للأثر الآخر [ما أقدر..] ظنا منه أنه ليس أهلا للتوكل تصونًا وحرصًا على الكمال.

(٤) له ترجمة مفصلة في حلية الأولياء (٢/٩٥)، وصفة الصفوة (٣/٢٤) وأحاسن المحاسن (٢٧٨).

=

٥١- حدثنا عبد الله حدثني سعيد بن محمد بن سعيد الأموي من قوله:

صدق الكذوب ولم يكن بصدوق ... مـا الحرص إلا من طريق الموق
قــد قــدر الله الأمــور بعلمــه ... فــيها علــى المحــروم والمرزوق
فــإذا طلــبت فــلا إلى متطلب ... وإذا اتكلــت فــلا علــى مخلوق
فــإذا اتكلــت فكن برب واثقا ... لا مــا يحصــل عــندك الموثوق

٥٢- حدثنا عبد الله نا علي بن أبي مريم عن محمد بن الحسين عن حكيم بن جعفر سمعت أبا عبد الله البراني يقول: قال رجل من العباد: إنك أيها الرجل، إن فوضت أمرك إلى الله، اجتمع لك في ذلك أمران، قلت ما هما؟ قال: قلة الاكتراث بما قد ضمن لك، وراحة البدن من مطلب ذلك، فأي حال أكبر من حال المطيع له، والمتوكل عليه كفاه الله بتوكله عليه الهم، وأعقبه الراحة (١).

=

أخي القارئ..

إن هذه الاية تفتح باب الأمل والرجاء في قضاء الحوائج. أي أن الله تعالى يقول لعباده: ومن يعتمد على الله، ويثق به فيما أصابه، فإن الله كافيه.

قال الإمام الصاوي: أي من فوض إليه أمره كفاه ما أهمه، والأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل، لأنه مأمور به ولكن لا يعتمد على تلك الأسباب [حاشية الجلالين ٢١٥/٤] فكن أخي المسلم من المتوكلين، لا المتواكلين، وكن من العاملين، لا البطالين.

(١) [منزلة التفويض]

يقول صاحب المنازل: «وهو ألطف إشارة، وأوسع معنى من التوكل .. فإن التوكل بعد وقوع السبب، والتفويض قبل وقوعه وبعده وهو عين الاستسلام. والتوكل شعبة منه». ثم يشرح ابن القيم رحمه الله فيقول: يعني أن المفوض يتبرأ من الحول والقوة، ويفوض الأمر إلى صاحبه، من غير أن يقيمه مقام نفسه في مصالحه. بخلاف التوكل. فإن الوكالة تقتضي أن يقوم الوكيل مقام الموكل.

فالتفويض: براءة وخروج من الحول والقوة، وتسليم الأمر كله إلى مالكه. فيقال وكذلك التوكل أيضًا، وما قد حتم به في التوكل يرد عليكم نظيره في التفويض. فالعلة في التفويض أعظم منها في التوكل. بل لو قال قائل: التوكل فوق التفويض، وأجل منه وأرفع لكان مصيبا، ولهذا كان القرآن مملوءًا به أمرًا، وإخبارًا عن خاصة الله وأوليائه، وصفوة المؤمنين، بأن

=

أهل التوكل هم أهل الراحة

٥٣- حدثنا عبد الله قال وحدثني علي بن أبي مريم عن محمد بن الحسين ذكر أحمد بن سهل الأردني سمعت أبا فروة الزاهد يقول: قال لي رجل في منامي، أما علمت أن المتوكلين هم المستريحون؟ قلت: يرحمك الله مم ذا؟ قال[1]: من هموم الدنيا وعسر الحساب غدًا، قال أبو فروة: فوالله ما اكترثت بعد ذلك بإبطاء رزق ولا سرعة وذلك

=

حالهم التوكل. وأمر الله به رسوله في أربعة مواضع من كتابه، وسماه "المتوكل" كما في صحيح البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قرأت في التوراة صفة النبي ﷺ: محمد رسول الله، سميته المتوكل، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا صخاب بالأسواق.. وأخبر عن رسله بأن حولهم كان التوكل. وبه انتصروا على قومهم. وأخبر النبي ﷺ عن السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب "أنهم أهل مقام التوكل". ولم يجئ التفويض في القرآن إلا فيما حكاه عن مؤمن آل فرعون من قوله ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [غافر: ٤٤] وقد أمر الله رسوله ﷺ بأن يتخذه وكيلا فقال: ﴿ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ [المزمل: ٩]. ولله در سيد القوم. إذ يقول "سهل بن عبد الله التستري" العلم كله باب من التعبد. والتعبد كله باب من الورع، والورع كله باب من الزهد، والزهد كله باب من التوكل. فالذي نذهب إليه أن التوكل أوسع من التفويض، وأعلى وأرفع.

(١)[فوائد تفسيرية]

قال القرطبي رحمه الله في تفسير الآية السابقة:

"أي من فوض إليه أمره كفاه ما أهمه". وقيل "من اتقى الله، وجانب المعاصي، وتوكل عليه، فله فيما يعطيه في الآخرة من ثوابه كفاية. ولم يرد الدنيا، لأن المتوكل قد يصاب في الدنيا، وقد يقتل" انتهى [تفسير القرطبي: ٦٦٤٠].

وقال مسروق وهو من التابعين في قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ﴾ أي قاض أمره فيمن توكل عليه، وفيمن لم يتوكل عليه، إلا أن من توكل عليه فيكفر عنه سيئاته، ويعظم له أجرًا.

وقال الربيع بن خثيم: إن الله تعالى قضى على نفسه أن من توكل عليه كفاه، ومن آمن به هداه، ومن أقرضه جازاه، ومن وثق به نجاه، ومن دعاه أجاب له، وتصديق ذلك في كتاب الله ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ [التغابن: ١١] ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق: ٣]، ﴿ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ ﴾ [التغابن: ١٧] ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [آل عمران: ١٠١]، ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

أنه من أجمع التوكل عليه كفاه ما همه، وساق الرزق والخير إليـــه، قال الله عز وجـــل ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ [الطلاق: ٣].

٥٤- حدثنا عبد الله ذكر علي عن محمد بن الحسين ذكر إبراهيم بن زكريا القرشي قال: سمعت هدابا البصري يقول: قال لي قائل في منامي يا هداب توكل على من توكل عليه المتوكلون قبلك، فإنه جل ثناؤه، لا يكل متوكلا عليه إلى غيره[١].

٥٥- حدثنا عبد الله ذكر علي عن محمد بن الحسين ذكر جعفر بن حكيم ذكر عصام بن طليق عن شيخ من أهل البصرة عن أبي الجلد قال: لقيني رجل من العجم، فشكا إلي سلطانه وما أتاه من الظلم، فقلت له ألا أدلك على أمر إن فعلت به، وتركت ما سواه كفيت أمر السلطان وغيره؟ قال: بلى. قلت ارجع إلى أهلك وتوكل على الله في أمرك كله فإنك إن تفعل تجد ما أقول لك، قال: فلقيني بعد، فجعل يشكرني ويقول لي والله رجعت يومئذ إلى أهلي أتوكل على الله، فلم ألبث أن جاءني ما رجوت [٢].

---

(١) [فائدة]

من سعادة المرء، أنه إذا توكل على الله، كفاه الله سائر الأمور، ولكن إذا توكل العبد على الإنسان، قطع الله عنه سائر الأمور. فالعز كل العز في التوكل على الله، والذل كل الذل في التوكل على المخلوقين.

ومن العظمة الربانية، أن الله تبارك وتعالى يغضب إن تركت سؤاله، بعكس الآدمي يغضب إذا سئل. ولذلك ورد عنه ﷺ أنه قال: «من لا يسأل الله يغضب عليه». وقال الشاعر:

من يسأل الناس يحرموه وســـائل الله لا يـــخيب

(٢) [فائدة لطيفة].

يؤخذ من هذا الأثر أن العبد إذا ترك التوكل على الله، يرى الشر لا نهاية له. وأما إذا توكل على الله في الأمر كله، انمحى هذا الشر بين غمضة عين وطرفتها. ومن الأقوال المأثورة في هذا الشأن:

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: أحب الناس إلى الناس، من استغنى عن الناس، وأبغض الناس إلى الناس من احتاج إلى الناس وسألهم، وأحب الناس إلى الله عز وجل من سأله واستغنى به عن غيره، وأبغض الناس إليه تعالى من استغنى عنه وسأل غيره. وقال طاوس لعطاء: إياك أن تطلب حوائجك ممن يغلق بابه دونك، وعليك بمن بابه مفتوح إلى يوم القيامة. وقد أمرك أن تسأله، ووعدك أن يجيبك.

وقال الشاعر:

=

٥٦- حدثنا عبد الله نا ابن أبي مريم عن محمد بن سلام الجمحي قال: جاء رجل إلى الربيع بن عبد الرحمن يسأله أن يكلم الأمير في حاجة فبكى الربيع ثم قال: أي أخي اقصد الله في أمرك تجده سريعًا قريبًا فإني ما ظاهرت أحدًا في أمر أريده إلا الله عز وجل فأجده كريمًا قريبًا لمن قصده، وأراده وتوكل عليه (١).

٥٧- حدثنا عبد الله ذكر أبو العباس البصري الأزدي عن شيخ من الأزد قال: جاء رجل إلى وهب بن منبه (٢)، فقال علمني شيئًا ينفعني الله به، قال: أكثر من ذكر الموت، وأقصر أملك، وخصلة ثالثة إن أصبتها بلغت الغاية القصوى وظفرت بالعبادة، قال: ما هي؟ قال: هي التوكل (٣).

=

لا تسألن بني آدم حاجة ... وسل الذي أبوابه لا تحجب

الله يغضب إن تركت سؤاله ... وبني آدم حين يسأل يغضب

(١) أخي القارئ..

إذا طلبت الإعانة على أمر من أمور الدنيا والآخرة فاستعن بالله عز وجل لأنه القادر على كل شيء، وغيره عاجز في كل شيء وعن كل شيء، حتى في استجلاب المصالح لنفسه، أو دفع المضار عنها، وفي نفس الوقت إياك أن تعتمد على مال أو جاه، أو عقل.

[حكمة]

قال علي بن أبي طالب ﷺ:

"من اعتمد على ماله قل، ومن اعتمد على عقله ضل، ومن اعتمد على جاهه ذل، ومن اعتمد على الله لا قل، ولا ضل ولا ذل".

قال الشاعر:

توكل على الرحمن في الأمر كله ... ولا ترغبن في العجز يومًا عن الطلب

ألم تـر أن الله قـال لمريـم ... وهزي إليك الجذع يساقط الرطب

ولو شاء أدلى الجذع من غير هزه ... إليها ولكن كل شـيء له سبـب

(٢) له ترجمة مفصلة في حلية الأولياء (٤/٢٣)، وصفة الصفوة (٢/٢٩١)، وأحاسن المحاسن (٢٠٨).

(٣) [فوائد ثلاث]

أخي القارئ! هذا الكلمة الطيبة قد حوت من الخير الكثير، فتأمل معي من فوائد ذكر الموت:

١- النشاط في العبادة.

٢- الزهد في الدنيا.

=

التوكل خير زاد

٥٨- حدثنا عبد الله ذكر أبو العباس نا محمد بن يحيى قال: جاء رجل من العباد إلى عالم فقال: إني أريد الخروج إلى مكة أفأخرج وأتوكل؟ قال: لو أردت أن تتوكل لخرجت ولم تسألني[1].

٥٩- حدثنا عبد الله نا الحسن بن عبد العزيز عن ضمرة بن ربيعة عن رجاء بن أبي سلمة عن عقبة بن أبي زينب قال: مكتوب في التوراة لا توكل على ابن آدم، فإن ابن آدم ليس له قوام، ولكن توكل على الحي الذي لا يموت[2].

=

٣- تعجيل التوبة.

ومن فوائد قصر الأمل:

١- تمحيص الذنوب.

٢- المسارعة في الخيرات.

٣- التواضع للرحمن.

أما الغاية القصوى فهي كما قال: التوكل على الرحمن.

(١) [دروس وعبر]

نتعلم أخي المسلم من هذا القول، كيف أن المسلم إذا نوى الخير، وصدق في توكله، وعزم على فعله، لا يبطل هذا الخير بإظهاره للناس. فإن إخلاص النية أمر لابد منه في العمل.

[عظم أجر النية]

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله: كم من نائم يكتب له أجر المصلين، وكم من مصل مستيقظ يكتب من النائمين، وذلك أن الرجل إذا كان من عادته أن يقوم وقت السحر ويتوضأ ويصلي حتى يطلع الفجر، فنام ليلة على تلك النية، فغلبه النوم حتى أصبح فاستيقظ وحزن لذلك واسترجع، فإنه يكتب مصليا، ويبلغ ثواب القائمين بنيته، وأما إذا كان الرجل لم يكن يقوم بالليل فظن أنه قد أصبح فقام وتوضأ، ودخل المسجد، فإذا هو لم يصبح، فجعل ينتظر الصبح ويقول في نفسه لو علمت أنه لم يطلع الفجر، لم أقم من فراشي، فهذا الذي يكتب من النائمين وهو مستيقظ. [تنبيه الغافلين].

(٢) [توضيح بليغ]

قال ابن القيم رحمه الله: سؤال المخلوق للمخلوق سؤال الفقير للفقير، والرب تعالى كلما سألته كرمت عليه،ورضي عنك، وأحبك. والمخلوق كلما سألته هنت عليه وأبغضك ومقتك وقلاك. كما قيل:

=

٦٠- حدثنا عبد الله نا الهيثم بن خارجة نا داود بن الجراح عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير[1]، قال: مكتوب في التوراة ملعون من كانت ثقته بإنسان مثله.

تم كتاب التوكل بحمد الله تعالى

=

الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يسأل يغضب

وقبيح بالعبد: أن يتعرض لسؤال العبيد. وهو يجد عند مولاه كل ما يريد. انتهى [مدارج السالكين ١٣٧/٢]. ويقول رحمه الله: وأما ظلم السائل نفسه: فحيث امتهنها، وأقامها في مقام ذل السؤال، ورضي لها بذل الطلب ممن هو مثله، أو لعل السائل خير منه وأعلى قدرا. وترك سؤال من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. فقد أقام السائل نفسه مقام الذل، وأهانها بذلك. ورضي أن يكون شحاذًا مثله. فإن من تشحذه فهو أيضًا شحاذ مثلك. والله وحده هو الغني الحميد. انتهى.

(١) له ترجمة في حلية الأولياء (٦٦/٣) وصفة الصفة (٧٥/٤).

أخي القارئ..

العاقل يعلم أن تقسيم الأرزاق أمر قد فرغ منه، وأن الله يرزق من يشاء بغير حساب. فلم تعلق ثقتك بإنسان ضعيف لا يستطيع نفعًا لنفسه ولا ضرا؟! ضع ثقتك في الله، وتوكل عليه، تقض لك حوائجك بين طرفة عين وغمضتها، من قبل من يقول للشيء كن فيكون.

قال الشاعر:

سل الحاجات من سيد ليس له ستر ولا حاجب

يعطي عطاياه إذا شاءها من غير توقيع إلى كاتب

فهرس المحتويات

الفصل الثالث

تحذير

الفصل الرابع
كتاب التوكل

AL-TAWAKKUL ᶜALĀ ALLĀH TAᶜĀLĀ LIMĀḎĀ?

(Puting the trust in Allah)

by

Aš-Šayḫ ᶜAli Aḥmad ᶜAbdul - ᶜĀl Al-Ṭahṭāwi

Followed by

KITĀB AL-TAWAKKUL

by

Al-Imām Al-Ḥāfiẓ Ibn Abu Al-Dunya

DAR AL-KOTOB AL-ILMIYAH
Beirut-Lebanon